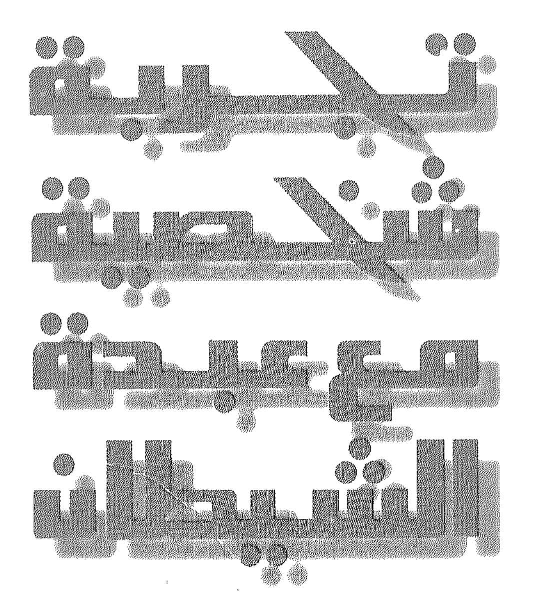
تجربة شخصية مع عبدة الشيطان
الناشر: دار الخيّال
الغلاف: محمد الصباغ
الطبعة الأولى



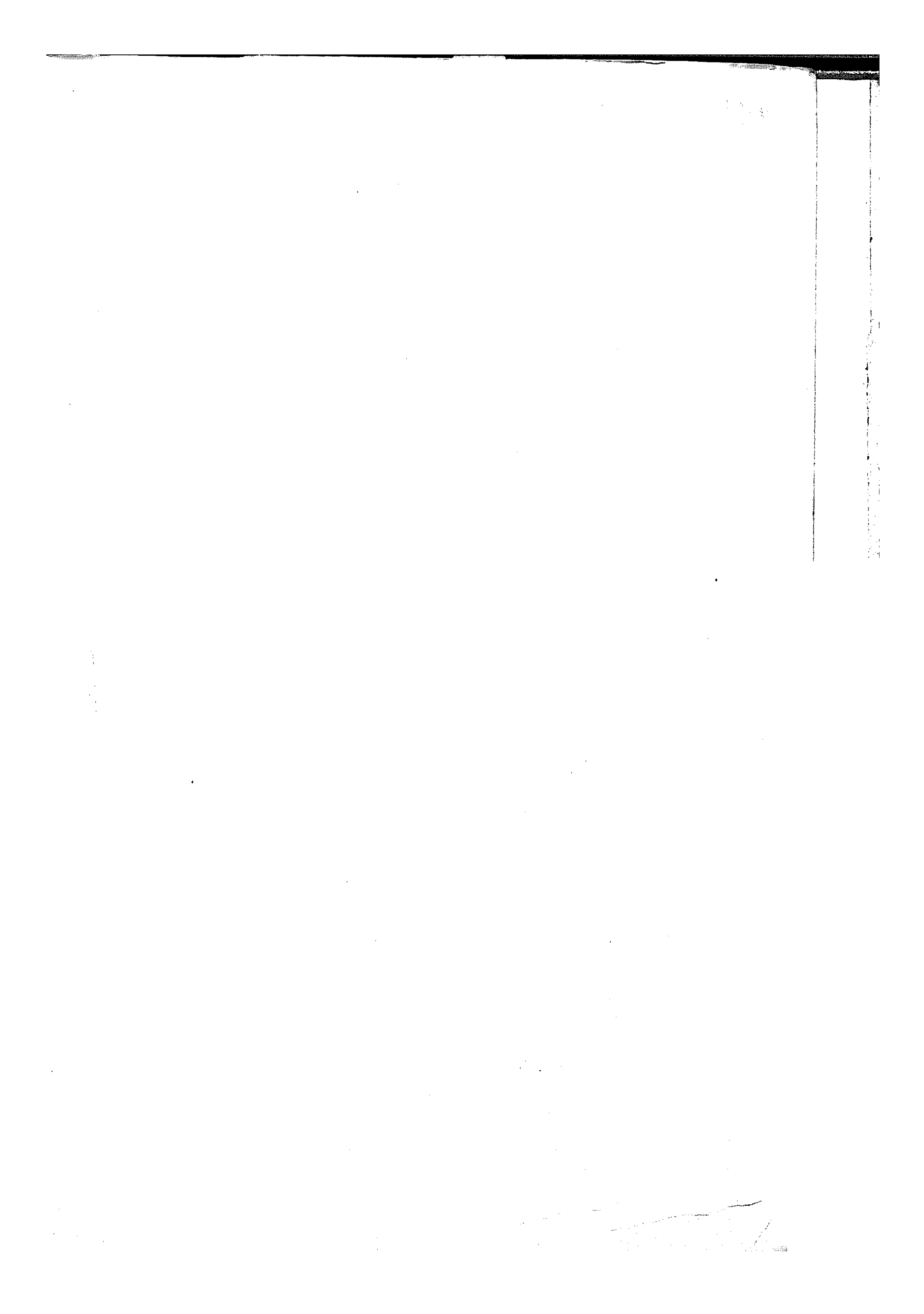
الإعترافات التى لم تصل نيابة أمن الدولة العليا



تجربة شخصية مع عبدة الشيطان

عبدالله كمال





تجربة شخصية

مع عبدة الشيطان

[illegible] شخصية مع عبدة الشيطان
الأولى: سبتمبر ١٩٩٧
٩٧/١٠١٣٠
977 - 19 [illegible]

تصميم الغلاف: محمد الصباغ
جرافيك: محمد كامل مطاوع
خطوط الغلاف: لمعى فهيم
كمبيوتر: دار جهاد
٣٥٦٤٧٨٣

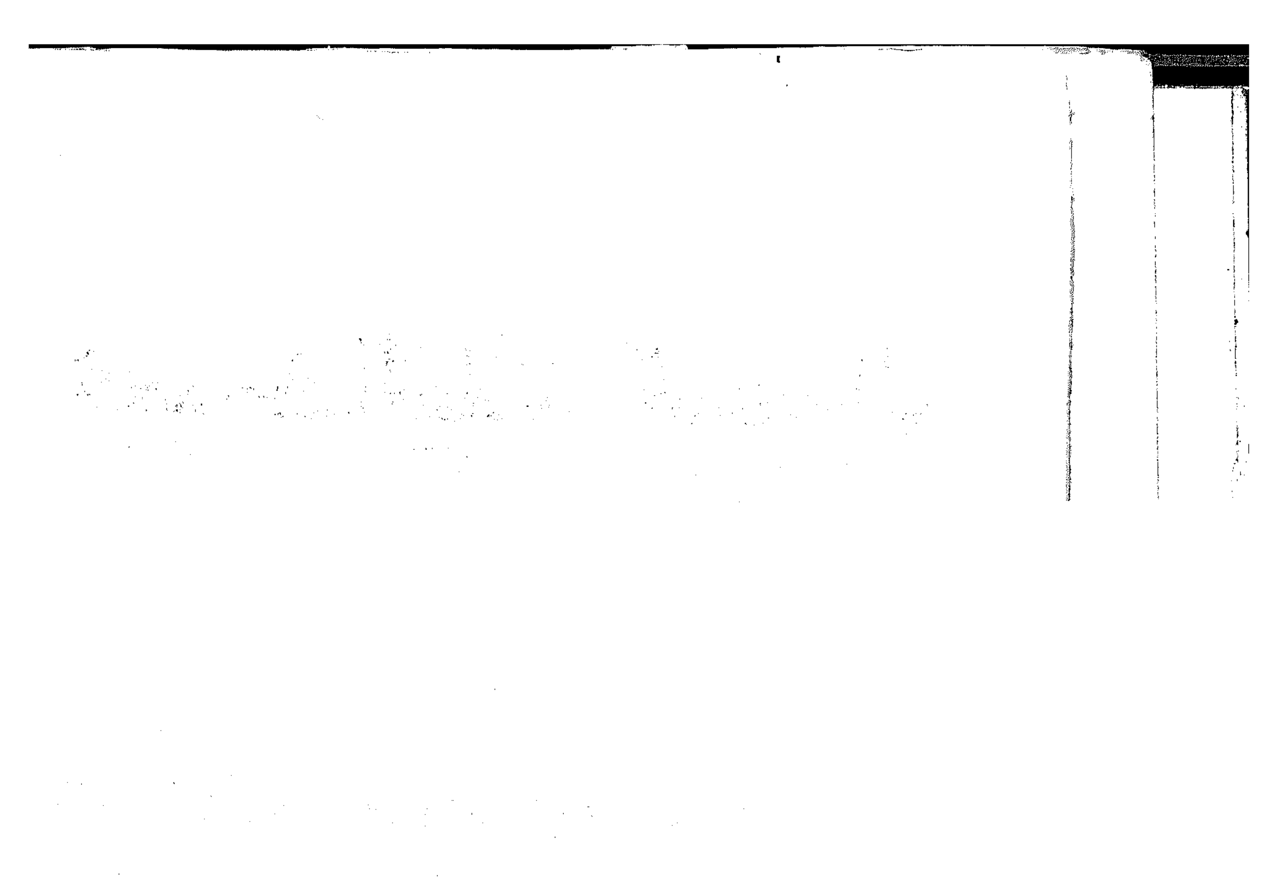
عبد الله كمال

الاعترافات التى لم تصل نيابة أمن الدولة العليا

تجربة شخصية مع عبدة الشيطان

لعبة الجن والجنس والدين والمخابرات

مطبوعات دار الخيّال



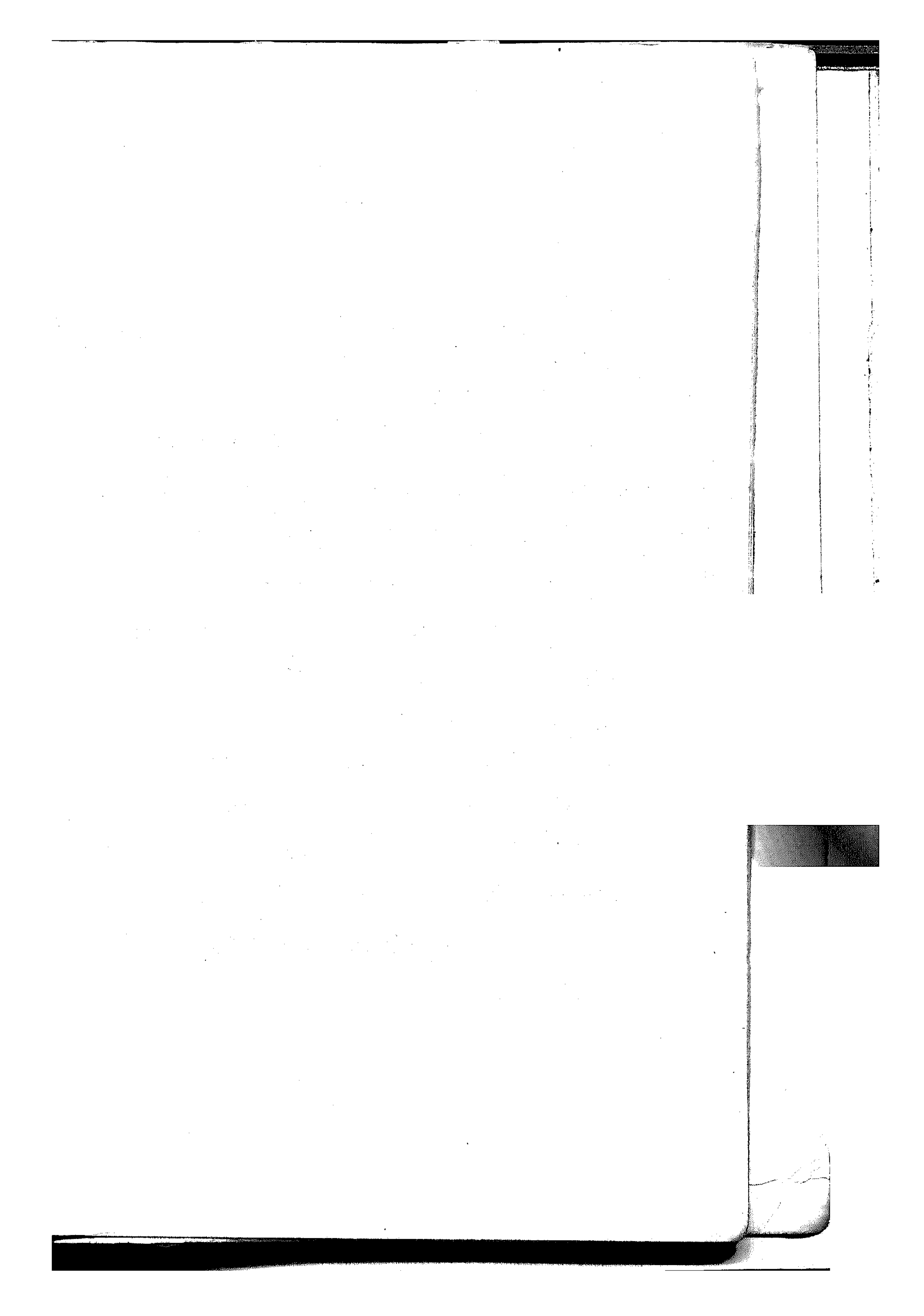
الإهــداء

هذا إهداء مزدوج

أولا : إلى فـضيـلة الإمـام الأكبـر شيـخ الجامـع الأزهر الدكتور/ سيد طنـطاوى الذى رفض أن يتورط فى تكفير هؤلاء الشباب..وغيره من رجال الدين فعل.

وثانيا: إلـى كـل شباب مصر المتطرف.. إلى الذين انضموا إلى جماعات العنف الدينى وإلى الذين تورطوا فى لعبـة عبادة الشيطـان.. إننى أرفضكم وأحـاربكم. ولكنى ألتمس لكـم العذر.. فى وطن صم آذانه عن سماع أى صـوت.. وينتفض رعـبا حين تفاجـئونه بصراخ الـتطرف. وإننى أتسـاءل معكم: لماذا ينـتبه الوطن متأخراً؟ لماذا يختار الوطن الكسل والتجاهل ثم لايتحرك إلا حين يخسركم؟

عبد الله كمال



قبل أن تقرأ

لعبة المتمردين!

لست وحدى مؤلف هذا الكتاب.

مصر كلها دونت صفحات فيه، فحولته من دراسة اجتماعية فى شكل تحقيق صحفى يطالب الرأى العام بالانتباه، إلى قضية على كل لسان، وتشغل كل فئة، ويتحدث فيها الجميع داخل البيوت وعلى المقاهى وفوق المنابر ومن خلال شاشات التليفزيون.

لقد كنت أعرف أننى أكتب فى موضوع شائك ومثير، غارق فى الغموض، ومن المؤكد أنه سوف يكون محوراً من محاور القضايا التى تشغل الرأى العام، لكننى حين كنت أمسك بيدى الخيط الأول لم أكن أتصور أن الـ٦٠ مليون مواطن، من الصغير إلى الكبير، سوف يكون هذا هو محور جدلهم خلال فترة زمنية ليست قصيرة.

ولم أكن أتخيل أن كل صحف مصر، وأن كافة أجهزتها الدينية والسياسية، وأن غالبية خبرائها سوف يستجيبون لجرس الإنذار الذى أطلقته فى نوفمبر ١٩٩٦ عبر صفحات روزاليوسف تحت عنوان: «نادى عبادة الشيطان فى مصر الجديدة».

إن أى صحفى يتمنى هذا بالطبع، يحلم بأن يصبح محور الأحاديث كلها، ولكنى

أعترف للأمانة أننى لم أخطط لهذا. فقط كنت أثابر وأصر على أن ينتبه الجميع إلى الخطر القادم، والنار الخافية تحت الرماد، والعنف الذى تلوح سحبه فى الأفق.

كنت أفعل هذا كل أسبوع وعلى مدى ثلاثة أشهر كاملة كنت أتلقى رد فعل واضحا فى كل يوم على ما أكتب.. كنت أتلقى اتصالات الأمهات وخطابات الذين دارت حولهم هذه الحملة الصحفية. ثم فجأة وجد الجميع أن الصفحات التى نشرتها صارت محورا لقضية معروضة أمام نيابة أمن الدولة. وأصبح كل ماكتبت على كل لسان، واختلط الحابل بالنابل، وكأن المجتمع كله انتفض من مكانه بعد أن لدغه ثعبان، رغم أننى كنت أشير إلى قدوم هذا الثعبان منذ أسابيع طويلة ويتجاهل المعنيون هذا الأمر.

■ ■

هذه القصة بدأت معى بخطاب غامض ومثير وطويل، أرسله شاب مجهول إلى مجلة روزاليوسف من الإسكندرية، يكشف فيه لأول مرة أبعاد هذه اللعبة الموسيقية الدينية التى سميت بعبادة الشيطان.

وفى الواقع لم تكن روزاليوسف وحدها هى التى تلقت الخطاب، وإنما تلقته صحف أخرى، وكان الفارق فى التعامل هو أن الآخرين ألقوا به فى سلة المهملات، بينما اهتممنا نحن به فى روزاليوسف.. لأنه خطاب خطير للغاية ولأن به معلومات هامة جدا إن كانت صحيحة.

فى الواقع أيضا لم يكن هذا الخطاب موجها لى بالاسم، وإنما أُرسل إلى الأستاذ محمود التهامى رئيس تحرير المجلة ورئيس مجلس الإدارة، ومنه وصل إلى يدى.. فلم أمل إلى تصديقه، وبناء على نصيحة من الأستاذ عادل حمودة نائب رئيس التحرير نشرت نداء فى المجلة لصاحب الخطاب كى يأتى لنا ونحصل منه على الدليل الذى يؤكد خطابه.. لكنه لم يستجب، وكان من الضرورى أمام خطورة ما جاء فى الرسالة أن أبحث أنا بنفسى عن مزيد من التفاصيل.

كانت البداية فى الإسكندرية، فى محل شرائط كاسيت راقى المستوى بمنطقة

رشدى المتميزة، هناك حصلت على الخيط الأول، الذى سرعان ماكر وراءه بكرة كاملة من الخيوط، وجدتها تتعقد أمامى، وتؤكد وجود الظاهرة التى تحدث عنها الخطاب.

وما إن كتبت ونشرت حتى هالتنى ردود الأفعال، وحتى فوجئت بمئات من الاتصالات التليفونية والخطابات واللقاءات التى أكدت لى أننا بعيدون تماما عما يدور بين شباب مصر.. وأننا لانعرف عنه شيئا، وكان أن صغرت عشر سنوات مرة واحدة، لأصبح شابا فى العشرين، كى أفهم ما يدور بين هؤلاء وما يجرى فى مجتمعاتهم.

فى هذه الاتصالات واللقاءات وعبر هذه الخطابات ولدت تجربتى الشخصية مع هؤلاء. ووجدت أمامى يوميات متراكمة وحكايات ذاتية وانطباعات خاصة. وجدت نفسى أخوض فى تفاصيل لعبة خطرة وقذرة يلعبها هؤلاء. وكنت أنا الوحيد الذى قابل واستمع وشاهد وراقب وحلل ورصد هذه اللعبة قبل أن يغرق المجتمع كله فى الحديث عنها ليل نهار.

وقبل أن يلقى القبض على عشرات منهم، كنت قد قابلت فى مكتبى «خالد» الذى وصفته تقارير بعض الصحف بأنه خادم الشيطان، وكنت قد قابلت «أحمد» الذى قيل أنه زعيم قيادى، وكنت قد التقيت «الغول» الذى دفع جيلا مصريا كاملا إلى هذه اللعبة، ومساعديه اللذين نظما بعض الحفلات المشبوهة، وكنت قد جمعت معلومات عن «الأرمنى» الذى قيل أن الشرطة تبحث عنه، وكان أن تجمع هذا الكتاب الذى يكشف عن مشكلة اجتماعية خطيرة.. ويضم تفاصيل عديدة لم تنشر من قبل، وقصصا لم يسمع بها أحد، وحكايات مثيرة وغريبة تؤكد أن هناك أشياء مختلفة تحدث بين شبابنا دون أن ندرى ودون أن ننتبه.

■ ■

قبل أن يتبلور الكتاب.. وقبل أن تصبح «عبادة الشيطان» موضوع حديث الرأى العام. وفى مركز المؤتمرات الدولية بمدينة نصر، وبينما كان المؤتمر الاقتصادى الدولى

منعقداً، خرج اللـواء حسن الألفى وزير الداخلية من إحدى القـاعات فوجدها بعض الصحفيين فرصة كى يوجهوا له الأسئلة ويحصلوا على أخبار.

لقد سألـوه فى أشياء كثيرة؛ فى الإرهاب، وفى قصة هدى عـبدالمنعم، وفى تـنفيذ الأحكام.. لكـن أحدهم فاجأه بسـؤال حول إلقاء القبض عـلى من يعبدون الـشيطان. وفى حين أجاب الوزير بإفاضة عن كافة الأسئلة السابقة كانت إجابته عن هذا السؤال الأخير مجرد ابتسامة تشبه ابتسامة الموناليزا فى غموضها.

وبعد عـدة أيام، وبعد لقـاء بين نفس الـوزير ومفتى الـديار المصرية الجـديد - فى ذلك الوقت - الدكتور نـصر فريد واصل - والذى عبر فيه المفتى عـن قلقه من ظاهرة «عبـادة الشيطـان».. قال الوزير لمجـلة آخر ساعـة: إننا نـضع أيدينا على كافـة نوادى الشيطان.. ونتصدى لهم بالمرصاد.

ومرة أخرى عبرت إجابـة الوزير على سؤال المفتى عن نفـس الشىء الذى عبرت عنه الابتسامة الغـامضة. وهو أن الوزير لا يعرف شيئا بعد، ببـساطة لأنه لاتوجد نوادٍ لعـبادة الـشيطـان فى مصـر. وإنما يـوجد نادٍ واحـد فقـط. ليس لـه مقر. ولـيسـت له استـمارات عضـوية. وليـس خاصا بـعبادة الشـيطان وإنمـا هو تجمـع يضم عـددا من مستمعى الموسيقى الشيطانية فى مصر الجديدة.

وفى الواقع كنت أنا أعرف أكثر بكثير ممـا لدى الوزير. والدليل على ذلك أنه حين تم إلقاء القبض على عـدد من الشباب بسبب الاتهام بأنهم يعبـدون الشيطان وجدتها وزارة الداخلية فرصة كـى تقول أنها تدافع عن صحيح الدين كـما تدافع عن الوطن ضد الإرهاب المختفى وراء الديـن. ثم حين كبرت كرة الثلج ودفعت أمامـها بالكثير قال الـوزير: إن موضوع «عـبادة الشـيطان» أخذ أكـبر من حجـمه فى تـغطية وسـائل الإعلام.

والذى كنت أعرفه وأنشره لم يكن هـدفه على الإطلاق إبلاغ وزارة الداخلية عن مجمـوعة من الشبـاب. وإنما كان هدفه أن يـنتبه المجتـمع، وأن تأخذ الأسرة المـصرية

حذرها. وأن تعرف حقيقة الانفجار الذى يضـربها فى الصميم. وأن يحترس الجميع من هذا التمرد الكامن فى صدور الشبـاب ويدفعهم لأن يفعلوا أى شىء غريب، أى شىء، كى يعبروا عن هذا التمرد، وعن الغيظ الذى يكنونه للمجتمع فى صدورهم.

وهكذا لم ولن أكون أبدا مع التهويل أو التقليل من هذه القضية، لم ولن أكون مع خلط الحابل بالنابل. ولم ولن أكون مع التأكـيد على أنه لايوجد شىء يستحق كل هذه الضجة.

وإنما أنا مع المناقـشة والبحث والدراسة. ومع إدراك ما يحدث بـين الشباب، ومع رصد هذا التحول فى طريقة التعبير عن التمرد لدى جيل كامل من صغار السن.. فى البداية عبر عن قلقه بالتمرد على القـانون بدعوى أنه يلتزم بصحيح الدين فى إطار ما عرف بمشـكلة الإرهاب المتأسـلم. وفى الخطوة الـتالية، ولما لـم ينتبه المجتـمع إلى آلام هؤلاء الشبـاب، عبروا عن تمردهم بـالخروج عن القانون والـدين معا.. فى إطار لـعبة عبادة الشيطان.

والبقية تأتى.

■■

إن ما مضى كان عبارة عن سطور ضرورية فى بداية الكتاب.

وأخيرا، ولـيس آخراً، فإنـنى أوجه هذا الـكتاب إلى كـل الأطراف التى أجـد أنها مسئولة عن هذا التمرد ولاتتعامل معه بدقة وبعناية. أوجهه إلى هؤلاء الشباب الذين أكتب عنهم ولهم وأكتب إلى أسرهـم التى تجاهلت أفكارهم وأحلامهم وتغاضت عن رغباتهم، بينما هى تظن أنها تـفعل أى شىء وكل شىء من أجلهم.. ثم اتضح أن هذا غير صحيح.

أوجهه إلى المـؤسسة الدينية الـتى تجاهلت الشـباب، وابتعدت عنه، وحـين وقعت الكارثة كان أول لقاء بين الشباب وممثليهـا ـ ممثلى هذه المؤسسة ـ فى مقر مباحث أمن الدولة.. بـدلا من أن يكون الـلقاء الأول فى المسجد أو المدرسـة.. ثم لم تتـوان هذه

المؤسسة بعد ذلك الكسل عن أن تصدر فتاوى الردة وتطالب بالقصاص من شباب تائه لم يتعلم شيئا.

إننى أيضا أوجهه إلى وزارات تلعب بالنار. وصحف تخلط المعلومة الصحيحة بالأكذوبة. ورأى عام احترف إدمان الشائعات وغرق فى الجهل.. ومجتمع عجوز لايستطيع استيعاب آمال وأحلام وأمانى ورغبات وتمرد الشباب.

■ ■

وقبل أن أمضى فى رواية تجربتى الشخصية مع هؤلاء، وقبل أن أسرد تفاصيل هذه الظاهرة الخطيرة، أحب آن أوضح عدة نقاط، حول الكتاب، وحول فكر صاحبه، وحول طريقة إعداده ونشره.

إن هذه النوعية من الكتب تبدو نادرة تماما فى المكتبة العربية، حيث لايوجد ذلك الكتاب الذى يعالج مشكلة اجتماعية مميزة وهامة وخطيرة من كافة جوانبها، وبدون الإغراق فى تفاصيل علمية، وبدون التعالى على أصحاب المشكلة، وفهم مبرراتهم. وربما أكون قد طرقت مجال هذه النوعية من الكتب من قبل فى كتابى «الدعارة الحلال» ـ المؤسسة الحديثة للزواج فى مصر والسعودية وإيران ـ والذى كان بدوره يتحدث عن مشكلة اجتماعية لها نفس القدر من الخطورة. وهى التفاوت الزمنى الفادح بين البلوغ الجنسى للشباب وبلوغه الاجتماعى، واضطراره للتمرد على المؤسسة التقليدية للزواج وقد صدر آيضا عن «دار الخيال» التى يصدر عنها هذا الكتاب وهى واحدة من كبريات دور النشر الآن فى مصر، لا يمر كتاب لها بدون ضجيج وجدل.

و فى هذا السياق يأتى هذا الكتاب الذى بين يديك الآن، ليس كصفحات ترصد ابعاد اللعبة الدينية الموسيقية التى يبدو آن آجهزه خارجية غامضة لعبت دورا فيها والتى آسميت عبادة الشيطان.. ولكن أيضا ككتاب يضم كل شىء عن الموضوع فى

الداخل والخارج. من النواحى الاجتماعية والاقتصادية والموسيقية والدينية. ودون أن يتجاهل اراء هؤلاء الشباب.

ولأننا بصدد مشكلة من نوع مميز، فإننى لجأت أيضا إلى شكل مميزلهذا الكتاب، فلم أقسمه الى فصول وأبواب، وإنما جعلته كلاً واحداً مترابطاً، به أجزاء متفرقة، لأن المشكلة لايمكن تقسيمها ولأن الموضوع بجوانبه له أركان متصلة.

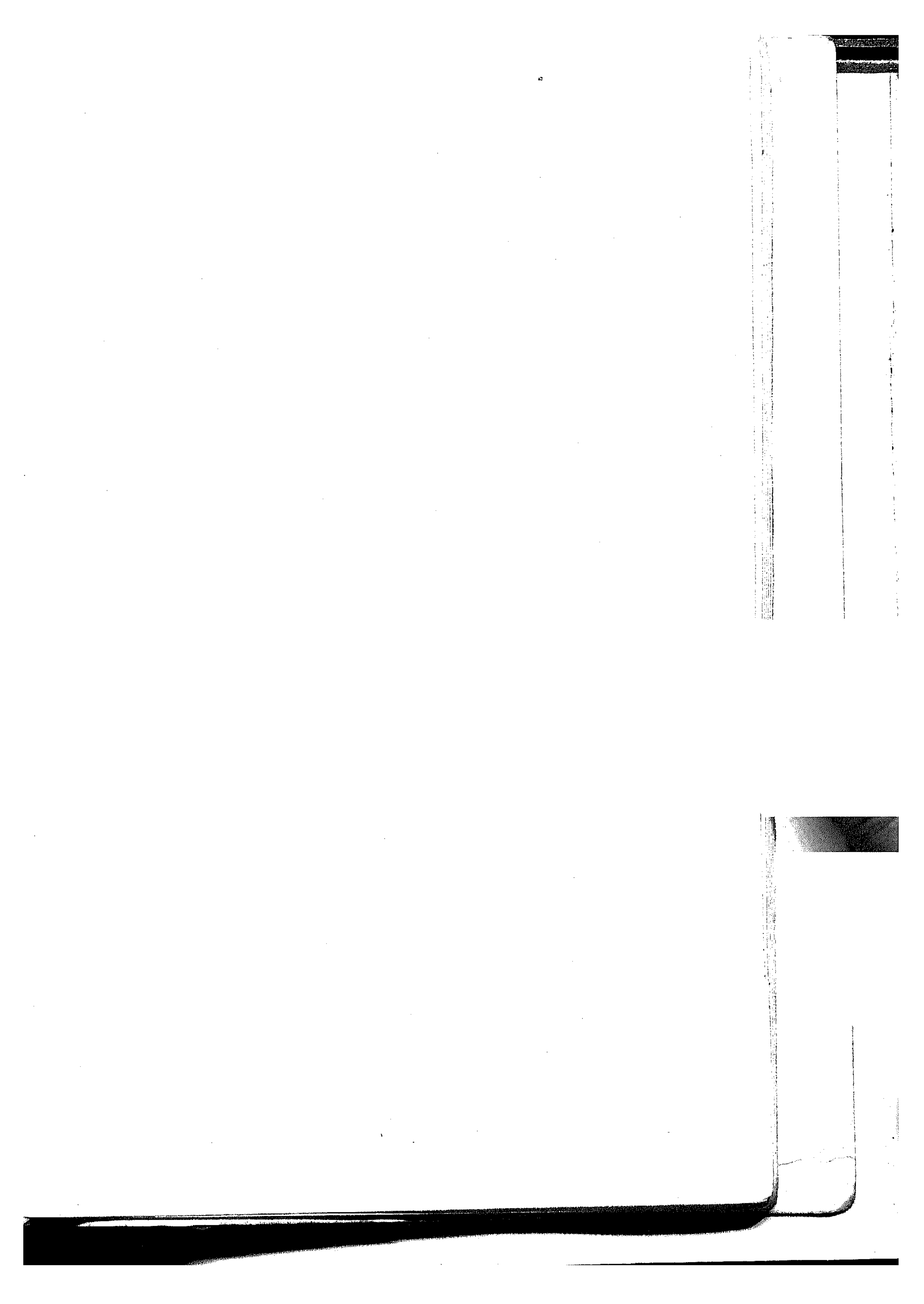
■ ■

فى النهاية تبقى الإشارة إلى انه لايوجد شخص يملك الحقيقة كاملة، وإنما هناك وجهات نظر اخرى.

ولعلى أكون فى هذا الكتاب صادفت الرأى الأصوب.

عبدالله كمال

سبتمبر ١٩٩٧



تجربة شخصية مع عبدة الشيطان

لعبة الجن والجنس والمخدرات

فيما بعد سوف نعرف صاحب هذه المعلومات التى فجرت قضية «عبادة الشيطان» فى مصر..

ولكننا نبدأ به، فهو الخيط الأول. رغم أن هذا الخيط كان مليئا بالمعلومات غير الدقيقة وغير الموثقة.

هذا الخيط عبارة عن رسالة من خمس ورقات، قطعت من كراس مدرسى، كتبها صاحبها وهو متوتر للغاية، بدا وكأنه يريد أن يفرغ ما فى داخله بأى شكل وبكل سرعة.. دون أن ينسى إخفاء اسمه، وألا يكتب اسمه على المظروف الذى حوى الخطاب وطار به ساعى البريد إلى روزاليوسف، حيث تلقيته.

«أعرف أنكم تهتمون بما يتعلق بأمن وسلامة الوطن وإنقاذ جيل كامل من الشباب المصرى، وأرجو أن يتسع صدركم لقراءة رسالتى.. وذلك للأهمية القصوى.. وأعتذر عن طولها»..

هذه هى الطريقة التى فضل بها هذا الشخص أن يقدم مالديه. ثم انطلق يروى قصته: «لقد اندمجت منذ صغرى فى سماع الموسيقى الغربية، وخاصة موسيقى

الروك. ووصلت إلى نوع غريب منها يسمى «البلاك ميتال».. كنت أستمع إليها بحسن نية، وانتبهت لها لأنها غريبة.. لكننى حين قرأت كلمات الأغانى وجدتها مملوءة بتوجيهات نحو عبادة الشيطان والكفر بكل ما هو مقدس ومعبأة بالسب والشتائم فى الذات الإلهية.. ولهذا السبب توقفت تماما عن سماع هذه النوعية وقراءة كلمات أغانيها».

«لكن المشكلة هى أن هذه الموسيقى اللعنة انتشرت بين الشباب كالنار فى الهشيم، وأصبحت «موضة»، وصاروا يهتمون بكل الفرق التى تقدمها، ويجمعون ألبوماتها، ويتنافسون فيمن يملك أكبر قدر ممكن من الألبومات، وتحول الأمر إلى اتجاه خطر حين لم يكتف البعض بالسماع، وتأثر بهذه اللعنة السوداء، واعتنقوا هذا المذهب الملعون، بل ويقيمون شعائر هذه العبادة.. بكل حذافيرها».

إننا لم نزل نقرأ هذه الرسالة الخطيرة.

«إنهم يفعلون ذلك فى مصر الجديدة، وفى قصر البارون.. يشعلون الشموع السوداء.. ثم يرتلون كلمات غريبة بلغة من ألبومات هذه الأغانى .. ويصطادون بعض الحيوانات كالقطط والفئران أو حتى بعض الطيور.. ويذبحونها.. ويمثلون بجثثها.. ويحرقون دماءها.. ويكتبون جملا بهذه الدماء على الجدران».

ولم يكتف صاحبنا بهذا بل مضى إلى ما هو آكثر إثارة:

«وأبشع مظاهر هذه العبادة هى [illegible]ت الجنس الجماعى بطريقة وحشية فيما بينهم.. إننى لا أبالغ، هذه هى الحقيقة التى صدمتنى أنا أيضاً» و«أصحاب هذه الموضة منتشرون فى مصر الجديدة. يقفون دائما أمام مطعم» «ماكدونالدز» فى الميرغنى.. لا يجدون صعوبة فى الحصول على المال.. يطيلون شعورهم.. يلبسون فانلات سوداء عليها أسماء وصور هذه الفرق الملعونة.. رائحتهم كريهة.. فهم لايستحمون.. علامتهم المميزة دق وشم الصليب المقلوب على أجسادهم.. الكتف والذراع والبطن والظهر.. بل وعند مناطق حساسة فى أجسادهم».

ولكن.. ما دليل هذا الشاب على ما يقول؟

وكأننا سألناه هذا السؤال، إذ سرعان ما أجاب فى خطابه: «تستطيعون التأكد لو أنكم حضرتم إحدى حفلات شركة سجائر «....» أو سألتم أحد منظمى هذه الحفلات.. مثل «....» المذيع بالبرنامج الأوربى.. ولكن العجيب ليس فى الحفلات إنما هو فى هؤلاء الشباب الذين يتعاطون المخدرات علنا، ويضربون بعضهم، وأنا شخصيا حضرت حفلا من هذا النوع كان ينظمه شاب اسمه «....» فى كازينو بالزمالك».

«لقد رأيت فى هذا الحفل جنسا رخيصا، ومخدرات من كل نوع، وبينما هم فى أوج اندماجهم أخذوا يتصايحون بطرق فظة، ثم أتوا بجردل كبير ملئ بالشموع السوداء أشعلوا النيران وأخذوا يهرتلون، ثم أتوا بصليب خشبى كبير مقلوب.. هذا هو رمز الكفر وعبادة الشيطان.. وتدافعوا من حوله، وأخذوا يحطمونه ويضربونه ويتخاطفونه، ولهذا جرح بعضهم دون أن يدرى، لأنهم تحت تأثير المخدرات».

ثم ألقى صاحب الخطاب بالاتهام فى حجر شخص بعينه: «إنه منظم الحفل، وهو أول من نادى بانتشار هذه العبادة، وأول من قام بتأسيس هذه الجماعة فى مصر، وللعلم فإن هناك مطاعم فى الإسكندرية تجمع هؤلاء الشباب حولها، بينها مثلا مطعم «....» فى كورنيش سبورتنج، إذا مادخلته سوف تجد رسوما غريبة، وموسيقى ملعونة، وشبابا يتبادلون هذه الألبومات، حتى أن بعضهم كون جماعة اسمها «United of DEATH METAL» أو «U.D.M». ومجموعة أخرى اسمها «DITHOD».. وإن كانت المجموعة الأخيرة تسمع فقط، دون أى انحراف دينى».

■ ■

انتهى الخطاب.. أو للدقة انفجرت القنبلة.

وقد انفجرت على مكتبى، وأنا أقرأ الخطاب، وكان أن أصابتنى شظايا الدهشة والتعجب، لكننى سرعان ما عالجت نفسى منها بالبحث عن تدقيق لهذه المعلومات.. لأرى إن كانت صحيحة أم لا.. وهل هى حقيقية أم مجرد «هرتلة»، حسب التعبير الذى يستخدمه هؤلاء الشباب للدلالة على التخريف.

«قشطة».. و«قشطة» هي الأخرى كلمة يستخدمها بعض هؤلاء الشباب كي يقولوا حسنا.. وقد قلت حسنا، لنبدأ إذن هذه القصة.

لقد بدأت البحث بنشر نداء في المجلة.. قلت فيه: «روزاليوسف تنتظر شاباً» مصرياً من الإسكندرية.. إلى هذا الشاب المهتم بموسيقى الروك، ويخشى على الأخلاق والقيم، وأرسل لنا من الإسكندرية كي ندافع عن الوطن.. نحن في انتظاره وفي انتظار شريط الفيديو».

هذا الشاب كان قد تحدث عن أن لديه تسجيلات لحفلات من هذا النوع.

لكنه لم يستجب للنداء، وبينما كنت أنا أبحث عن خيط آخر بطريقة مختلفة، كان ضابط للمصنفات الفنية في الإسكندرية قد انتبه إلى هذا النداء وبدأ في الاتصال بمصادره والبحث أيضا عما هو غامض في هذا النداء الغريب.

وعن طريق صديقي المهندس هاني شحاتة مؤلف الأغاني المعروف، مدير إنتاج شركة «أمواج» دلفت إلى الشخص الذي أبحث عنه في معرض الكاسيت.. هذا الشخص هو رشدي.. الذي يملك محل كاسيت هاما جدا في منطقة رشدي المميزة بالإسكندرية.

الدنيا الزرقاء

إن رشدي يعرف هؤلاء الذين تحدث عنهم الخطاب أكثر مني، ومن غيري، رغم أنه ليس في عمرهم. إنه في الأربعين. لكنه لم يزل بمزاج الشباب.. في الشكل واللبس والحديث وإن كان يتميز بالنضج. وهو يعرفهم لأنه يقابلهم في كل يوم. يشترون منه شرائط الموسيقى ويتكلمون معه ويحكون له، وحين تظهر موضة جديدة بينهم يرصدها هو فوراً.

من خلاله بدأت أعرف الملامح الأولى لهذه الموسيقى التي تدور حولها اللعبة الخطرة.

أنه يقول : بعد أن بدأت موسيقى «الروك» في الرواج خلال عصر ألفيس بريسلي، تدرجت وتنوعت، وتطورت.. وظهر السبيد روك «السريع». ثم الهيفي

روك والتراش والبلاك روك والديث ميتال.. وهى تعبيرات إنجليزية تعنى اختلاف نوعية الموسيقى وتدرجها من مستوى «الأسود» إلى مستوى «الموت».

إن الموسيقى الغربية تقسم تدريجيا حسب عدد ضربات الإيقاع فى الدقيقة. وهى تبدأ بمستوى ما بين ٦٥و ٨٠ ضربة إيقاع فى الدقيقة.. وهذا هو النوع الهادىء. ثم ما بين ٨٠ و٩٠ ضربة ويسمى «إيزى ليسننج».. أى الاستماع الناعم. وتنتقل إلى المستوى الراقص عند نقطة تتراوح بين ٩٠و ١٣٠ ضربة فى الدقيقة. ثم إلى الهيفى والهارد روك أو الميتال ـ أى المعدن ـ عند ما بين ١٣٠ و١٥٠ ضربة إيقاع فى الدقيقة. وحين يزيد الإيقاع عن هذا فإننا ندخل مرحلة الموسيقى السوداء والشيطانية المميتة.

ولم يظهر هذا النوع من الموسيقى فى الغرب إلا خلال السنوات الأخيرة فقط، وتحديداً ما بين عامى ٨٦و ١٩٨٧، خاصة فى الولايات المتحدة، لكن التطور فى نوع وإيقاع الموسيقى امتد إلى نوعية الكلمات بحثا عن مزيد من التميز، ووصل الأمر إلى حد سب الإله ومناجاة الشيطان، والكفر بالواقع والتعبير عن التمرد الحاد على كل شيء بالإيقاع شديد السخونة وغير المحتمل إلى جانب الكلمات التى قد نراها منفرة ويراها بعض الشباب غير ذلك.

ولأن هذه الفنون ـ إذا جازت التسمية ـ ليست بعيدة فى وجود ثورة الاتصالات، لم يكن غريباً أن نجد أسطوانات هذه الفرق فى مصر بين أيدى الشباب.

وقبل عام ١٩٩٢ كان من الممكن الحصول على أى نسخة من أسطوانات هذه الفرق فى مصر ببساطة. وكان السبب هو ضعف قيمة الغرامة التى يفرضها قانون المصنفات الفنية على صاحب الشركة التى تنسخ الأسطوانة. ثم صدر القانون الجديد الذى جعل الغرامة خمسة آلاف جنيه وأقر عقوبة الحبس لمدة سنة. فضرب كل نشاط النسخ غير القانونى تقريبا، وأصبح المصدر الأساسى لهذه الأسطوانات هو الجلب من الخارج أو الاستماع لها فى قنوات تليفزيونية فضائية.

إن رشدى توقف عن هذا النشاط الآن بعد أن أصبح غير قانونى، وقد قال لى راصداً الذى يلحق بالصبية والمراهقين والمهووسين بهذه الفنون الغربية: إن بعضهم كان مستعداً لأن يدفع أى مبلغ فى «تى شيرت» عليه صورة فرقة سبللتورا، وقد

أجبر أمامي طفل في العاشرة أمه على أن تشترى له «تي شيرت» بـ ٢٢٠ جنيها، بينما هو في الواقع لا يزيد سعره على ٢٠ جنيها فقط.

لقد وصل الهوس إلى حد أن بعضهم كان يسرق أغطية الأسطوانات من محل رشدي، وقد ضبط هو أحدهم ذات مرة يفعل هذا، وأحيل الموضوع إلى قسم الشرطة، حيث اتضح أن المراهق السارق هو ابن صاحب محل مخبوزات كبير ومعروف في سبورتنج، وتبين أنه كان مخدراً، وأنه اعتاد هذه السرقات بالتناوب مع زميل له.

إن رشدي ربط بين هذا الهوس بالموسيقى وإدمان المخدرات، وقد قال: أحدهم كان يطلب منى أن أنتظر للغد حتى يدفع ثمن الأسطوانة، لأنه لا يملك سوى ثمن البانجو.

ومضى يشرح لى بعض مفردات غموض هذا العالم الغريب: إن لكل مجموعة نوعا من المخدر تدمنه. وجزء منهم يخلط بودرة الهيروين بمادة لا اعرف اسمها لتصل إلى ما يوصف بأنه حالة «الكريستال بلو» التى تجعل الدنيا أمام عينيه زرقاء اللون. ومنهم من يعلق «باندانا» - أى شريطا على الرأس- يخفى به جراحا أحدثها فى جبهته توضع عليها طوابع التخدير.. والتى يوهم نوع منها متعاطيه بأنه «حمار».. ويوهم نوع آخر متعاطيه بأنه «أسد».

نحن لم نزل مع رشدي.. الذى لم يزل بدوره يرصد مظاهر الخرافة التى تنتشر بين هؤلاء «المهووسين»:

إن كثيرا منهم يدق الوشم الذى لا يُزال أبدا، ويتم دقه باستخدام آلات خاصة بعضها يصل من إسرائيل. وتكمن أهمية ملحوظة الوشم هذه فى أنها تشير إلى إيمان هؤلاء بالفرق الأجنبية التى تعزف تلك الموسيقى ويحرص عازفوها على دق الوشم. وبعض هذه الفرق يخلع نجومها ملابسهم للكشف عما على أجسادهم من رسوم.

وقد ظهرت أيضاً بين هؤلاء موضة لعب «الأويجا» وهى لعبة أمريكية على رقعة بها أحرف، يستخدم فيها الزهر، بحيث يعرف منها مستخدمها طالعه الذى حدده الشيطان. وبناء عليه يحدد موقفه من الآخرين حسب الكلمة التى كونتها له الأحرف بمساعدة الزهر.

حسنا..

ان رشدي كان يرصد لنا بعض المظاهر التي غرق فيها هؤلاء. لكنه لم يتحدث كثيراً عن لعبة «عبادة الشيطان».. وفعل هذا فقط حين تحدث معى عن موضة أخرى منتشرة بين أولئك الصبية.. وهى موضة غارقة فى الخرافة.. مؤداها أن هناك رقم تليفون للشيطان هو: ٠٠٦٦٦ وهذا الرقم يؤمن من يطلبونه بأن الشيطان سوف يرد عليهم لو كان راضياً عنهم . متأثرين فى ذلك بخداع المخدرات.. ويتصورون أنهم يسمعون أنفاس إبليس إذا كان غير راض عنهم.. فى انتظار أن يفعلوا مايستحقون معه سماع صوته.

■ ■

فى الإسكندرية أيضاً رأيت «الكوفى شوب» الذى تحدث عنه الخطاب، والمخصص لمستمعى هذا النوع من الموسيقى الملعونة، وفيها أيضا عرفت أن أبرز مدمنى هذا النوع هو أحد أحفاد شخصية مصرية كبيرة لها منصب عربى بارز، وصبى مراهق أبوه صاحب واحد من أبرز توكيلات السيارات الفاخرة فى المدينة.

لكن الصورة فى القاهرة كانت أوضح، وكانت معالم اللعبة أبرز، وكانت دلالات دقة الخطاب جلية للغاية، خاصة حين وصلت إلى مصر الجديدة، و بالتحديد فى ميدان الميرغنى، أمام مطعم ماكدونالدز حيث سمعت وعرفت قصة من أطلق عليه اسم خادم الشطان.

نادى عبادة الشيطان

إن اسمه خالد، فى حدود ٢٢ سنة، طالب فى معهد المراقبة الجوية فى إمبابة، بدين، أصلع، لكنه يطيل شعر مؤخرة رأسه، ويغطيه دائما بـ «كاسكتا». لا يجيد الإنجليزية، ولكنه وجد فى هذه اللعبة وسيلة هائلة تقربه من عالم الأغنياء، وخاصة أنه ينتمى إلى أسرة فقيرة تعيش فى حى الزيتون.

لقد سمعت عنه قبل أن أقابله، وبعد أن قابلته اختفى تماماً من أمامى، لقد خاف، وأفلت، ولم أسمع منه شيئا إلا حين تم إلقاء القبض عليه، ثم عرفته الصحف بانه

«خادم الشيطان»، وبعد ذلك أنكر هو كل ذلك وادعى فى حوار بثه التليفزيون على القناة الأولى أن روز اليوسف كانت وسيلته فى التعرف على هذا الموضوع.

إنه معروف بين هؤلاء الشباب بأنه «واد بيئة» أى ينتمى إلى طبقة اجتماعية أدنى. وهم يقولون عنه أنه «حنجورى» أى «بغبغان» لا يفهم ما يردد. وبعضهم يرى أنه غلبان مقهور، أمه متدينة، وهو ليس سوى منظم حفلات.

أما أنا فانطباعى عنه أنه شخص وجد فى هذه اللعبة «الموضة» طريقة للربح.. إنه يشبه الخادم فى غرزة الحشيش. مهنته هى رص الحجارة فوق الجوزة. وأن يستفيد من المدمنين الأغنياء بأن يقتنص لنفسه بعض الحشيش وبعض المكسب.

وفى سبيل السعى لأن يصبح خالد واحداً من هؤلاء كان أن زايد على الجميع، وغرق فى الموسيقى الملعونة حتى الثمالة رغم أنه لا يفهم شيئاً فى الموسيقى. وكان أن ابتدع فكرة نادى «الدوم كلب» أو نادى القدر السيئ.

قبل سنوات وزع خالد على معارفه استمارات غريبة لناد جديد هو ذلك النادى الذى نتحدث عنه. ووضع على كل استمارة عبارة «V.I.P» أى شخص هام جداً. كى يجذب المزيد من الشباب له. وكان الهدف من الاشتراك فى النادى - فى العلن - توفير الشرائط والأسطوانات مقابل ٣٠ جنيهاً هى قيمة الاشتراك.

بعض الشباب انضم للنادى. والبعض لم يقترب منه. لكن القصة تحولت إلى نكتة. وخاصة أن هناك فريقاً موسيقيا من الهواة اسمه «كراك أوف دوم» كان يدعم الفكرة. وصارت الحكاية طرفة بين هواة الروك الذين يتجمعون دائماً أمام ماكدونالدز الميرغنى.. وتردد بين هؤلاء أن شرط الاشتراك فى النادى هو أن يدفع العضو الجديد رسم الاشتراك وأن يسلم مؤخرته لأصابع بقية أعضاء النادى الذين سبقوه إلى العضوية!

وعلى سبيل «الترويش» - أى لفت الأنظار - تطورت اللعبة. وغرق الشباب حول خالد فى التقليعة الجديدة حتى خطوطها الخطرة. وظهرت بينهم أفكار عبادة الشيطان، تقليداً للفرق التى يستمعون إلى أغنياتها فى الأسطوانات والحفلات.. وهكذا ظهر الصليب المقلوب فى حفل بالزمالك، وذهب بعض هؤلاء إلى قصر البارون بكل

غموضه كي يمـارس بعض طقوس اللعبة.. وتحدث آخـرون عن أن هناك من هؤلاء من يذهب إلى مقابر الكومنولث حيث يتعاطى المخدرات.

وصار «الدوم كـلب» واقعا، وأصبح حـقيقة بيـن هؤلاء، وظهر اسم النـادى على أوراق دعاية لحـفل أقيم فى ملاهـى كايرولاند، وتزاحـم أتباع الفكرة «الـروشة» أمام ماكدونالـدز، حتى أن سكان العمـارة التى تعلو المطعـم كانوا ينثرون الميـاه القذرة من أعلى لتفريقهم واضطر أمن المطعم إلى أن يـمنع التجمع داخله بدون تناول الأطعمة. وفى المقابل وجد بعـض هواة موسيقى الروك أن هؤلاء يسيئون لهم.. فـكانوا يمنعون توزيع إعلانات «دوم كلب» فى الحفلات التى ينظمونها.. وكانوا يمنعون أيضاً توزيع إعلانات «مجموعة الديث ميتال» أو «U.D.M» .. لأن «هؤلاء يسيئون لنا».

■■

ولم يكن خـالد هو صاحب اللعـبة الوحيد، لقـد كان أحد اللاعبين عـلى أوتارها، وفى الواقع فإنه كان هـناك شخص آخر هام هو الذى وفر البيئة بـين هؤلاء كى تظهر التقليعة، وكى تتوغل، وكى تنتشر، وبينما كان خالد يكسب مئات الجنيهات، كان هذا الشخص الهام يكسب الآلاف.

الغــول!

فى نهايـة الثمانينيات وبداية التسـعينيات كان هـذا الشخص قد أصبـح نجما بين هؤلاء الشباب، إنه مذيع فى الإذاعة المصرية ومؤخرا بدأ يقرأ نشرة الأخبار الإنجليزية في التـلفزيون المصـرى يعرفه فقـط هواة الموسيقـى.. فى نهاية الـثلاثينات مـن عمره، وسيم، حلـو الكلام، مثقف، يتـمتع بخواص رجال الأعـمال الباحثين عـن الربح بأى طريقة، بـداية من تنظيم المـعارض وحتى إقامة الحـفلات والبرامج الخاصة بمـوسيقى الروك.

لقد عرف فـى هذه الأوساط ببرنامج شـهيركان يخاطـب به غرائز هذه التقـليعة، وكان من خلال برنامجـه يذيع كافة الاغانى المختلفة والمميزة حـتى لو كانت من نوع الديث والبلاك مـيتال.. فى غياب من يفهـمون وفى إطار جهل المشرفيـن على اجهزة

الإعلام بما يفعل.. حتى أن هناك مذيعة أبلغت رؤساءها فى نفس الشبكة التى يذيع عليها برنامجه أن «ما يفعله شيء خطير».

ولكن هذا «الغول» الذى يتمتع بجاذبية خاصة وانتهازية مميزة، ولا مانع لديه من أن يعمل فى تنظيم المعارض وبيع العقارات والتليفونات المحمولة، لم يتوقف، ومضى فى طريقه، الذى اعتبرت أنه من خلاله كان أحد المحرضين الأساسيين على هذه اللعبة.

فى نهاية عام ١٩٩٣ نظم «الغول» فى ملعب التنس باستاد القاهرة أول حفلة من هذا النوع.. تحت رعاية شركة سجائر كبرى. والذين حضروا هذا الحفلة قالوا أنها كانت مرتعا للجنس والمخدرات فى حضور عدة آلاف من الشباب لكنه قال لى: إنها لم تكن حفلة مخصصة للبلاك ميتال وإنما لموسيقى الروك العادية. لم يكن هناك جنس. و قال لى: لقد فوجئت بالمخدرات. وهو ما دعانى فى الحفلات التالية لأن أفرض على الفرق التى تغنى أن تعلق شعارات ضد المخدرات. وقد فرضت دقة أمنية أكبر.. بحيث كان الشباب يفتش ذاتيا. لكنهم كانوا يخرجون للتعاطى ثم يعودون. فمنعت الخروج من الحفل. إلا أنهم كانوا يحضرون الحفل مخدرين بالفعل. فتوقفت عن تنظيم هذه الحفلات».

والواقع أنه توقف، لكن هذا حدث بعد أن شبع. والواقع أنه يتحدث عن أنه كان ضد المخدرات. لكن الحفلات التى نظمها فى استاد القاهرة والعجمى وفندق سياج بيراميدز لم تكن تشيرإلى هذا. بل إن شبكة «سى. إن. إن» وجدت فى حفل استاد القاهرة فرصة كى تسجل فيلماً إخبارياً عن التناقض الذى يعيشه المجتمع المصرى ما بين التطرف الدينى وهذا الغلو الموسيقى.

ومن هنا كنت ـ ولم أزل ـ أعتبر «الغول» أحد المحرضين على هذه اللعبة القذرة فى مصر.

لقد كـان كل ما جاء فـى الخطاب الأول خطيـراً إذن، وكان كل ما ورد فـيه أقرب إلى الحقيقة، ولكننى حتى هذه اللحظة التى نشرت فيها روز الـيوسف التحقيق الأول عن عبـادة الشيطـان لـم أكن أدرك أن الظاهـرة بكل هذه الخـطورة، وبكل هـذا الحجم الذى كشـفت عنه ردود الأفعـال والاتصالات والخطابات الـتى توالت فى نـفس يوم النـشر والتى بـدأت من يومهـا معرفتـى بهؤلاء حتـى صرت صديقـا لهم رغم أنـنى أرفض أفكار الكثيرين منهم.

وفى حين كنت قد بدأت أغرق فى مزيد مـن اللقاءات والمكالمات مع عشرات من الشـباب صغـير السـن ،كنت قـد عثرت علـى تحقيـقات جريـمة بشـعة حدثـت فى الولايات المتحـدة عام ١٩٩٣، كانت مملوءة ومعبـأة بنفس المفردات التى تـستخدم فى مصر.. كل شىء هناك كان يشبه كل شىء هنا، بـاستثناء القتل الذى حدث هناك فقط، ولم يحدث هنا بعد..

وبالتالى استشعرت أن هناك مصيبة تـتبلور، وأنه إذا كان التطابق إلى هذا الحد فإن الخطر قادم، وعلينا أن ننتبه.

ولكن.. ما الذى قرأته؟

جمجمة قطة!

اسمه داميان، من مديـنة ممفيس فى ولاية أركنساس بالولايـات المتحدة. فى الواقع لم يكن هـذا هو اسمه الحقيقى.. لـكنه حمل هذا الاسم بـعد أن شاهد فيلماً أمـريكياً خرافياً اسمه «التعـويذة».. تقوم الممثلة «ماى فاوست» فيه بدور البـطولة. وفيه تعاشر الشيطان.. تمارس معه الجنس.. وكان اسم هذا الشيطان فى الفيلم «داميان».

وربما يكـون هذا الشاب قد حلـم ذات يوم بأن يكون عـشيقا لماى فاوسـت، ولهذا فإنـه حين خـرج من دار العـرض بعد مـشاهدة هـذا الفـيلم أطـلق علـى نفسـه اسم الشيطـان السينمائى.. ولا سيـما أنه كان قد غرق بالـفعل فى طقوس غريبـة، ومظاهر عقيدية شاذة.

لم يكـن أحد من المحقـقين وضباط الـشرطة يعرف عـنه أى شىء حيـن بدأوا فى جمع المعلومات عن جريمة بشعة جرت فى المدينة، لولا أن ظهر جيسى.

ولكن ما الذى حدث بالضبط؟

لقد خرج ثلاثة أصدقاء من تلاميذ المدارس: "ستيف برانش» و«مايكل مور» و«كريس بايرز» فى نزهة بالدراجات إلى منطقة غابات قريبة.. فى يوم ٥ مايو ١٩٩٣.. تأخروا.. وأثار هذا قلق الآباء حين أدركت أسرهم أنهم لم يحضروا اجتماعاً لفريق الكشافة وهو ما لا يتأخرون عنه أبداً.

وحين تم إبلاغ الشرطة، وكما جاء فى ما نشره ملحق الجريمة بجريدة الأنباء الكويتية يوم ٢٣ نوفمبر ١٩٩٦، لم يتم العثور لهم على أى أثر.. إلى أن اصطدم شرطى يبحث عنهم بجثة أحدهم فى فوهة ماسورة ضخمة تصل إلى بحيرة بعد ثلاث ليالٍ من البحث عنهم.

كانت الجثة مقيدة بطريقة غريبة، اليد اليمنى فى الساق اليسرى، واليد اليسرى فى الساق اليمنى.. أى مقيدة من خلاف.. وكانت بها إصابات غريبة ومتفرقة.. وكانت عارية.. كاشفة بذلك عن جريمة قتل بشعة.. وحين تم تجفيف مياه البحيرة عثر على الجثتين الأخريين. واتضح من خلال فحص الطب الشرعى أن الثلاثة تعرضوا لخنق شديد..

لقد ظل الغموض يحيط بالقضية فترة من الوقت إلى أن قالت أم أحد الصبية القتلى أنه قبل أسبوع من الجريمة صادف رجلاً ضخماً يرتدى ملابس سوداء، أخرج كاميرا، والتقط له صورة بعد أن أخذ يحملق فيه بطريقة غريبة.

خيط آخر تم التقاطه.. فعلى بعد ميلين من موقع الجريمة قال صاحب مطعم أن إحدى زبوناته كانت فى دورة مياه السيدات حين فوجئت برجل ملطخ بالدماء يقتحم المكان مترنحاً، وأخذ يغسل يديه من الدماء، وترك بعض الآثار على الجدران.. ثم هرب حين صرخت.

خيط ثالث اتضح فى حديث أحد الذين تم استجوابهم.. حيث تبين أنه يقول كلاما متناقضا.. فتم وضعه على جهاز كشف الكذب.. وتأكد أنه يخفى الكثير.. وحين عرضت عليه صورة جثة أحد الضحايا.. انهار، وقال: «إننى لم أفعلها، لست أنا القاتل، ولكننى أعرف من فعلها».. ثم أخذ يبكى بعنف.

إنه جيسى ميسكلى.. الذى تحدث عن اثنين من المراهقين «تشارلز بروبين - ١٧ سنة» و«داميان واين إيكولز - ١٨ سنة» .. قال أنهما غارقان تماما فى حالة «عبادة للشيطان»، وإسفاف نفسى وعقائدى.. وتحدث عن أنهما كانا يقدمان أى دماء كقرابين لهذه العبادة».. كانوا يقتلون الكلاب.. وفى بعض الأحيان كانوا يأكلون أجزاء منها.. وتطور الامر معهم إلى حد البحث عن قرابين بشرية.

اعترافات جيسى ميسكلى كانت مذهلة. فلقد تبين أن القتلة لم يختاروا الضحايا ـ القرابين بعناية فقط، ولكن أيضا تبين أنهم اختاروا يوم ٥ مايو لأنه ليلة تمام القمر.. وقد قيل أن لهذا علاقة بعبادة الشيطان.

فى بيت «داميان» عثرت الشرطة على كتب بخط اليد، عن عبادة الشيطان، وهياكل عظمية، وكتب عن السادية، وأخرى عن فلسفة التضحية بالبشر.. وعثر أيضا على٢١ قميصاً أسود فى دولاب ملابسه، فضلا عن عدد هائل من السراويل من نفس اللون. وحين تم جمع المعلومات عنه تبين انه كان يمضى دائما فى طريقه وهو يحمل جمجمة قطة.. وأنه يتناول أنواعا مختلفة من المخدرات.

وأمام المحلفين أنكر المتهمان جريمة القتل، لكن هذا لم يمنع الطبيب الشرعى من أن يروى أن الجثث ضربت جميعاً على رؤوسها. وأن الغلمان - الضحايا الثلاثة ـ تم إلقاؤهم فى البحيرة قبل أن يفارقوا الحياة..

وبينما كانت تصورات الجريمة البشعة قد صدمت خيالات كل من كان يتابع الجريمة وقضيتها، وبينما كان بعض أقارب الضحايا ينقلون من حين لآخر خارج قاعة المحكمة لعلاجهم من حالات إغماء بسبب عنف الأقوال والشهادات، بينما يحدث هذا، وجدها المدعى العام فرصة كى يطالب المحكمة بأن تلقن هؤلاء الشباب وامثالهم دروسا قاسية، وقال: «إن المحكمة يجب ان توقف بحكمها انتشار مثل تلك النزعات الشيطانية والاوهام التى يروح الابرياء ضحية لها».

ودخل إلى الساحة أشخاص آخرون لا علاقة لهم بالجريمة، ولكن الادعاء استخدمهم كشهود لأنهم يفهمون فى هذه الخرافة التى تسمى عبادة الشيطان،

وخاصة أن الشرطة ضبطت فى بيوت المتهمين كتبا ورسومات عن الطقوس الشيطانية. هؤلاء الشهود تحدثوا عن مغزى التضحية بالبشر فى هذه العقائد.. وكيف أن هذه فى حقيقتها نزعات ثورية ونفسية ونوع من الخلل الروحى وستار تختفى وراءه نزعات إجرامية سادية

عند هذه النقطة انتهز المدعى العام تلك الأرضية كى يستعرض تاريخ هذه المذاهب، ومضى يهاجم الأعمال الفنية التى تساعد على نموها، لقد تحدث تحديداً عن فيلم «التعويذة» الذى أنتجته هوليوود ويجسد مفاهيم هذه الجماعات.. وقال: أن هذا الفيلم لابد أنه دفع المتهم «داميان» إلى أن يغرق فى هذه الخرافات لدرجة أنه غير اسمه كى يحمل اسم تلك الشخصية التى لعبت دوراً مؤثراً فى الفيلم.

وجرت أحداث كثيرة، ودارت أوراق القضية، والنفى والأدلة، وأدلى الشهود بمزيد من التفاصيل.. وانتهى الأمر بإدانة القتلة.

■ ■

لقد كانت جريمة بشعة..

وكانت دليلاً جديداً على الأفكار الغريبة التى يؤمن بها أتباع عبادة الشيطان.

لكننى حين قرأت أوراق هذه القضية انتبهت جيداً لأن هذا يمكن أن يحدث فى مصر، إن لم يكن قد حدث.. ليس فقط لأننى صادفت خلال بحثى فى هذا الموضوع مؤشرات وأحاديث عن قرابين حيوانية.. وليس فقط لأننى وجدت أغلب أمثال هؤلاء فى مصر يدمنون المخدرات ويميلون لمظاهر شاذة.. وليس فقط لأن فى مصر تعرض أعمال فنية تشبه فيلم «التعويذة» تؤثر فى الشباب، وقد كانت مثل تلك الأعمال هى التى قادتنى للظاهرة، ولكن أيضاً لأن الشباب الذين بدأوا يراسلوننى فى أعقاب نشر التحقيقات فى روز اليوسف بدأوا بالفعل فى الكشف عن أحداث قريبة الشبه، يمكن أن تؤدى إلى نفس الجرائم.

ومن هذه المراسلات انتقيت الخطاب الذى سيدور عنه الحديث التالى.

شرب الدم!

لم يذكر هذا الشاب صاحب الخطاب اسمه مثل عشرات غيره أرسلوا اعترافاتهم وتعقيباتهم لي. فقط قال في وصف نفسه «عمري ١٨ سنة.. أحب مصر.. وأحب الشيطان».

لقد كان فى البداية يهوى سماع أغانى الفرق الاجنبية التى تحب الحياة.. مثل «ايرن ميدن» و«بينك فلويد» و«ميتاليكا» حتى سمع من بعض أصدقائه ان هناك نوعا أقوى وأسرع من الموسيقى اسمه «الديث ميتال».. فحاول أن يهوى سماع هذه الموضة الجديدة من الأغانى. وربما لجأ لهذا النوع لاسباب لها علاقة بالحديث عن القوة والسرعة.. وربما نقلوا إليه انطباعا عن أن هذه هى فنون الأقوياء. وخاصة أنه حين سمع هذه الأغانى فى المرة الأولى قالوا له: «إنك مجرد سميع مبتدىء.. وهذه الأغانى سوف تدمر دماغك».. التعبير المنقول هنا طبق الأصل كما جاء فى الخطاب..

هذه الكلمات استفزت فيه الإحساس بالتحدى.. ولأنه ـ كما قال ـ عنيد بطبعه، ذهب إلى محل متخصص فى مثل هذه الأغانى، ودخل، ودفع ١٥ جنيهاً، وطلب تسجيل أسطوانة ليزر على شريط كاسيت لإحدى فرق «الديث ميتال».

وقال فى خطابه الذى أسماه «اعترافاتى»: «وضعت الشريط فى الكاسيت، سمعت صوت المطرب ووجدته كأنه إنسان يحتضر، قرأت كلمات الأغانى فوجدتها كما يقولون كلمات قادمة من الجحيم.. لم أنم.. لم أستطع النوم تماما. وأخذت أفكر فى هذه الكلمات الغريبة».

فى اليوم التالى ذهب لصديقيه «ح» و«إ».. شابان من الإسكندرية اسماهما معروفان فى هذا العالم.. شقيقان.. عندهما فرقة موسيقية تغنى هذا النوع من الأغانى.. يعيشان فى ميامى.. طلب رأيهما.. قالا له: لماذا لا تنضم لنا.. تصور أنهما يقصدان أن يصبح عضوا فى الفرقة الموسيقية.. وافق فوراً.. فقال له أحدهما: «قابلنى غدا فى محطة ترام سبورتنج.. الموعد فى السادسة مساء».

فى الميعاد كان الشاب قد حضر.. أخذه أحدهما إلى كافيتريا صغيرة «على البحر».. اتضح له فيما بعد أنها مكان تجمع مستمعى «الديث ميتال».. رفض أن يصطحبه معه إلى الداخل وبرر هذا له بقوله: «إن وجهك غير مألوف»..

فيما بعد اكتشفت آن هذه الكافيتريا لا يدخلها إلا من هم من أعضاء هذه الجماعات، هى مكان مغلق، ردئ، مغطى من الداخل بصور الفرق الشيطانية، ودائماً ما تبث آجهزة الكاسيت آغانى الروك الشيطانى، وإذا حدث ودخل المكان شخص غريب ،دائماً ما يقابل بمعاملة سيئة حتى يخرج ويترك المكان لرواده ـ الملحوظة للمؤلف .

من داخل الكافيتريا خرج إليه شخصان..قال له أحدهما: هل تريد أن تنضم لنا..قال بدون تردد: نعم. ثم دخل. أسمعوه إحدى أغنيات فرقة «داى سيد».. وعاد كل منهم إلى منزله.. لكنه فى هذا اليوم كان سعيداً تماماً بأنه سوف ينضم إلى فرقة موسيقية ويسمع الموسيقى التى يحبها.

لم يكن يدرى أن كلمة «هل تريد أن تنضم لنا » تعنى الانضمام للجماعة.. ولكنه بعد أسبوع اكتشف طبيعة الموقف.

وأخذوه إلى ما يمكن أن نطلق عليه اسم «معبد الشيطان» فى مصر.

المكان فيللا على البحر فى العجمى البيطاش. حضر الشاب ومعه جيتاره.. وضعه جانبا.. أخذه أحدهما إلى البدروم حيث كانت المفاجأة التى أصابته بالصاعقة.

قال واصفا إياها ـ أى الفيللا ـ : كل جدرانها مدهونة باللون الأحمر القاتم.. السقف أسود.. على الأرض كانت هناك نجمة مرسومة بعناية ودقة.. وفى كل زاوية من الغرفة كانت توجد شمعة سوداء.

ظل من معه صامتا حتى انتبه الشاب من الصدمة، ثم قال له فى هدوء: نحن نعبد الشيطان.. نريدك معنا.

و«شل لسانى».. «لكننى وافقت».. وفرح أعضاء الفريق بالعضو الجديد الذى سوف يمثلهم وينشر دعوتهم.. جعلوه يشرب كوب دم كامل وحده.. كنوع من الكرم والتحية.. «وظللت معهم يوميا، واهملت دراستى، واطلت شعرى وشاربى ولحيتى، وصرت أحرص على ارتداء الملابس السوداء، وأحمل خنجراً ذا نصل حاد

لأن الأسلحة النارية محرمة عندنا.. وصرت حاد المزاج، أكره كل شىء، لا أحب الخير».

■ ■

انتهى الخطاب الكارثة.

ولقد صدمنى.. وأكد لى أن هناك شيئاً خفياً يحدث رغم كل ردود الأفعال التى تلقيتها من هواة موسيقى الروك ويرفضون فيها ما يزعمون أنه خلط بين سماع الموسيقى وواقع غير موجود.

لقد كان الخطاب يشير إلى أكثر من مغزى خطير:

١ - أن الموسيقى ما هى إلا غطاء.

٢ - أن هناك جماعة لها شكل وطقوس وأماكن خاصة مغلقة.

٣ - أن هؤلاء لديهم مؤشرات عنف واضحة للغاية يؤكدها شرب الدم.. وحمل الخنجر الحاد.

٤ - أن لديهم عقيدة خاصة، الأساس فيها هو الشيطان، وأنهم يمكن أن يقدموا القرابين .

٥ ـ أن هناك سعيا لجذب مزيد من الشباب عن طريق الموسيقى، وأن هذا السعى هدفه تدمير هذا الشباب وخاصة لأنه لا يوجد تدقيق واضح فى طريقة ضم العضو الجديد.

٦ -أن الفيللا تشير إلى نوع الطبقة الغنية التى ينتمى لها هؤلاء.

٧ - أن الانضمام سرعان ما يحول الشاب إلى كائن آخر.. كاره للمجتمع.. متمرد.. غاضب.. يمكن أن يفعل أى شىء.

وبينما كنت أدون هذه الملاحظات كنت أتلقى مزيدا من المعلومات والتفاصيل عن هذه الظاهرة فى مصر.. كنت أجد على مكتبى فى صباح كل يوم فى روز اليوسف خطاباً، أو مذكرة من زميل ينبهنى إلى اتصال أحد الشباب بى، وأنه يريد أن

يتكلم، وكنت أتلقى بنفسى عشرات من الاتصالات، كان أكثرها إثارة ذلك الذى لم يرد صاحبه أن يكشف عن نفسه.

■ ■

الصلاة فى صحراء سقارة!

قال: لا.. لن أقول من أنا.. يمكن أن تطلق علىّ اسم عزيز.. إننى معروف فعلاً بين أصدقائى بهذا الاسم.. لكن هذا ليس اسمى.

وحين تكررت الاتصالات بيننا عرفت أنه من المعادى.. وأنه يدرس الهندسة.. وفيما بعد عرفت أنه يدرس فى معهد خاص بمدينة العاشر من رمضان وأن أباه يعمل فى مجال الأمن.. وربما لهذا كان ابنه الذى يتصل بى يحتاط تماماً حين يحدثنى: «إننى لا أريد أن أتسبب فى مشاكل لأبى.. إنه فى موقع حساس.. ولهذا فإننى لن أعطيك رقم تليفونى.. وعلى فكرة، إننى الآن فى منزل إحدى صديقاتى.. وسوف أخرج من عندها بعد دقائق».

وكان عزيز فى كل مرة يجدد موعداً للاتصال بى، يتصل فى موعد آخر مختلف تماماً.. متصوراً أن خطوط التليفون تحت الرقابة.. وأننى سوف أصل إليه من خلال هذه الطريقة.. كان إحساسه الأمنى عاليا جداً.. لكنه فى النهاية قال كلاما هاما، بعد أن أضفى أجواءً من المغامرة والريبة على الطريقة التى يفضل أن يقول بها هذا الكلام.

قال: لقد تعرفت على هذه الاتجاهات فى السعودية.. كنت أدرس هناك حيث يعمل أبى.. وقد كنا وقتها إبان حرب الخليج نرى القوات الأمريكية فى بعض مناطق الرياض، حيث رأيت عبدة الشيطان الأمريكان.. وحيث عرفت أن هذه الموضة بدأت تخرج من بينهم ومن خلال بعض زملاء الدراسة الشوام.. وكنت أخرج معهم إلى مناطق خارج العاصمة السعودية.. وكنت أرى هناك ما رأيته فيما بعد حين عدت إلى مصر فى المعادى.

إنهم هناك جماعات غير موسيقية .. ليس لهم علاقة بهؤلاء الشباب الذين يجرون وراء مظاهر وتقليد أعمى فى حفلات الروك.. هؤلاء فى المعادى يؤمنون بالعقيدة..

وقد رأيتهم أيضاً فى جامعة ٦ أكتوبر وأظن أنهم يميلون للعنف.. خطرون.. ولعلك تسأل عن جرائم القتل التى قيدت ضد مجهول فى قسم مدينة ٦ أكتوبر.. ربما يكون الضحايا قرابين.

لكنه انتقل لحديث أكثر دقة.

قال: لقد حضرت إحدى صلواتهم فى مصر.. إننى فضولى بطبعى.. وقد أوهمتهم أننى سوف أنضم لهم. ذهبت معهم فى سيارة خاصة إلى صحراء سقارة.. فتحوا السيارة.. أداروا جهاز الكاسيت فيها.. ارتفع صوت الموسيقى الصاخب فى صمت الصحراء.. رسموا نجمة خماسية على الرمال. وضعوا فى منتصفها شمعة سوداء.. وقف كل منهم على رأس من رؤوس النجمة.. ولهذا فإن هذه الطقوس لا تتم بعدد أقل من خمسة أشخاص.

ثم مضى يروى المزيد: أحضروا موسى. أحدث كل منهم جرحا تسيل منه الدماء فى كف يده اليسرى ثم مدوها ـ أى أيديهم ـ بجانب كل منهم.. وأخذوا يتلون تراتيل لا أذكر منها شيئا.. لأننى لم أفهمها.

سألته حين أدركت غرابة ما يرويه، وغرابة ما حدث: هل بينهم أجانب؟

أجاب: نعم .. إن فيهم دى. چى أمريكى اسمه جاكسون.. يتحدث ببعض الكلمات العربية.. يعمل فى بعض فنادق المعادى.. عيناه جاحظتان.. شعره طويل.. يبدو عليه إدمان المخدرات.. لكننى لا أعرف له مكانا يمكن أن تصل إليه من خلاله.

والـ «دى چى» لمن لايعرف هو الديسكو چوكي، أو الشخص المختص بتشغيل واختيار أسطوانات الموسيقى التى تعزف فى الحفلات.

■■

ولم تتوقف اتصالات عزيز الغامضة معى، وكان فى كل مرة أنشر فيها مقالاً عن هذه الظاهرة فى مجلة روز اليوسف ينبهنى إلى أن اللعبة ليست موسيقية.. وأن هناك من لا يلعبون. وفيما بعد سمعت معلومات غير دقيقة عن مجموعة مشابهة فى مدينة

نصر لم أصل إلى تأكيد عن وجودها.. لكننى انتبهت فى كلام عزيز إلى جرائم القتل فى مدينة ٦ أكتوبر.. وحين بحثت صادفت جريمة غريبة وشاذة حدثت فى الجامعة الخاصة فى المدينة وتورط فيها بعض الطلبة.. لم تكن الجريمة ذات علاقة بعبادة الشيطان. لكنها كانت تؤكد أن هناك اتجاهات غريبة وشاذة بين شباب مصر. ذلك أن شابا قتلته مجموعة من زملائه باستخدام سيارة لاند روفر لأسباب تافهة.

وكانت تلك بعض دلائل العنف الجديد.. عنف من نوع خاص جداً. وهو عنف بين شباب أغنياء.. يفعلون أى شىء حتى لو وصل الأمر إلى حد القتل. وقد اهتممت برصد هذه الحادثة لأنها تعبر عن هذا الاتجاه، ولأنها فى نفس الوقت تشير إلى طريقة تفكير جيل مختلف فى جامعات مختلفة.. ولاسيما أننى رصدت اتجاهات حول هذه اللعبة الدينية الموسيقية فى أماكن مثل تلك التى حدثت فيها جريمة القتل.. رصدت ذلك فى الأكاديمية البحرية، وفى الجامعة الأمريكية، وفى جامعة مصر الدولية.. وفى نفس الوقت رصدت هذا فى كلية تجارة القاهرة، وتجارة عين شمس.. وفى المعاهد.. مثل معهد الحاسب الآلى فى مساكن شيراتون ومعهد الحاسب الآلى فى ميدان الحجاز.

إن هذا الشباب المقبل على عادات غريبة من كل نوع هو الذى تجمع ممثلون له فى حفل خاص فى أحد كازينوهات الزمالك، وأقدموا على أفعال شاذة من نوع غامض، جعلتنى أوجه بوصلة التفكير فى اتجاه عبادة الشيطان بالضبط.

حفل المجانين

اسمها «إنجى»، طالبة، قصيرة، رقيقة، مغنية فى فرقة لها اسم غريب: فايبر.. أى سم الثعبان. هى التى اتصلت بى، وأدلت لى بمعلومات عن هذا الحفل الغامض فى الزمالك. وكان هناك آخرون غيرها قد فعلوا ذلك معى أيضاً.. لكننى أذكرها لأننى فوجئت باسمها فيما بعد فى قائمة المتهمين فى قضية عبادة الشيطان رغم أنها لم يكن لها دور ما فى الموضوع، اللهم إلا الاعتراض على التقليعة.. صحيح أنها خرجت فى اليوم التالى بكفالة مالية، لكن الصحيح أيضاً أن أخاها ألقى القبض عليه، وظل يعانى من قرارات تجديد الحبس.. وكان هذا يعنى أن هناك شيئاً ما خطأ.

لقد وصفت لى «إنجى» حالة سائق تاكسى كان يوصل ثلاثة شبان إلى مكان هذا الحفل. قالت: كان السائق منزعجا للغاية. وكان يبدو وكانه يريد التخلص منهم باى شكل، حتى دون أن يحصل على أجرته. كان شكلهم غريبا للغاية، يرتدون ملابس ملفتة جداً، عبارة عن صديريات على اللحم .. وبدت صدورهم وأذرعهم عارية تماماً.. وفوق كل هذا كانوا يغطون وجوههم بمساحيق سوداء جعلتهم يشبهون الأشباح.. أو كومبارس أفلام الرعب.

لقد كان هؤلاء دليلاً على أن ما سيحدث بعد قليل لن يكون عادياً أبداً.

كانت الليلة فى نهاية الأسبوع، الخميس، وكان الوقت بعد عيد الفطر مباشرة فى عام ١٩٩٦، حين نظم شاب سمين أصلع هو «خالد الحنجورى» حفلة روك من نوع غامض جداً فى ذلك الكازينو المعروف باسم قصر فرساى.

لقد تحدث بعضهم فيما بعد فى التحقيقات فى نيابة أمن الدولة أن هناك حفلا يجب أن يقام بعد شهر رمضان احتفالا بالإفراج عن الشيطان من قيوده.. رداً منهم على القناعة الإسلامية التى تؤمن ـ ونحن نؤمن بها ـ أن الشيطان يكون مقيدا فى شهر رمضان.

إن «الحنجورى» الذى يزعم دائماً أنه لا يكسب شيئاً من وراء هذه الحفلات نجح فى جذب نحو مائتى شاب لهذا الحفل، وتمكن من دعوة أكثر من فرقة لتغنى لهم ما يريدون. وعلى الرغم من أن هذا شيء يتكرر كثيراً، إلا أن الليلة بدت منذ البداية غير عادية بسبب عدة أشخاص غرقوا فى التقليد الأعمى.. ربما يكون طبيعياً أن يكون بعض هؤلاء مخدراً، وربما يكون عادياً ـ على الأقل بين هؤلاء ـ أن ترى شابا أطال شعره حتى منتصف ظهره، ودهن وجهه بالمساحيق. لكن غير العادى على الإطلاق هو أن هؤلاء تجمعوا حول المسرح حين صعدت فرقة أسمت نفسها باسم «غير مقدس» وبدأت لحظتها ما يمكن القول أنه «صلوات الشيطان»... هذه الفرقة من الإسكندرية، وكان يصاحبها فى رحلتها إلى القاهرة باص من المتابعين لها، حضروا من الثغر خصيصا لهذا الغرض، وعند نقطة معينة من الغناء أحضر شاب اسمه «أمير» صليباً خشبياً مقلوباً مدهوناً باللون الأبيض، وبدأ بعض الحاضرين فى هز الرؤوس والترتيل غير المفهوم لهذا الخشب.

لقد انزعج كثير من الشباب الذى حضر الحفل تماماً مما يحدث، لكن هذا لم يوقف المجانين.. ومضوا فى لعبتهم الموسيقية البلهاء حتى النهاية، وصعد بعضهم إلى المسرح، ثم قفز من فوقه، وانتبه الأمن فجأة إلى ما يجرى. وجاء مسئولو المكان يرفعون من بين أيديهم الصليب المقلوب، فدخلوا فى نزاع مع الشباب المجنون. وتحطم الصليب، وجرى البلهاء.. كل منهم يحاول خطف قطعة منه.

لقد رأى العشرات هذا، وروى لى الواقعة بالتفصيل سبعة أشخاص على الأقل، كانت بينهم إنجى، وقد ترك بعض منهم المكان حين شعر أن ما يجرى ليس حفلة عادية. لكن منظم الحفل «خالد حنجورى» أنكر ذلك، وقال: لقد كان هذا بعض التهريج. وحين اعترض عليه شاب من حدائق القبة اسمه أمير ـ وهو غير أمير الذى رفع الصليب ـ قال له: «كبر دماغك».

لقد كان ما حدث فى الزمالك ذا معنى واضح، وهو أن اللعبة دخلت مساحة خطرة للغاية، حتى لو كان هؤلاء الشباب لا يفهمون أن ما يفعلونه هو نوع من طقوس السحر الأسود، كما سنوضح فيما بعد.. لكن أمير الذى رفع الصليب المقلوب كان له رأى آخر.

الروشنة

كان ذلك فى عصر يوم فى منتصف الأسبوع، حين اتصل بى أمير.. إنه شاب من أولئك الذين تورطوا فى اللعبة، لدى أخيه محل فى مركز تجارى بمصر الجديدة يبيع أدوات هذه اللعبة. وفى الاتصال قال لى أمير: «حضرتك إحنا كنا بنروش.. بنقلد تقليد أعمى..» ثم أمسكت صديقة له بسماعة التليفون وقالت لىّ ما يؤكد نفس المعنى.. وكلمة: «بنقلد تقليد أعمى» ذات معنى واضح.. وهو أن هذا سلوك بلا هدف.. خاو من المغزى. .شكل فقط.. وصاحب هذا التقليد حين يصفه بأنه «أعمى» فإنه يؤكد على معانى الضياع التى نرصدها بين هؤلاء. ويشير إلى حالة من الإحباط تدفع إلى فعل أى شىء مختلف وغريب حتى لو كان إطاره الشكلى هو عبادة الشيطان.

والذين يـفعلون هذا يقـومون به تحت بند «الـترويش».. ،والترويش هـو لب هذه المشكلة التى نعالجها فى هذا الكتاب.

إنهـا كلمة ذات مـعنى غامـض، لكنهـا توحى بالـرغبة فى لـفت الأنظار وممارسة السلوك الغـريب. ويمكن رصدها فى إطـالة الشعر والملابس السـوداء والرسوم التى تدق عـلى الملابس والأجـساد، ويمكـن رصدها أيضـاً فى الألوان القـاتمة فى ماكـياج الفتيات حين يلجأن إلى هذا كنوع من الإثارة القبيحة.

و«الترويش» أو «الروشنة» رغبة فى الصراخ، فى إثارة انتباه المجتمع الذى لا ينتبه، وهو ما يؤدى إلى إحباط جـديد لأن حيلة هذه النماذج لم تكن مجديـة فى لفت انتباه الآخرين.. ومن هنا يتم تصعيد «الترويش» إلى مرحلة أخرى أشد قسوة.. هى مرحلة «الهـرتلة».. أى الـتخريف.. الـذى وصل فى حـفل مجـانين الزمـالك إلى حـد رفع الصليب المقلوب.

ولأن المجتـمع لم يزل عـند هذا المسـتوى من الـتجاهل، ولـم يزل مصراً حـتى أن يتعامـل مع ما يقوم به هـؤلاء على أنه «لعب عـيال».. كان ذلك يعنـى أن يصر هؤلاء على عنادهم. وأن ينـطلقوا باللعبة إلى أقصى مدى.. وأن يصـروا على حفلاتهم. وأ يوزعـوا منشـورات الدعاية لـها وهى تحـمل صورة ابـنة الشـيطان المزعـومة. وكأنـها محاولة لإثارة أحاسيس العائـلات والأسر والآباء والأمهات والدولة والأجهزة وكل شىء. ولكـنها محاولة تـتطور إلى حد تـعرية النفـس وكشف العورة وخلـع ملابس المجتمع ثم وضعه أمام مـرآة فاضحة كى ينتبه.. ولكنه لا ينتبـه.. وبالتالى مضى هؤلاء فى محاولة لفت الأنظار من خلال طريقة بـدت وكأنها ضرب المجتمع على قفاه كى يفيق.

والواقع أن هذا الجيل الذى تنـتمى غالبيته لعائلات غنية، اختـار كى يعبر عن حالة «الترويـش» تلك نوعا من المـوسيقى المختلـفة، التى يسـمح إطارها الواسع بمـزيد من

«الهرتـلة» خاصــة أنهـا نجحت فى الخـارج فى لفت الأنظـار، والدليل عـلى ذلك الشهادة التالية.

موسيقى الشيطان!

اسمه جـون بول ريچيـمبال قس مـسيحى من كـندا، عمره خـمسون سنـة، يقدم برامج فى الإذاعة عن الموسيقى والروك. لا يعرف أحد من الذى يموله، ولا من الذى يقف بجانبه فى هـذه الحملة الدولية ضد موسيقى الروك بوجه عـام.. لكنه يقول على شريط الكاسيت الذى وصلنى عن طريق سـيدة عجوز تعيش فى شارع طلعت حرب وترجمتـه لى الزميلة جـيهان عسكر: «قـبل أن أكون قساً فأنـا مؤمن بتحريـر العقول، أنشر كلمـة الرب فى ٥٣ بلداً مختلفاً، وأهـتم بتعليم الشباب مـا بين ١٥ و ٢٥ عاما، وأنا أيضا متخصص فى الإجرام النفسى».

إنه مبشر إذن، ويبدو أنه وجد أن موسيقى الروك تجتذب الآلاف من الشباب بعيداً عن مواعظه، وربما يكون هذا قد لفت نظره.. لكن ما أثار انتباهه أكثر هو «تلك الموجة من الانتحار والعنف من خلال ثورة اجتماعية وثقافية أحدثتها موسيقى الروك.. ولقد رصدت ١٨ حالة انتحار فى خلال عام واحد داخل مونتريال -حيث أعمل - لشباب بين سن الخامسة عشرة والحادية والعشرين».

ويقول نـفس القس: «لـقد أجريت أبحـاثاً حول هذه الحالات، فـاتضح أن سبـبها الأساسى هو موسيقى الروك.. هذه الموسيقى التى ما هى إلا ضوضاء شيطانية».

وقد بنى هذا القس نظريته كما يبدو مـن عنوان محاضرته تلك على أساس نظرية «اختراق الـوعى الإنسانـى من خلال الموسيـقى». والمعنى أن هـناك رسائل تـصل إلى المستـمعين من خلال المـوسيقى الصـاخبة والأغانى الـصارخة. بل إنه يقـول فى جرأة يحسد عليها: «لا يمكن لأى شخص ادعاء أن موسيقى الروك ذات تأثير إيجابى، إنها مثل عازف ناى ساحر، يقود بسحره جيلا بـأكمله من الشباب إلى الدمار.. هناك ثورة تنمو وتتكون، لا تنـتمى لأى حزب سياسى.. ليست لديها أيدلوجـية.. ثورة متسلطة..

اجتماعية.. اقتصادية.. أخلاقية.. ثقافية.. اختارت أن تعترف بتطرفها من خلال الموسيقى والأغانى، والفرق الشهيرة للروك أندرول».

ويمضى فيقول: «فى البداية لم يعتقد أحد أن هذا شىء جاد، فاعتقد الجميع أن هذه الموسيقى شىء عابر، وقالوا إنها موضة، أو تقليعة ليس أكثر.. ربما تشبه رقصة التشارلستون أو رقصة البوجى ووجى أو التويست. لكن ظاهرة الروك أندرول التى بدأت مع الخمسينيات دفعت العالم لأن يعرفها بموجة من الدماء والقرابين الإنسانية.. وبعد ذلك بثلاثين عاما صارت من أكثر الوسائل تأثيرا فى الروح والجسد، وكأنها خرجت من الجحيم».

وربما يكون من الملائم أن تكمل قراءة محاضرة هذا القس الكندى حتى النهاية، وخاصة أن بها معلومات تاريخية وأبحاثاً علمية.

لقد تحدث بوضوح عن نشأة هذا النوع من الموسيقى.

قال: بين عامى ٥١ و١٩٥٢ ظهر فى الولايات المتحدة مطرب اسمه «ليتل ريتشارد» أجرى تعديلاً فى سرعة موسيقى الزنوج «الريزم أندبلوز». وفى خريف ١٩٥٤ ظهر فيلم أمريكى شهير بعنوان «غابة الصبورة» اشتهرت من خلاله الأغنية المعروفة «روك طوال الليل» Rock around The clock ألفها ملحن اسمه «بيل هيلى». ثم جاء «دى.جى» ـ أى ديسكو جوكى ـ وأطلق على هذا النوع من الموسيقى اسم «روك أندرول» أى الهز والتدحرج.

وانتشرت بين الأحياء الفقيرة حتى جاء الفيس بريسلى.. لم يكن أحد قد سمع باسم هذا الشاب من قبل. كان وسيماً وجذاباً. تجمع الكثيرون حوله. واستطاع أن يطور الفن الجديد إلى إيقاع مختلف لم يكن أحد قد سمعه من قبل.

يقول القس ـ أويزعم إذا شئنا الدقة ـ إن الفيس بريسلى بدأ ثورة بين الشباب أدت بهم إلى رفض كل القيم الدينية والاجتماعية المفروضة عليهم(!) كان يجد سعادة فى التأثير فى الشباب.. ليس فقط من خلال موسيقاه ولكن أيضا من خلال الحركات

البذيئة التى كان يرقص بها على نغم موسيقاه. واستطاع أن يبعد أكثر من مليون شاب حول العالم عن التعاليم الدينية. وأن يؤثر تماما فى غرائزهم.. وأن يمجد الحب الجنسى فى أغانيه ورقصاته.

وانتقل الروك أندرول من الإيقاع الأهدأ (السوفت روك) إلى الروك الصاخب ـ أو الهارد روك ـ وهو توليفة من الإيقاع السريع والصوت المرتفع والعزف العنيف.. هدفه إغراق المستمع فى حالة من الإثارة والغضب الداخلى.

وحين ظهرت فرق مثل البيتلز «الخنافس» والرولنج ستونز والـ«هو» كان الشباب قد بدأ يتعرف على عقار الهلوسة L.S.D وارتبطت هذه الموسيقى عند الكثيرين بالمخدرات ـ سوف نلحظ هذا فى مصر بوضوح (المؤلف) ـ وظهر الآسيد روك.. أى الروك المخدر.. وصور فريق الخنافس أغنية «الغواصة الصفراء» التى تعطى انطباع هلوسة المخدرات، وغنى فريق «الرولنج ستونز» أغنية «السكر البنى» عن الكوكايين.. وظهرت أغنية «السيدة الفضية» عن حقنة المخدرات. وقال أحد المغنين «ايبى هوفمان»: الروك هو مصدر الثورة التى تمجد الحياة عن طريق المخدرات.

إننا لم نزل نقرأ محاضرة القس الكندى جون بول ريجمبال.

يقول: من خلال المخدرات بدأت تظهر ميول ماوراء الطبيعة، والقوى الخفية، وظهرت مجموعات من الشباب تمجد السحر والشيطان ومع صدور ألبوم «الشيطان الأبيض» بدأت تظهر رسائل تتحدث عن الشيطان وتدعو إلى عبادته.. وهو ما لم يكن قد حدث من قبل أبداً فى عالم الموسيقى. وظهرت فرق مثل «بلاك ساباث»، «ليدزبيلين»، «ستيكس» وصارت الدعوة إلى عبادة الشيطان.. صريحة جدا.

هناك ثلاثة أسباب دفعت إلى هذا الاتجاه:

١ ـ اندفاع الفنانين أنفسهم إلى تلك المعتقدات.

٢ ـ ظهور منظمات عالمية حول السحر والشيطان.. مثل: «جمعية الساحرات العالمية»، و«جمعية ساحرات ويلز».

٣ ـ الأساليب المؤثرة والمبهرة فى الدعوة لعبادة الشيطان.

إن تلك الأسباب هى التى تقودنا إلى شهرة فريق ليدزبيلين فى كاليفورنيا. والذى أخذت معه ثورة الروك طريقا آخر، لاسيما بعد أغنية: «درجات تؤدى إلى السماء».. وبعد تلك الأغنية غريبة المعانى تشكلت فى الولايات المتحدة لجنة دستورية لحماية المستهلك من هذا النوع من الموسيقى. وأُمرت شركات الأسطوانات أن تكتب على غلاف الأسطوانة ما إذا كانت أغانيها تمجد الشر أم لا.

إنها أغان توجه معانى تؤثر فى المستمع من خلال الأذن، ثم العين، ومنها إلى العقل الباطن. حيث يحتفظ الإنسان بالرسالة التى تتضمن التطرف الجنسى والدعوة للعنف والانتحار والقتل. بل إن بعض الشرائط يمكن فهم رسائلها إذا تم الاستماع إليها بالعكس.

وهناك أربع سرعات.. عادية وكبيرة وعالية ومتنوعة.. ومن خلال الإيقاع يتأثر العقل الباطن حتى بدون أن يفهم المستمع كلمات الأغنية.. لأنه ـ أى الإيقاع ـ يؤثر فى وظائف الجسم، ويؤدى إلى زيادة الأدرينالين، ويثير ردود فعل جنسية متباينة.

وكما يقول نفس القس الكندى فإن بعض الأسطوانات تطبع عليها علامات وإشارات.. تؤدى إلى تغيير كميائى فى الجسم يساوى تأثير حقنة مورفين. ويؤدى الصوت الصاخب إلى شعور بالغرابة والعنف.

هناك أيضا أسلوب «سترو بوسكوب».. وهى آلة تسرع من تأثير الضوء والظلام.. وهذا التأثير يؤدى إلى تغيير فى قدرة الحكم ورد الفعل.. ويصبح الإنسان فاقدا لقواه وضعيفا تماما أمام الرسائل التى تمجد الشيطان.

وضرب القس أمثلة على هذه الرسائل:

لقد قال جون لينون ـ زعيم فريق الخنافس ـ «نحن أشهر من المسيح، فإما أن تختاروا المسيح أو أن تختاروا الروك».

وقال فريق بلاك ساباث فى إحدى أغانيه: «يامسيح أنت المجرم».

وفى أغنية لفريق «الرولنج ستونز» عنوانها «التعاطف مع الشيطان».. يقول الشيطان: «أنا رجل غنى، لى ذوق رفيع، أنا السبب فى عذاب المسيح على الصليب».

ومع نجاح الرسائل الخفية، انتشرت الرسائل الصريحة، ففى أغنية «أجراس الجحيم» تمجيد واضح للجحيم، والشيطان الذى يقول فى الأغنية: «أنتم شباب، لكنكم ستموتون، وتسمعون أجراس الجحيم».

وقد غنى فريق يحمل اسم «عائلة كيندى الميتة» أغنية عنوانها: «أقتل الأطفال».

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل امتد إلى إيمان النجوم أنفسهم بهذه الأفكار. ومنهم أليس كوبر ـ وهو ذكر لكنه يحمل اسم أنثى ـ وقد تحدث عن أنه حضر جلسة تحضير أرواح، ظهر له فيها أحد الجان، وقال له أنه سوف يعطيه المال والشهرة فى مقابل أن يبيع له جسده.. أى أن يدخله الجان ويتقمصه، وقد قال أليس كوبر: لقد قبلت العرض، وبدلت اسمى إلى اسمه.. فصار «أليس».

ونيك جاجر، الكاهن الأعظم للشيطان، كما يصف نفسه، ونجم فريق «رولنج ستونز» وهب نفسه للشيطان من خلال «منظمة الفجر الذهبى».. وقد دخلها صديقه كيث ريتشارد، ودخلها أيضا المطرب الغريب «أوزى اسبن» ـ أوزى اسبن صعد ذات مرة إلى مسرح يغنى عليه، ووضع ديناميت فى مؤخرة خنزير، وفجره فى الحفل.

(الملحوظة للمؤلف)

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد لدى القس ريجيمبال.. إذ مضى يشرح نظريته بحديث عن التأثيرات الطبية السيئة لموسيقى الروك.. قال: إنها تؤثر على البصر، والعمود الفقرى، والجهاز العصبى. وقد اكتشف طبيب اسمه «بوب لارسون» مع فريق طبى أجرى أبحاثا على أكثر من مائتى شخص أن هناك تأثيراً لهذه الموسيقى على التنفس. وأنها تتسبب فى ضيق القصبة الهوائية.. «إنها موسيقى تلعب على جسد الإنسان وكأنه آلة» وتسبب عدم توازن الهرمونات. وفى الحفلات يؤدى الصوت الصاخب إلى الإصابة بالعقم بعد سن الخمسين. وإذا ما نظر الإنسان فى إضاءة الليزر فإنها تدمر عدسة العين. وعديد من صالات الديسكو تقدم هذا النوع من الإضاءة مما يسبب بقعة على عدسة العين تؤدى إلى عمى نفسى لاعلاج له. وانتقال الإضاءة من الظلام إلى النور بسرعة مرات متكررة يؤدى إلى شعور بالقيء والهلوسة وقد منعت بلاد مثل بريطانيا هذا الأسلوب.

ويقول طبيب اسمه ادم سميث أجرى أبحاثا طوال عشر سنوات على تاثير هذه الموسيقى: «إنـها اقوى من المخدرات فى تاثيرها على الجسد، وتسبب عسر الهضم، الشد العصبى، والخوف».

ويقول القس ريجيمبال: «من الناحية النفسية هى تؤدى إلى عنف، وفقدان فى التركيز وتؤثر على الذكاء، وتؤدى إلى هيستريا وهلوسة وتدخل الإنسان حالة من التنويم المغناطيسى، وحالة اكتئاب، ورغبة فى الانتحار، كما ذكر د. ماكس دافرتى ود.والترايت».

أضاف: إن خطورة هذه الموسيقى تكمن فى موضوعاتها، فهى تتحدث عن الجنس والمخدرات والثورة وعبادة الشيطان وكره الدين.. والمشكلة أن نجوم الروك أندرول صاروا معبودى الشباب.. والفتيات خصيصا يعلن أنهن على استعداد لفعل أى شىء فى سبيل النجم. وبعد أى حفلة غنائية يمكن لهذه الفتاة من المعجبات أن تستجيب للنجم جنسيا، أو تهب نفسها ضحية لإحدى حفلات العبادة السوداء.. دون أن ننسى حالات انتحار المعجبين كما حدث عند اغتيال جون لينون. وفى إحدى حفلات «البيتلز» مات وجرح أكثر من مائة شخص خلال ٣٠ دقيقة. وفى ملبورن بأستراليا أصيب ألف شخص خلال أحد مهرجانات الروك. وفى لبنان استخدم البوليس خراطيم المياه لتفريق هيستريا جماعية فى حفل روك. وفى عام ١٩٦٦ جذب حفل لفريق الرولنج ستونز نحو ٣٠٠ ألف شخص وأصيب كثيرون بالاختناق ومات آخرون بالمخدرات. وفى عام ١٩٧٥ وفى مدينة سينسناتى مات ١١ شخصا تحت أقدام ١٨ ألف متفرج جاءوا حفلا لفريق «هو» ورغم ذلك بدأ الفريق الحفل وكأن شيئا لم يحدث.

انتهت شهادة القس جون بول ريجيمبال.. وهى شهادة خطيرة للغاية، لكنها فى النهاية لم تدع للقضاء على الروك أندرول وسجن نجومه، والحكم على فرقه بالإعدام.. إذ قال: «مايهم فعلا هو زيادة الوعى الموسيقى والشعرى لدى الشباب، بحيث تكون الموسيقى عنصرا يسمو بالروح والقلب والعقل. والموسيقى العالمية بها الكثير مما هو مفيد وجميل غير الروك».

والواقع أن هذا ينقلنا إلى مصر مرة أخرى.. فقد اتجه الآلاف من الشباب لهذا النوع من الموسيقى، ومنه إلى لعبة عبادة الشيطان، لأسباب كثيرة منها: أنه لايوجد بديل.. وهذا أمر هام للغاية، سوف ندلف إليه أولا من خلال شهادة شاب مصرى قرأ ما كتبته، وأرسل لى تعقيبا مطولا حول الموضوع.

لعب العيال

لم يذكر اسمه، فقط رمز إلى نفسه بأنه «شاب من المنوفية»، ووصف نفسه بأنه على قدر من الثقافة والاطلاع، عمره ٢٢ سنة، له بعض التجارب فى كتابة القصة القصيرة، وقال أنه حين كتب هذا الكلام لى لم يكن «مجمجم» أو «مسطر».. ولمن لايعرف فإن الجمجمة من الجماجم، وهو تعبير يرمز إلى حالة «الانسطال» من المخدرات، والمسطر من السطور، وهو تعبير عن سطور البودرة إذا كان أحدهم يدمنها.

لقد حاول هذا الشخص أن يبدو مختلفا قبل أن يقدم تفسيره الاجتماعى والتاريخى لانتشار الموسيقى السوداء فى مصر، فقال أنه يحاول كتابة شكل جديد فى القصة القصيرة، وقال أنه يستمع للروك أندرول ولفيروز ومحمد منير والشيخ ياسين التهامى: «لكل منهم معى حكاية، وحياة خاصة، أعيشها من خلال أغنياتهم، أكلمهم، أناقشهم، أعلق على مايقولون، وهم يجاوبوننى.. كيف؟لاتسألنى».

والواقع أننا لم نملك القدرة على سؤاله، لأنه اختار الحديث عن طريق البريد، لكن مايقوله يعبر بشكل واضح عن عزلة، ووحدة، ويعبر عن شخص لايجد نفسه بين مجتمعه، ولايجد وسيلة للحوار إلا مع الشريط.. سواء كان صاخبا لفرقة ميتاليكا الأمريكية، أو شعبيا للشيخ ياسين التهامى المصرى.. وهى حالة أظن أن عليها كثيرين من شباب مصر.. لقد مضى فى شرح رأيه فى ظاهرة الروك آندرول.. وقال:

كان الفيس بريسلى يقف على مسرح صغير فى مدينة غير معروفة فى غرب أمريكا، يغنى كلاماً غير مقتنع به، والذين يشاهدونه غير مهتمين بما يفعل، ثم فجأة خرج عن وقاره المصطنع، وانفعل مع كلمات أغنية أخرى، وأخذ يهز جسده

بحركات سريعة ويـزيد من إيقاع لحن الأغنية لتتوافق مع ذلـك.. فانقلب الحال رأسا على عقب، وأصبح الفيس بريسلى هـو أبو الروك آندرول ـ الهز والتدحرج ـ ولينتقل الهوس إلى كل أنحاء العالم.

بعده ظهـر أربعة شباب فى إنجلـترا جذبوا الناس بمـظهرهم الغريب.. شـعر حتى الكتـفين.. قصات القـمصان غير معـتادة.. والملابس التى يـرتدونها ملفـتة.. وصاروا موضة.. إنهم فريق البيتلز أو الخنافس.

لقد كان الـعالم يغلى، وكـان ظهور الفيس بريـسلى وهؤلاء الشبـاب وغيرهم رد فعل لحالة الغليان تلك.. كان الشباب فى الـعالم يريد أن يصرخ أمام عالم يتغير.. أمام عالم اهتزت فيه بريطانيا.. أمام خـطر نووى فادح.. أمام آلام حرب عالمية طويلة.. أمام حركة طـلابية ساخنـة عمت العالم كـله، ووصل مدها إلـى مصر فى مظـاهرات عام ١٩٦٨.

يقول: «ألست معى أن هذه الأوضاع كانت كفيلة بـخلق نوعية مختلفة من البشر، عقلية جديدة، ترفض العالم بكل دماره وخطاياه. ولقد وصل هذا إلى مصر.. ورأيت أنا فى شعـر أمل دنقل.. أمير شعراء الـرفض الذى تشبه أشعاره كـثيرا مما أسمعه فى أغانى «الميتال».

إن «الميتـال» فى رأى هذا الشاب هـو امتداد للروك آنـدرول، مرورا بالهيـبز، وفى السبعينيات ظهرت فرق مثل الصقور، والعقارب، التى حاولت الحفاظ على موسيقى الروك. وفى الثمانينيات ظهرت فرق مثل بانتيرا، وجنز أندروزس.

إن كلمـات أغانى هذا الفـن مختلـفة، وأنا أعترض عـلى ترجمتـها حرفيـا، فهذه الترجمة الحرفية تعطى مفهوما مختلـفا، لأنها تعبر عن ثقافة أخرى، ولذا فإنه لابد لمن يستمع لهذا الـنوع من الموسيقى أن يكون ذا ثقافة واسعة، وخـاصة أنها أغان رافضة، تشجب الدونية والحرب والظلم واضطهاد الآخـر.. ثم إن منهم فرقاً متدينة جدا مثل فريق واسب. «W.A.S.P».

إنكم تتحدثـون عن أغان تسب الذات الإلهية، وأنا أنبهـكم إلى أن كلمة god فى

هذه الأغانى تدل على الشخصية المتسلطة على الشاب، التى تريد أن تتحكم فى مصيره، وتعزله عن الحياة.. بداية من الأب والمدير والناظر ونهاية برئيس الدولة.

ورغم ذلك فإننى أشير إلى أن بعض الشباب يستمعون لهذه الأغانى لمجرد «المظهرة»، يريدون أن يبدوا وكأنهم يستمعون لشىء مختلف، دون أن يفهموا ما يسمعون.. بل إنهم يؤلفون من عندياتهم باقى معانى الأغنية التى لايلمسون بها. وأنا أرى أن مجموعة مصر الجديدة التى تقولون أنها تمارس عبادة الشيطان من هؤلاء.. وهم فى النهاية كما أظن رفقاء فى جلسات مخدرات «ليس إلا» وهذه الجلسات لاعلاقة لها بأغان «الميتال».. فأنا أسمع هذا الفن منذ زمن ولم يحدث لى هذا.. إنهم شباب تفكيره سطحى.. فارغ.. ليست عنده أية مسئولية.. يضيع وقته مع المخدرات..

ثم إنكم تتحدثون عن صليب مقلوب وعن صليب معقوف وأشياء من هذا النوع.. وأنا أنبهكم إلى أن هذا يستخدم فى أغانى الميتال لأنه يناسب نوع الأغنية.. وفوق كل هذا هناك أغانى مصرية بها نفس الأشياء.. هياكل عظمية.. وجماجم.. وشموع سوداء ـ يقصد أغنية محمد محيى التى ظهر فيها شخص يمثل دور ملاك الموت.

ولكن الشاب يضيف فى نهاية خطابه: «إننى أتصور أن كل هذا هو نوع من تعاطى الخرافة بشكل أشيك مما يفعله العوام.. وبدلا من أن يتحدث أحدهم عن الجن والعفاريت، فإنه يقول أننى أرى الشيطان، أو أتحدث معه تليفونيا».

ولم يرد الشاب الذكى أن ينهى هذا الكلام دون أن يسجل نقطتين أخيرتين:

الأولى: حول الشعارات التى تكتب على الجدران والفانلات.. فى أى شارع من شوارع شبرا وعابدين وإمبابة سوف تجد من يكتب عبارات مثل حمادة الجن، الشيطان الصغير، العيال العفاريت، احذروا المنتقم.. وهذه بلامعنى.

الثانية: هى أن التلفزيون المصرى مازال بعيدا عن كل ما يحدث من تطور فى العالم، لم يزل يذيع أغانى خوليو إجلسياس، ودميس روسوس، وجون ترافولتا.. ولايعرف أن هناك فرقا مثل ميتاليكا، وماجاويث، وبلاك ساباث، وبينك فلويد، ولايعرف غير الديسكو. ناسياً البلوز والراب والجاز والبوب والميتال.

والواقع أن تحليل هذا الشاب صحيح فى جوانب كثيرة. خاصة من الناحية التاريخية والاجتماعية.. والواقع أيضا أن هناك فرقا عالمية تغنى الروك فى شكله الجديد بطريقة مميزة.. لكننا لايمكن أن نتجاهل كلام القس الكندى جون بول ريجيمبال ونحن نسجل إعجاب الشباب فى مصر بفرق مثل ميتاليكا وفرق مثل سبللتورا وسافا تاج.

إن فى الروك أنواعا مختلفة.. ليس آخرها الديث ميتال والبلاك ميتال.. وهذه هى التى تقدم موسيقى الشيطان السوداء.. وفيما بعد وفى مواقع أخرى من الكتاب سوف نتعرف على هذا بدقة.

لكن الذى يلفت النظر فى كلام هذا الشاب هو أن الأجهزة الإعلامية الرسمية، وأبرزها التليفزيون بعيدة عنه.. لاتعرفه.. لم تقترب من أفكاره.. ومازالت تؤمن بأن أغانى داليدا هى نهاية العالم، فى عصر الإنترنت والأقمار الصناعية.

وفوق كل هذا فإننى حين لاحظت الشعارات الشيطانية المكتوبة على الجدران لم أتعامل معها على أنها لعب عيال.. أو كلام وخلاص.. وإنما هى تعبير عن حالة رفض شاملة عند بعض الشباب الذين لم يجدوا سوى الجدران ليعبروا عما فى داخلهم.

ولكن.. ما هى حكاية عبادة الشيطان على الجدران؟!

الشيطان ومدرسة اللغات

ثلاثة أسماء: عاطف وعبدالله وهشام.. لايعرفهم أحد.. ولايمكن الوصول إليهم..

فى مساء إحدى الليالى القاهرية كانوا فى حالة نشوة غريبة على مايبدو، حين مروا بجوار مدرسة المقريزى التجريبية للغات فى منشية البكرى.. وأخرجوا مما معهم أنبوبا بخاخا بلون أسود وبدأوا يعبرون عما فى داخلهم على جدران المدرسة.

وكتبوا أشياء كثيرة بالإنجليزية.

كتبوا كلمة الشيطان أكثر من مرة.

ورسموا الصليب المقلوب أكثر من مرة.

ورسموا النجمة الخماسية داخل دائرة، وهى رمز عبادة الشيطان.

ورسموا الصليب المقلوب.. ولكن بطريقة خاطئة.. باتجاه مختلف.

وكتبوا: إن فرقتنا غير المقدسة تتكون من عاطف وعبدالله وهشام.

لقد دلنى على هذا المكان شاب صغير السن اسمه أمير، يدرس الحقوق، ويتمنى أن يصبح محاميا هاما مثل أبيه.. إنه أيضا من هواة الروك.. ويعزف على جيتار خاص بعض الألحان.. وقد أخذنى إلى هذا المكان فى بداية لقاء جرى معه فى مقهى بمنشية البكرى حول موضوع عبادة الشيطان.

إن أمير أخذ يروى الكثير عن نشأة هذه الاتجاهات فى الفكر الإنسانى.

ولكنه حين تعرض إلى أولئك الذين أقبلوا على هذه اللعبة الموسيقية الدينية فى مصر.. قال إن عددهم قليل.. لكنهم يدمنون المخدرات.. ويقف وراءهم «خالد حنجورى».. وقد ابتعدنا نحن هواة الموسيقى النظيفة عنهم، خاصة بعد ما حدث فى حفل الزمالك.

لكن أمير تحدث أيضا عن شخص كان فى مصر، سورى، اسمه نزار، قال أنه عابد للشيطان.. ثم ترك مصر إلى السويد.. وتحدث عن شخص أطلق على نفسه اسم «يهوذا» كانت لديه نفس الميول. واختفى.. وروى كيف انضم لهؤلاء البلهاء ابن سفير دولة عربية فى القاهرة.

تركت أمير، وذهبت إلى بيتى، وبدأت أكتب عما رأيته على الجدران ـ وحين نشر هذا الكلام كان أن أسرعت مديرة مدرسة المقريزى إلى قسم مصر الجديدة وأبلغت عن هذه الشعارات الشيطانية المكتوبة على الجدران، ربما لتخلى مسئوليتها ـ ولم يتم التحقيق فى البلاغ.. إذ لا توجد معلومات، ولم توجه مديرة المدرسة الاتهام لأحد.

إن «أمير» الذى كشف عن «نزار» لم يكن يدرى ماسوف يصل إلى يدى من شهادات أخرى فيما بعد.. ورغم أنه بدا أمامى الوحيد الذى يملك معلومات عما حدث من قبل، إلا أن حسام أبودومة كان لديه شىء آخر.

جماعة التأمل!

إن حسام أبودومة قبطان من قرية أم دومة التابعة لمركز طما فى سوهاج.. كان يدرس فى الأكاديمية البحرية عام ١٩٧٨ حين انضم لفرقة موسيقية مصرية تعزف الهارد روك.. اسمها «ريسنج».. وكانت الفرقة تضم ٩ أفراد، أربعة منهم مصريون وواحد بحرينى، وأربعة أمريكيون بينهم مدرس فى المدرسة الأمريكية وثلاث طالبات.. يروى حسام قصة الفريق فيقول: كنا نقضى أوقاتًا طويلة للتمرين كى نظهر بمستوى طيب.. وكان وقت فراغنا مشغولاً بالاستماع إلى موسيقى من هذا النوع.. الهارد روك.

المثير أن أغلبية أعضاء هذا الفريق حسب شهادة القبطان أبودومة أدمنوا الحشيش وبعضهم أدمن الكوكايين.. وتصور كثير منهم أن الاستمتاع بالموسيقى سواء كان عزفًا أو استماعًا لن يحدث إلا إذا كان الفرد فى حالة تخدير تام.. وربما لهذا السبب فشل أغلب أعضاء الفريق فى دراستهم، وكانوا جميعا بين الطب والهندسة والصيدلة والأكاديمية البحرية.

إن الفريق رغم هذا حظى ببعض الشهرة، وكان يقيم حفلات فى نادى سبورتنج والعجمى والمدرسة الأمريكية وكلية الفنون الجميلة.. وفى أماكن خاصة فى بعض الأحيان.. إلى أن ظهر شخص أجنبى أبدى إعجابه بالفريق، بدأ فى التقرب إلى أعضائه حتى أصبح صديقًا لهم.. هذا الشخص كان مدمن مخدرات.

ذات يوم، وبعد أن توطرت العلاقة بين هذا الشخص وأعضاء الفريق.. ألقى بقنبلة بينهم.. إنه عضو فى جماعة اسمها «جماعة التأمل».. وقال أنه كان فى بادىء الأمر من المستمعين لندوات «جماعة التأمل».. ثم صار هو الذى ينظم الندوات ويديرها ويدعو الناس للانضمام للجماعة.

حسنا.. ماذا كان لدى هذا الشخص الغريب من أفكار؟

يقول حسام أبودومة: كان يقول لنا إن كل فرد فى العالم داخله موهبة، وهناك من اكتشف موهبته وهناك من لم يصادفها بعد.. وعلى الذى لم يكتشفها أن يبحث عنها

بالتأمل.. وكان يقول أيضا: إن كثيراً من الأفعال التى يقدم عليها الإنسان يكون غير راض عنها، ويجب الامتناع عنها.

هذا الكلام وصفه حسام أبودومة لى بأنه «كلام مساطيل».. وأنه بناء على هذا رفض الانضمام إلى هذه الجماعة، لاسيما بعد أن رأى صديقًا له فى الفريق يصاب بمرض نفسى بسبب إدمان المخدرات.. ثم ترك حسام هذا الفريق لظروف عمله كضابط بحرى تجارى.. ولم يقابل أى فرد من هؤلاء مرة أخرى.

ولكن لماذا نروى هذه القصة، وما هى علاقتها بعبادة الشيطان؟

أبودومة لديه سبب، ونحن لدينا أسباب.

يقول حسام أبودومة أولا: إننى أرى أن جماعات اللعبة الموسيقية الدينية التى تكتب عنها هى امتداد لما عاصرت.. وأن الأساس بدأ مع المخدرات التى هى السبب الرئيسى فيما وصلت إليه هذه الجماعة.

أما نحن فنرى أن المخدرات فعلا هى الأساس، ولكن أيضا يبدو الشباب الذى يكون مثل هذه الفرق الغريبة أكثر إقبالا على أية أفكار مختلفة.. ويخلط بين الإبداع والمخدرات، ويميل إلى قبول المختلف ليبدو مميزاً.. وفوق كل هذا فإن حالة هذه الفرقة تثبت لنا أن هناك من يمكن أن يندس بين هؤلاء الذين يعزفون الموسيقى السوداء، ويروج بينها أفكاراً غريبة.. ملمسها ناعم وباطنها عذاب.

إن هؤلاء غالبا ما يميلون إلى التقليد.. وإذا كانوا يعزفون الروك فلابد أن يكون إلفيس بريسلى أبو الروك هو قدوتهم، وإذا كانوا أدمنوا المخدرات فإن الفيس فعل ذلك أيضًا، وإذا كانت قد ظهرت بينهم فكرة غريبة فإن إلفيس أيضا كان يؤمن بأفكار غريبة هو الآخر.

إلفيس بريسلى

اسمه الأصلى ليس مهما هنا، إن الأوصاف التى أطلقت عليه هى الأهم.. لأنها شديدة الدلالة والمغزى.. فقد كان معبود الجيل.. والملك.. والصدفة الفارغة.. وصاحب ثورة الشو بيزنس.. وزعيم الروك أندرول.. إنها بعض الأوصاف التى

أطلقت عليه وتلخص قصته.. ولكنى أضيف.. وربما سبقنى إلى هذا بعض النقاد ـ أنه كان الثائر زعيم الرفض والتمرد عبر إدمان المخدرات وعشق الموسيقى.

هذا المغنى الخارق الذى مات فى عام ١٩٧٧ وكانت البنات تدق اسمه بأسياخ النار على أجسادهن، فى بعض الأماكن من العالم كان مثالاً واضحًا على أن جنون الموسيقى يمكن أن يفوق أى تصور، وأن النجم يمكن أن يصبح قدوة، وأن أفكاره يمكن أن يهتدى بها، خاصة إذا كان يعبر عن أحلام جيل رفض الواقع وتمرد عليه وقرر أن يكون إلفيس بريسلى هو ممثله فى الحياة.

هذا الأسطورة لم يكن وليد لحظة، لم يخلق فجأة، سبقته وقائع اجتماعية وموسيقية كثيرة أدت إلى ظهوره فى النهاية.. ففى الأربعينيات ظهرت أسماء باركر وجيلبسى وديفيس فى عالم الغناء، تنقل لغة مختلفة، وتتمرد على الموسيقى المتعارف عليها، وتصرخ ضد التمييز العنصرى، وتطالب بقبول الزنوج فى المجتمع وفى كل المهن وعلى كل المستويات. ولكن المشكلة التى بدت أمام هؤلاء ومن جاءوا بعدهم أنهم كانوا من السود.. ومن هنا جرى تجاهل فنهم وشعرهم وبالتالى احتجاجاتهم، ومن هنا حين ظهر هذا الملك الأبيض كان ذلك حدثا له معنى.

وكان السبب الأصلى فى هذا هو أن هناك من ظهر بين هؤلاء الذين يبحثون دائما عن الربح، وحولوا تمرد هذا الملك إلى تجارة ومكسب وظاهرة وموضة.. فانتقل إلى أنحاء العالم، ومنه خرج فريق البيتلز، ومن بعده تاثر به هؤلاء «الهيبز» الدين ازعجوا العالم كثيراً فى نهاية الستينيات وبداية السبعينيات.

لقد كان «إلفيس بريسلى» نموذجاً صارخًا على الصعود العصامى من القاع إلى القمة. إنه ابن ولاية مسيسبى الجنوبية، الذى ولد ونشأ فى بيت فقير من غرفتين. واشتغل فى مهن عادية بدأت بـ«عامل كهرباء» ثم «سمكريا» ثم «سائق شاحنة».. وفى سن التاسعة عشرة دخل إلى عالم الفن من خلال تسجيل أسطوانة رخيصة. ثم أقحم نفسه فى العالم الغريب بأغنية مسخرة فى إحدى ليالى شهر يناير عام ١٩٥٦.

وقف يقول: «سيداتى سادتى، سأغنى لكم الليلة أغنية كلها عاطفة ومعنى». ثم راح يقدم أغنية غريبة على أنغام ضربات إيقاع مختلفة ويقول: «أو.. بو.. باللو.. بوب..

توتى فروتى.. أول روتى .. توتى فروتى». ومن حقنا أن نتساءل كما تساءل هؤلاء الذين سمعوه: أين العاطفة وأين المعانى. لكنه تجاوز كل هذا وراح يهز خاصرته ويعصر بطنه ويبدع ماسمى فيما بعد موسيقى «الروك أندرول».. أو موسيقى الهز والتدحرج.

لم يمر الحدث دون تعليق، وخاصة أنه كان أمام شاشات التليفزيون، إذ كتبت صحيفة النيويورك تايمز بكل ما لها من وزن: إن برنامج «تدسوليفان» التليفزيونى، قدم لنا مغنيًا طويل السالفين، يدلق لسانه خارج فمه، ويهز خاصرتيه بطريقة غريبة، ويؤدى ألحانًا غير متناسقة، وعلى شركة التليفزيون أن تتذكر أن مثل هذا يؤثر فى المراهقين، ونحن نتنبأ بأن تلك ظاهرة لن تدوم ولايمكن لها أن تدوم.

ولكنها دامت، وشطبت بالخط الأحمر على ذوق فرانك سيناترا، وعلى ذوق الآباء والأمهات، وراح إلفيس بريسلى يغنى: «هز وتأرجح وتدحرج وتموج». وجنت المراهقات. ومعهم المراهقون.. وجن النقاد بالتالى.. وراحوا يشنون هجوما قاسيا على هذا الشاب الذى لايجيد قراءة النوتة، ولايفهم فى العزف على الجيتار، ولايخرج الكلمات من فمه صحيحة وسليمة.

لقد كان كلام النقاد معبرًا فى هذه الحالة، وحالات أخرى سوف تتكرر فى مصر وغيرها، عن أنهم لايستشرفون الذوق القادم. ذلك أن إلفيس بريسلى أخذ ينمو. وصارت البنات يقفزن فى حفلاته، بل ينفجرن بكاء ونحيبًا، وتطور الأمر فصار موضوعا لأبحاث ودراسات أجراها علماء النفس.

لقد قالوا: «هذا الشاب أحدث اجتذابًا جماهيريًا، له مبرراته وخلفياته، وخلق الحاجة إلى الاهتمام بالنفس الكائن عند الغير». وقد يبدو هذا كلامًا غير مفهوم، وهو كذلك بالفعل. لكن إلفيس مضى يغنى «أو.. وا.. ها.. هونت». ومضى يضرب بالجيتار على ركبتيه ويهز ويهتز. وأثار مشاعر جنسية بحركاته حتى أن محطات التليفزيون كانت لاتذيع حفلاته إلا وهو مصور من الجزء العلوى فقط.

هذا التعامل التليفزيونى المراقب لم يمنع البنات من كتابة أحرف اسمه الأولى على الدفاتر والشجر.. بل على الأجساد.. بل أيضا مضين يقبلن الأرض التى يمشى عليها ويرتمين أمام سيارته ويحتفظن بأجزاء من ملابسه. وفى ذات مرة شكلن بأجسادهن هرمًا كى يصلن إلى غرفة بيته فى الطابق الثانى بأحد منازل مدينة سان أنطونيو فى تكساس.

وراح زملاؤه المغنون يقلدونه. وظهر أحمر شفاه يحمل اسمه ويروج نفسه دعائيا على أساس «إن إلفيس دائما على شفتى» وأطال الرجال سوالفهم مثله. وظهرت بنطلونات جينز تحمل اسمه وفانلات تحمل صورته. وأنشئت نوادى المعجبين به. ولم تنته الظاهرة حين جُند فى الجيش وقالوا أن العالم سوف ينساه. وبقيت أسطواناته تباع بالأطنان.. لقد كان ثورة كاملة. رجل أبيض له صوت زنجى، وصار اتجاهاً، نموذجًا، وكان أول من وضع بذرة هذه الموسيقى التى صارت فيما بعد تربة خصبة لكل تمرد على الواقع.. حتى لو كان هذا التمرد هو عبادة الشيطان.

ولكنه انتهى.

انتهى بسبب أشياء كثيرة خلقتها الموضة التى خلقها. لقد بدا فى نهاية حياته وكأنه يستسلم لشره الجوع الدائم.. إذ راح يأكل.. ويأكل.. وأخذ يسمن.. ويسمن.. وزاد وزنه من ٧٠ إلى ١٠٨ كيلو جرامات، حتى توقف عن الغناء، وهرم الملك.

ففى مساء يوم ١٦ ابريل ١٩٧٧ وثب المرض من المعدة إلى القلب، وانطفأ نجمه على سرير مستشفى فى مسيسبى.. وقال الأطباء ربما قتلته غازات بطنه. وقالت الشرطة: إنها المخدرات. لكنه فى النهاية مات.

ووصفه جيمى كارتر رئيس الولايات المتحدة وقتها قائلا: «إلفيس بريسلى قفز على المسرح بتأثير غير مسبوق، وقد لانجد له مثيلاً فى المستقبل». وتجمع نحو مائة ألف ليروا جثته. وامتدت الحشود فى جنازته طوال ٨٠ كيلو متراً، ووضعت على قبره عدة آلاف من باقات الورد.

وانتهى.. لكنه خلق هذه الموسيقى التى كانت مصر فى التسعينيات من أحد تطوراتها.

كنت أكتب كل أسبوع تقريبًا عن هذا الموضوع، وكانت تصلنى من حين لآخر خطابات مختلفة تدافع عن «الروك» و«الميتال».. لكنى أبداً لم أصادف من يدافع عن عبادة الشيطان.

وقد فعلها «أيمن» وإن كان قد فعل ذلك بطريقة غير مباشرة.. وكانت خطورة ما قال كامنة فى أنه لم يزل شاباً صغيراً طالباً فى مدرسة «ثانوى»، لم يجد أدنى حرج فى أن يكشف عن اسمه الكامل، وإن كنت لم أنشر اسمه كاملاً لأنه حين كتب خطابه منفعلاً لم يدرك ما استنتجت أنا منه.

دفاع عن عبادة الشيطان

إن أيمن فى مدرسة لغات، بدا وكأنه عضو فى نادى «دوم كلب» حين حرص فى بداية خطابه على أن يقول: «وردت فى مقالاتك عن عبادة الشيطان عدة أخطاء».. وكان رأيه أن الخطأ الأول هو أننى اعتبرت النادى مسئولا عن هذه العبادة.. فقال: «النادى مسئول عن تنظيم حفلات الروك فقط».

ومثل عشرات غيره فإن أيمن دافع عن فرق تحدثت عنها مثل «سافا تاج» و«سبللتورا» وقال: «هذه الفرق لا تشتم فى الذات الإلهية وفرقة سافاتاج تنتقد الحرب الدائرة فى البوسنة فى« ألبوم خاص بها» اسمه: «Dead winter dead». وفريق «سبلـلتورا» يكره الحروب والحكومات التى لها يد فى قيام الحروب كما بدا ذلك فى ألبوم «Chaos.A.D» .. ولكل فرقة فلسفتها، ومعظمها يتحدث عن أن الحياة دنيئة، وأن الموت شىء جميل، برغم ما فيه من حزن».

الجملة الأخيرة تعبر عن حالة اكتئاب، وتشير إلى الاتجاهات النفسية التى تميز هؤلاء الشباب.. فالحياة دنيئة، والموت شىء جميل.. وحين يقول هذا، شاب فى مقتبل

العمـر يمكن أن نفهم مـا هو نوع طموحه ومـا هى تصوراته للـمستقبل، وكـيف يرى دراسته، وإلى أى مدى هو مقبل على الحياة.

ويمكن فـهم خطورة هذا الكـلام إذا راجعنا بقية مـا قاله فى خطابـه، حين وصف هذا الشـاب «أيمن» عبـادة الشيطـان.. بأن فيها «عـنف وحيويـة».. لكن لم يـقل هذا الكلام هكذا فقط، وإنمـا وضعه فى سياق يعنى أنه لا يوجد جـديد فى هذا الموضوع، لأن عبادة الشيطان موجودة منذ آلاف السنين، بـل منذ الفراعنة، حين عبد الهكسوس «ست» إله الشـر لدى الفراعنة، وقد ارتـبطت هذه العبادة بـالهيفى ميتـال لأن إيقاعه قوى وسريع، وهى عـبادة بها عنف وحيويـة، وبعض الفرق التى بدأت عـزف الهيفى ميتال كانت من أتبـاع هذه العبادة.. ولكن معظمنا من سامعى هـذا النوع من الموسيقى لا نحبهم، لأنهم يؤدون للإساءة لكل أنواع الهيفى ميتال».

وتعكس هـذه الكلمات قدرا عـاليا من التردد، وتشـير إلى خطورة رهيـبة حين لا يجد شاب فى العنف والحيوية فى عبادة الشيطان أى شىء غريب يمكن أن يقف أمامه لكنه مرة أخـرى يعود لينكر على فـرق الهيفى ميتال عـبادتها للشيطان لأنـها تسئ إلى كافة أنواع «الـروك» ثم يعود ويناقـض نفسه حين يـرى أن الممارسات التى تـصاحب هذا النوع من الموسيقى عادية وطبيعية إن لم تكن مقبولة.

إنه يقول بالنص: «رداً على ما ذكرت بخصوص ما يحدث فى حفلات الروك من جنـس ومخدرات.. فإنـنى أقول أنـها - أى الجنـس والمخدرات - موجودة فـى كل مجـتمعات الـشباب، وليـس للروك أى دخل بـها، ومن يسـتبح الجنـس والمخدرات لنفسه فإنه يمارس ذلك فى أى مكان».

ثم يضـيف: «أما عن «الهـيدبانجينـج» -هز الرؤوس-والسلام دانـس - أى تلاحم واصطدام أجساد الـشباب بشكل غبى أثـناء الرقص -فإن هذا نوع من إخـراج الطاقة الزائدة، مثل ممـارسة الألعاب والرياضات التـى تخرج الطاقة فى صورة عـنف مقبول حضارياً، وهذا من حسنات الميتال، بدلاً من لجوء الشباب لمعارك الشوارع والجنس».

هذا هو ما قاله.

وقد أدهشني، لأنني على خلاف ما يرى هو لا أرى أن هناك عنفا مقبولا حضارياً وعنفا غير مقبول حضارياً، والذي يلجأ للسلام دانس لأنه إخراج للطاقة، عليه أن يخرج هذه الطاقة بشكل آخر، عن طريق الرياضة مثلا.. إذا أراد.

ومرة أخرى وفي فقرة جديدة يقول أيمن: «إننا لسنا بشذوذ الهيبز الذين كانوا يدعون للخروج على كل قانون، أما نحن كهواة لسماع الروك فلنا فلسفة في الحياة ترى أن الحياة لا تستحق ما يحدث فيها من حروب ومدافع».

ولكن أيمن الذي يعترف بوجود عبادة الشيطان في مصر، ويرى أن تلك ليست العبادة الشاذة الوحيدة في بلدنا، بدليل وجود العبادات الأخرى الكثيرة التي تقام معظم طقوسها حول الأهرامات ومنها عبادة تقام طقوسها في يوم ١١ نوفمبر من كل عام و يقول: إذا كنت بما تكتب تريد أن تمنع الهيفي ميتال عن طريق الشرطة فإن هذا مستحيل، أما إذا كنت تفتح نافذة للمناقشة فها أنا أستجيب لك.. وفي الخارج تعاملوا مع هذه الظاهرة بطريقة «لا يفل الحديد إلا الحديد»، وظهرت فرق «الكريستيان بلاك ميتال» أي «فرق ميتال مسيحية»، رداً على فرق «الستانكس بلاك ميتال» أي «فرق عبادة الشيطان».

وبقدر ما أزعجني هذا الرأي، وبقدر ما هالتني خطورته، إلا أنه فتح أمامي باب أمل ، لأن هناك شبابا من هذا النوع يريد أن يتكلم ويكشف عن نفسه ويعبر عما في داخله من اتجاهات.

وفي نفس الوقت فإن ما أثاره في النقطة الأخيرة يشير بوضوح إلى واحد من أسباب هذه المشكلة، هذا السبب هو أنه لا يوجد بديل أمام هذا الشباب.. لا يوجد شيء آخر يسمعونه.. ومن هنا أنتقل إلى النقطة التالية حول ما هو متوافر أمام الأذن في مصر .

عصر من الملل!

يحيى خليل، موسيقى مصرى معروف، وعازف درامز موهوب، شارف عامه الخمسين، حين كنت أكتب هذا، وقد كان فى تلك الفترة يقود اتجاها موسيقياً خاصاً جذب أسماع العديد من الشباب عن طريق حفلات الجاز التى كان يقيمها كل شهر تقريباً فى دار الأوبرا.. لكنه اصطدم ذات مرة بهواة الهيفى ميتال فى مصر.

حدث هذا فى نادى المقاولين العرب فى صيف عام ١٩٩٦، حيث نظمت مسابقة للمبتدئين فى موسيقى الروك.. وكان يحيى خليل رئيساً للجنة التحكيم مع حمدية حمدى وهالة حشيش المذيعتين المعروفتين.. كانت هناك فرق عديدة تشارك فى المسابقة، وكان فريق «ستيل ايدج» الذى يحظى بشعبية كبيرة بين شباب من هذا النوع، أحد الفرق المشاركة فى المسابقة.. وكان هناك عدد كبير من السيتانكس - عبدة الشيطان- بملابسهم المميزة.. وكان هناك نحو عشرة آلاف من هواة الروك يزدحم بهم استاد صغير فى النادى.

ولم يفز فريق «ستيل إيدج»، واعترض الحضور على هذا، وأمسك يحيى خليل بمكبر الصوت وهو يقول لأحدهم: « أنت لا تفهم شيئاً فى الموسيقى».. واستفزهم هذا.. وخرج بعضهم يدفع بعض السيارات أمام النادى حتى كادت أن تصطدم ببعضها.. وفيما بعد قابلت يحيى خليل، الذى أكد لى أن الاعتراض كان سببه هو أن لجنة التحكيم رأت أن فريق «ستيل ايدج» محترف، وليس هاوياً كما تشترط المسابقة.. ثم ناقشته فى سر انتشار هذه «الموضة» بين الشباب فتحدث معى حول أن هذه التيارات موجودة فى الخارج، ولكنها دائماً تجد أمامها المقابل الموضوعى الذى يرد عليها.. هناك فرق تقدم الفن الردىء وهناك فرق تقدم الفن الجيد.. أما فى مصر فإن هذا غير موجود.

والواقع أن هذا صحيح إلى حد بعيد. ويدل على ذلك استعراضنا للاتجاهات الغنائية فى مصر خلال تلك الفترة..فبعد أن ماتت أم كلثوم وفريد الأطرش وعبدالحليم حافظ انتهى عصر كامل من الغناء المميز فى مصر والعالم العربى..

وعرفت مصر السبعينيات نوعاً من الفرق الغنائية الجماعية التى لفتت أنظار الشباب وملأت بعض الفراغ بشكل مؤقت.. مثل فرق «الجيتز» و«الحب والسلام».. لكن هذا لم يدم طويلاً، وظهر جيل آخر حاول أن يقدم البديل الجديد.. من حيث نوع الموسيقى والكلمات وأهداف الاستماع وحدته.

هكذا ظهر فى بداية الثمانينيات كل من محمد منير وعلى الحجار وإيمان البحر درويش.. راجع كتاب المؤلف «الأغنية البديلة» - بالاشتراك مع إبراهيم عيسى- وهكذا ظهرت أغنية مختلفة من حيث المضمون حين غنى منير: اتكلمى وشبابيك وشجر اللمون، وحين غنى على الحجار: «أنا كنت عيدك»، وحين غنى إيمان البحر درويش: «قول يا قلم» «نفسى» وغيرهما.

لكن هذا الجيل، وأمام ضغوط متزايدة من أنصار المؤسسة الغنائية القديمة التى تروج لذوق جيل أم كلثوم وعبدالحليم وفريد الأطرش، وأمام حرب ضروس تهاجم المختلف، وبسبب عدم القدرة على الصمود أمام هذه الحرب سرعان ما تراجع التيار الجديد.. لكنه بدلاً من أن يتراجع لصالح الذوق القديم تراجع لصالح جيل جديد قدم الأغنية الرديئة التى تخاطب الشباب بإيقاع مميز دون أن تخاطب عقله ووجدانه.. وهكذا ظهر أمامنا خليط غير منسجم من المطربين مثل إيهاب توفيق وعلاء عبدالخالق ومنى عبدالغنى وخالد على فى اتجاه.. وظهر حكيم وحسن الأسمر وعبدالباسط حمودة فى اتجاه آخر.. وانفرد محمد فؤاد وعمرو دياب وحميد الشاعرى بتميز خاص لكل منهم.. وبينما كان يظهر فى كل يوم مطرب جديد، وبينما اختفى تقريباً جيل الأغنية البديلة الذى قدم نفسه فى بداية الثماينات، وبينما تراجع أنصار الذوق القديم- صارت الساحة متسعة أمام شكل خاص جداً من الأغنية أطلق عليه اسم «الأغنية الشبابية»، التى بمضى الوقت لم تعد تقدم جديداً، وأصبحت تكراراً دائماً لقالب واحد، بدون تنوع، وبدون تميز، وبشكل أصبح يثير الملل.

هكذا اختفت الكلمة المميزة واللحن المختلف، واضطر قدامى المطربين، مثل محمد رشدى، إلى الانصياع للذوق الجديد والإيقاع الحالى للتسعينيات، فقدموا أغنياتهم القديمة بإيقاع يلائم شباب التسعينيات.

لكن هذا الجيـل من المستمعين الـذى عرف الدش والإنترنت لم يكـن يبحث عن الإيقاع.. وإنما كان يبحث عن الجديد والمختلـف.. وكان فى انجذابه نحو أسماء معينة يعبر عن هـذه الرغبة بشكل أو آخر، وهو مـا يمكن أن نرصده فى أربعة نمـاذج غنائية ظهرت فى عصر التسعينيات، وخلال تلك الفترة التى نمت فيها هواية سماع موسيقى الروك.

النموذج الأول.. هو عمرو ديـاب.. وهو نموذج يقدم مثلا غنائياً خاصـاً، لكنه ليس مميزاً تمام التميـز، وإنما حقق جاذبيته لدى الشباب بسبـب حضور قوى، وحرص هائل على أنواع مميـزة من الملابس وتسريـحات الشعر، فضـلا عن إلحاح تليفزيـونى شديد بأغانـيه المصورة والتى كـانت تقدم مع صـدور كل ألبوم جديـد له، بشكل جمـيل به عديد من الإناث الجميلات والألوان المبهرة.

النمـوذج الثانى.. هو كـاظم الساهر.. والـذى تميز بأنـه صاحب صوت مخـتلف، يقدم أغانيه ذات المضمون المغاير.. كما فى «نزلت البحر» وفى «سلامتك من الآه» .. مصحـوباً بأداء مختلـف، واهتزازات جسمانـية وطريقة تـصفيق..فضلاً عـن حضور قوى.

النموذج الثالث.. مؤقت.. فى الواقع هو نموذجـان.. ظهرا على الساحة الغنائية فى مصـر على طريـقة الفلاش الـذى أضاء فجأة وانـطفأ فجـأة.. الأول صاحبه الـشاب خالدالجزائرى الذى قدم موسيقى البربر فى إطار فرانكفونى لا يفتقد للجدية. والثانى صاحبتـه هى ماجدة الرومى التـى واجهت حرباً ضروسـاً فى مصر، لكنهـا حين أتت وأقامت ثلاث حفلات فى عام ١٩٩٦، حظيت بإقبـال جماهيرى هائل كان فى الواقع إقبالاً على قالب موسيقى مميز وكلمات مختلفة، خاطبت أجيالاً عديدة.

النموذج الرابع.. كان مؤقتاً هو الآخر.. ولم يـكن عربياً.. وإنما كان أجنبياً.. وحظى هو أيضاً بإقبـال جماهيرى كبير، ليس لأن الـذين أقبلوا عليه هم من أنـصار الموسيقى الغربية ولكن لأنهم يبحثون عن الجـديد.. وعما يبعد الأذن عن الملل.. وهو ما حدث مع فريق «الجيبسى كنج» الذى زار مصر فى نهاية عام ١٩٩٥.

إن هذا العرض السريع الذى قدمناه الآن يؤكد عدة نقاط، أهمها أن الساحة الغنائية المصرية لا تتسم بالتنوع، وبالتالى فهى غير متغيرة، لا تلائم الاتجاهات المتنوعة لدى الشباب، ومن هنا فإنهم يبحثون عن شيء آخر موجود فى الأسطوانات التى يتم استيرادها من الخارج، حتى لو كانت هذه الأسطوانات مملوءة بشعارات عبادة الشيطان.. فى هذا الإطار لفت نظرى أن كل الشباب الذين تحدثوا معى، أو كتبوا لى، كانوا يؤكدون على أغانى فرق مثل سبللتور وميتاليكا وبانتيرا وسافاتاج تضم معانى مختلفة فى الحب والسياسة وضد الحرب، وتدعو للسلام.. وفى المقابل فإن هذا النوع من الغناء لم يكن موجوداً فى مصر.

وقد أشرت فى صفحات أخرى من هذا الكتاب إلى رأى شاب كان يتحدث عن أن التليفزيون لا يقدم من الأغانى الأجنبية سوى أغانى داليدا وخوليو إجلسياس وديميس روسوس وفرق قديمة تجاوزها الزمن.. ويتجاهل مادونا ومايكل جاكسون.

والواقع أن هذا التجاهل كان خاطئاً إلى حد بعيد، فى ضوء أن الشباب فى مصر يتابع ما يحدث فى الخارج عن طريق وسائل الاتصالات الرهيبة التى تنقل كل شيء.. والواقع أيضاً أن هؤلاء المتحكمين فى أجهزة الإعلام كانوا يدفعون الشباب بشكل غير مباشر نحو البحث عن موسيقى مغايرة حين كانوا يبثون فى برامج المنوعات أخباراً عن الاستقبال الهائل الذى حظى به مايكل جاكسون فى روسيا وماليزيا.. بينما هو يمنع من حضور مصر والغناء فيها.. وكأن هؤلاء العواجيز يقولون للشباب «أنتم أقل من شباب الدول الأخرى.. أنتم أدنى مستوى» وكان رد فعل الشباب هو «اللعبة الموسيقية الدينية» التى خلطت الروك بعبادة الشيطان.

ولكن ما هى حكاية منع مايكل جاكسون من الغناء فى مصر؟

أمير الشواذ

«وولف جانج» مدير أعمال المطرب العالمى مايكل جاكسون، ذلك هو اسم وتلك هى وظيفة الرجل الذى قلب الدنيا فى مصر، حين تقدم بطلب إقامة حفل يغنى فيه المطرب العالمى ذائع الصيت تحت سفح الأهرامات، وتحول الأمر إلى قضية وجدل..

هل نرحب بهذا الشاب الأسمر الذى يسمعه كل العالم أم لا؟ وهل نقبل فنه أم نرفضه؟

الذى حدث بعد هذا معروف.. إذ تمت جولة المطرب العالمى حول العالم، وهى جولة غير مسبوقة.. ولم يمر على مصر التى كان بعض شبابها غارقا فى موسيقى الشيطان ولا يجد بديلاً.. لكن الذى لايعرفه قارىء هذا الكتاب هو أن هناك مجلة -فى الواقع هى نشرة- تصدر عن جمعية «النداء الجديد»، وتحمل اسمها، وجدت فى هذا الموضوع نموذجاً للطريقة التى يتعامل بها الناس فى مصر مع مثل هذه الأسور. وخصصت فى عددها الصادر فى سبتمبر ١٩٩٦ حواراً حول ذلك تحت عنوان: «هل يغنى مايكل جاكسون فى مصر؟» عرضت فيه لوجهات النظر التى تم تبادلها حول ذلك.. ونحن هنا نعرض لهذا. ليس فقط لنتعرف على طريقة التفكير، ولكن أيضاً لنعرف أن العقلية المصرية عموماً ليست مستعدة لقبول المختلف والجديد.. وهى فى عدم استعدادها هذا تفاجأ فى لحظة بأن إغلاق الأبواب لم يكن حامياً لها، وأن ذلك يؤدى إلى أمراض عديدة.. أقلها «عبادة الشيطان».

لقد قالت المجلة فى معرض تقديمها للملف: «إن منظمى الحفل الذين طلبوا إقامته فى مصر نشطوا ونشروا إعلانات مكثفة ساهمت فى تفاقم الموقف الرافض لحضور مايكل جاكسون إلى بلادنا والمطالب بمنعه من الغناء فى أرض الفراعنة التى قال أنه يحلم بالغناء فيها».

«وعمد القائمون على حملة جاكسون الدعائية إلى الترويج له وخطب ود الجمهور عبر نشر تصريحات منسوبة له يشيد فيها بالحضارة الفرعونية، ويؤكد احترامه للعرب، رداً على ما نسب إليه من قبل من تحقير لهم، وأثارت هذه الحملة استفزاز بعض رافضى استقبال مايكل جاكسون وبعثوا برسائل إلى بعض الصحف تعبر عن غضب صارخ. وتحدث بعض الصحف عن أبعاد سياسية لقضية غناء جاكسون فى مصر، إلا أن إحداها أشارت إلى أن مسئولين أمريكيين تدخلا لدى وزير خارجية مصر خلال وجوده فى الولايات المتحدة أخيراً من أجل السماح لجاكسون بالغناء فى القاهرة».

إن عماد الغزالى، بعد هذا التقديم، وهو صحفى فى جريدة الوفد، كتب فى «النداء الجديد» تحت عنوان «الجاكسونيين» يقول: «مايكل جاكسون موضة هذا الجيل. وعلينا أن نرد الظاهرة إلى سياقها، وحاول أن تجيب عن السؤال: لماذا وصلنا إلى هذا الدرك؟ وفى طريق الإجابة سوف تكتشف أن قطاع الاعتدال يتضاءل لصالح قطاع التطرف.. إما ذقون وجلابيب قصيرة ومنقبات لا يكشفن شيئاً.. وإما ستريتش ومينى جيب وبودى لا تخفى شيئاً».

لكن عماد الغزالى نفسه رفض حضور مايكل جاكسون إلى مصر، وقال فى تبرير هذا: «لا أتصور سبباً وحيداً يدعونى للاحتفاء به حتى لو كان قدومه سينعش جيوب البعض. أرفض لأنه أهاننا، وإذا كانت لديه الرغبة فى الغناء هنا عليه أن يعتذر علنا عما قاله بحقنا. أما شذوذه وتنصله من جنسه ولونه وتركيبته المقززة إجمالاً فتلك مسألة تخصه وتسعد محبيه وللناس فيما يعشقون مذاهب».

ولكننا لن نقف عند هذا الرأى وحده، وإنما سنمضى إلى آراء أخرى.. قبل أن نخلص إلى موقف واضح فى تقييم هذا الموضوع وعلاقته بعبادة الشيطان.

لقد كتب سعيد عكاشة فى نفس العدد من مجلة «النداء الجديد» يؤكد الفكرة، وقال: «إن مجيئه إلى مصر سوف يمحو الصورة السيئة التى ما زالت ماثلة فى الأذهان عن حالة عدم الاستقرار التى تعيشها مصر بسبب أعمال العنف. ومسألة تصريحات جاكسون السلبية ضد العرب يجب ألا تؤخذ كقضية مسلم بها، لأنه لا أحد يعرف مدى دقة هذه التصريحات.، وفى أى لغة صيغت وما هو محتواها. وبافتراض أنه قالها وأراد العودة عنها فهل نرفض هذا فى الوقت الذى لن يخسر جاكسون إذا لم يغن فى مصر».

وأضاف: «لقد وقع عبدالحليم فى مأزق شبيه، حين غنى ضد بريطانيا فى الخمسينيات قائلاً: «أنا شفت العلم البريطانى بيدنس نسمة أوطانى» وتردد آنذاك أن بريطانيا منعت عبدالحليم من الذهاب إليها للعلاج فيها. ولكن السلطات البريطانية

أنكرت هذه المزاعم ورحبت بقدوم عبدالحليم وقالت: إنها تنظر للجانب الإنسانى فى الموضوع. وكسبت بريطانيا بهذه الدعاية ما يفوق التصور».

ثم قال عكاشة: «إننا فى أمس الحاجة للدعاية السياحية وفى سبيل ذلك يجب أن نتحلى بالمرونة».

فى المقابل كتب وجدى فؤاد يرفض غناء جاكسون فى مصر: «إن مايكل ليس ساحراً سوف يخرج السياح من قبعته بالآلاف. هذا هو منطق من لا يعملون، ولو أننا نعمل ما وقفنا اليوم هذا الموقف المهين المرحب بمن احتقرنا لمجرد أنه سيجذب السائحين لنا».

وأضاف: «إننا لا نرحب بهذا العنصرى الشاذ.. ولا نوافق على الدفاع عن جاكسون بالباطل».

■■

إن تلك هى الخطوط العريضة للقصة الجاكسونية فى مصر. وقد انتهى الأمر بأن نفذ مايكل جاكسون رحلته حول العالم دون أن يقف فى مصر التى استبدلها بتونس. والتى وجدتها فرصة كى تقول أنها وطن الحرية - أى تونس - وتغنى جاكسون أيضاً فى روسيا وماليزيا وجنوب أفريقيا وغيرها.. ما يهمنا هنا هو أن نقول أن مايكل جاكسون الذى اعتلى فى التسعينيات قمة «جبل الصخب الأعظم» كان نموذجاً غنائياً خاصاً، يعبر عن حالة تمرد واضحة جداً.. بالموسيقى والتصرفات الشخصية.. ومن هنا فهو كان نموذجاً لعديد من الشباب.. لكن هذا النموذج كان محاصراً فى مصر، وبلغ قمة الحصار برفض حضوره للغناء فيها.

هذا الرفض كان يعبر عن الطريقة التى نتعامل بها فى مصر مع الجديد، رغم أن شرائط جاكسون بالآلاف فى جميع أنحاء البلاد.. وقد بدونا بالتالى كمن يدفن رأسه فى الرمال، متوهماً أن العالم انتهى من حوله.. دون أن ندرى أن فتح الأبواب أمام التنوع هو الذى يمكن أن يقضى على الاتجاهات الغريبة، ومنها عبادة الشيطان والموسيقى السوداء.

إن الجزء التالى من الكتاب، والذى خصصته كى يعبر هواة الروك فيه عن أنفسهم، يوضح هذا المعنى، ويشير إلى أن هناك نقصا فادحا فى أنواع الفنون التى يقدمها المجتمع لهؤلاء الشباب.. ومن هنا فإننى أدعو لقراءة هذا الجزء بعناية فائقة، فهو نبض يعبر عن جزء هام من الذوق الشبابى الآن.

الروك وحياتى

الدكتور «SKULL».. الرمز الذى اختاره هذا الشاب كى يشير به إلى نفسه نيابة عن كل «مستمعى الروك ومغنى الموسيقى على أرض مصر» حين كتب لى يوضح ما هو الفارق بين عبادة الشيطان وهواية الموسيقى حسب رأيه.. وإننى هنا أحب أن أسجل ملاحظة هامة، هى أن كل هؤلاء الذين حاولوا أن يناقشونى فيما كتبت عن هذه الظاهرة كانوا يعانون من خوف عميق، رغم أن سلوكهم العادى يوحى بحب المغامرة والرغبة فى التمرد وإعلان الصوت العالى، وهى حالة تعبر عن تناقض غريب، بالإضافة إلى تناقضات أخرى عديدة وسط هذا النوع من الشباب.. وعموماً، ليس أمامنا سوى أن نقرأ ما قال هو وغيره كى نتعرف على الطريقة التى يفكر بها شباب مصر.

إنه طبيب بأحد المستشفيات العامة فى صعيد مصر، ووفقاً لروايته فإنه كان متفوقاً، حصل على تقدير جيد جداً فى شهادة البكالوريوس، يقول أنه لا يعانى من تفكك أسرى ولايدمن المخدرات، ويستمع لموسيقى الروك منذ١٢ عاما ويضيف: «من الخطأ ربط سلوك بعض الأشخاص بتيار سماعى معروف له عشاق، والأضرار التى تحدثت عنها مضحكة ولا أساس لها من الصحة، وهذا الذى يقولونه على زيادة ضربات القلب واضطراب التنفس يحدث أكثر فى حالة الرقص الشرقى وما يسببه من إثارة جنسية ومصر لها الريادة فى ذلك».

وبعد أن أشار إلى أن موسيقى الروك ولدت فى عام ١٩٥٥ بأغنية ROCK AROUND THE CLOUK تحدث عن أنواع لا أول لها ولا آخر فى هذه الموسيقى.. منها : الهارد روك، الهيفى روك، البانك روك، الآرت روك، الجلام روك، السبيد

ميتال، التراش ميتال، الديث ميتال، الجريند كور، الدوم ميتال. ثم راح يضرب أمثلة بأن هناك فرقا غربية تعزف هذه الموسيقى حاربت الإدمان «مثلاً فريق ميتاليكا، وفى ألبوم عام ١٩٨٦ انتقد الفريق إدمان المخدرات، حيث وصف ما يحدث للمدمن على لسان المخدر، وفريق «سبيللتورا» فى ألبوم عام ١٩٩٣، غنى أغنية ناقش فيها القضية الفلسطينية والصراع الدائر بين العرب واليهود على الأرض وقد صورت هذه الأغنية فى فلسطين وتذاع فى محطة إم.تى.فى. وهناك فرق أخرى تغنى عن تلوث البيئة والكوارث الطبيعية وأخرى تنادى بتحرير العبيد والهنود الحمر وغيرها تغنى عن انقراض الحيوانات والفساد السياسى..وبالطبع فإن هناك اتجاهات فى الروك تتحدث عن الحب والجنس وأمور أخرى».

ثم أضاف: «هناك فرق فى الديث ميتال والدوم ميتال تغنى فعلاً للشيطان وتمجده وتلعن الآلهة، ولديها سخط لا حدود له، وتغنى كثيراً عن الجحيم، ولكن هناك شيئاً اسمه حرية.. وكل إنسان من حقه أن يفعل ما يراه طالما أنه لا يضر حرية الآخرين».

«إن المدمنين فى مصر أعدادهم كبيرة، ولا يمثل مستمعو الروك بينهم نسبة تذكر، وقد حضرت معظم الحفلات التى أقيمت فى مصر.. ولا أستطيع أن أقول أنه لم يكن بين الحضور مدمنو مخدرات.. ولكن هل تعرفون ما يحدث أيضاً فى حفلات المغنين العرب والمصريين والذين يحترفون غناء الكلام الفاضى. لو أردتم إلغاء هذا الغوا الموسيقى أيضاً.»

إن الدكتور SKULL لا يتوقف عند هذا بل يتجه إلى الحديث عن مميزات موسيقى الروك.. ويقول: «قيمة هذه الموسيقى أنها تفرغ الشحنة النفسية، ولهذا فإنهم فى أوربا وأمريكا يذهبون إلى هذه الحفلات ويفعلون كل ما لا يعجبكم، لتفريغ الطاقة والشعور بالارتياح، وهذا أفضل من تفريغ العنف فى الشوارع.. وأنا أرى أن تلك ميزة ووسيلة متحضرة».

«شخصياً أنا مدين لموسيقى الروك بحياتى، إنها هى التى جعلتنى على قيد الحياة حتى الآن وسط كل هذه الضغوط النفسية والمعنوية.. إنها تأخذنى إلى عالم آخر..

وكنت إذا ذهبت إلى حفل روك أجد أشخاصاً ليس لهم فى اللون، وأظن أن من كتب لكم عن هذا الذى تعجب منه فى الحفلات.. ليس له فى اللون.. وما حدث لهم هو ما نسميه نحن فى الطب النفسى بـ «الصدمة الأولية»، ورغم ذلك فإننى لا أنكر أن موسيقى الروك عنيفة الإيقاع والكلمات، ولكن بها الكثير من الروعة والقيمة».

ووجد الدكتور SKULL حلاً للمشكلة من وجهة نظره حين قال: «إلغاء الحفلات ليس هو الحل، وإنما تنظيم هذا، وأن يقوم الأمن بإخراج كل من يمارس المظاهر الغريبة.. أما بالنسبة لتحضير الجان والشموع فما أكثر المشايخ الذين يفعلون ذلك ورغم أنهم لا علاقة لهم بموسيقى الروك.. ويستوى فى هذا الروك وموسيقى حسب الله».

كل ما يرضينى

رامى وسيم فريد، عمره ١٨ سنة، بعد أن حصل على الثانوية العامة من مدرسة الجزويت التحق بالجامعة الأمريكية، كان فى البداية يحب موسيقى البوب pop ، وهو نوع يرى أن هناك شبابا كثيرين يحبونه، لكنه وجدها لا تتحدث إلا عن الحب والشوق واكتشف أن كل الأغانى متشابهة.. ثم اتجه إلى الهيفى ميتال والميتال العادى.

قال لى فى خطاب خاص: «فى هذا النوع وجدت كل ما يرضينى، موسيقى مختلفة، كل فريق له سمة خاصة، والأغانى متميزة، تتدرج من تأملات الحياة إلى الحديث عن حقائق وقضايا نفسية وعالمية.. وهكذا صارت جزءاً مهما فى حياتى، وأصبحت نقطة انطلاق فى بداية التفكير والتأمل عندى».

إن رامى وجدها فرصة كى يعبر عن إعجابه بفريق سافاتاج Savatage، وضرب مثلاً بألبومه Streets أى الشوارع .. ويقول عن هذا الألبوم: إنه يحكى قصة شاب تعرض لمشاكل وضغط كبير فبدأ بالشك فى وجود الله فى أغنية St.Patrick's وفى نهاية الشك يعترف الشاب والفريق بوجود الله والدعوة له بالخلاص فى أغنية Meal My Soul ثم بالاعتراف بالضعف وقوة الله فى أغنية Some where in time وفى النهاية يجيب الله على هذا الشاب ويطلب منه الإيمان فى أغنية Belive ويرد عليه

الشاب بالإيجاب. ولعلكم لاحظتم أن فريق سبيللتورا فى ألبومه Roots قدم شكراً خاصاً لله».

«أما حديثكم هذا عن الشيطانيين، الذين تعتبرونهم أخطر ما فى الأمر، فإننى أقول أنهم قلة، ولا يمثلون شيئاً بين مستمعى الميتال، وقد أدى هذا الحديث إلى ربط بين هذا النوع من الموسيقى وبين هؤلاء فى عقول القراء. وقد وصل الأمر إلى حد أن أحد زملائى الذى يعرفنى منذ فترة طويلة قال لى: خد بالك من نفسك.. وأنت إيه نظامك مع الشياطين والمخدرات».

وعبر رامى فريد عن ضيقه من المقالات التى كتبتها حين قال: لقد أصبح ال ـ تى شيرت الأسود «ربنا يحفظنا». وهنا أحب أن أعقب على المقارنة التى عقدتموها بين تطرف الفقراء وتطرف الأغنياء.. إن النوع الأول نما وزاد لأنه يتخفى وراء ستار دين يؤمن به المجتمع، ولكن فى المقابل هل يستطيع الشيطان أن يخترق عقل المواطن المصرى.. لا أظن.. لأن هذا فى رأى العوام كفر وزندقة.. وكل الذى سيحدث بعد هذه المقالات هو أنه ستكون هناك رقابة شديدة على الأسطوانات المستوردة وطبعا سوف تتوقف الحفلات تماماً.. ومن هنا أرجو أن توضح أنه ليس كل «ميتال» شيطانيا.. وليس كل هاوٍ لهذا النوع من الموسيقى شيطانا..

هـز الرؤوس

نموذج ثالث، اسم صاحبه «تميم»، عمره ١٦ سنة، طالب فى كلية التجارة بجامعة عين شمس، بدأت علاقته بالروك منذ سبع سنوات ونصف.. «منذ هذه الفترة لم أجد فى مصر تشويهاً لهذا النوع من الموسيقى إلا الآن، بسبب هؤلاء الذين يحاولون لفت الأنظار لهم، ويجعلون من الروك موضة أو روشنة».

هكذا بدأ الفاكس الذى أرسله لى «»تميم» على روز اليوسف بعد إتصال تليفونى طويل معبراً عن رأيه فى الدفاع عن هذه الموسيقى، وقد تحدث عن عدة أشياء.. عن المخدرات فى الحفلات.. قال: «إنها ظاهرة منتشرة فى مجتمعنا ومجتمعات أخرى،

ليس لها ارتباط بالموسيقى، والمدمن لن ينتظر حفلة الروك كى يتعاطى المخدرات، وإذا أراد أن يتعاطى سوف يفعل هذا فى أى مكان، ثم إن المخدرات موجودة أيضاً فى حفلات الديسكو وغيرها».

وقال: «إنكم تكتبون عن هز الرؤوس الـ Head Banging ورقصة اصطدام الأجساد Slam Dance .. وهى ليست لها علاقة أبداً بالشعوذة وتراتيل الشيطان، إنها نوع من إخراج الطاقة كما يحدث فى الديسكوهات».

وتحدث «تميم» عن أغانى الفرق الشيطانية: «أحب أن أنبه إلى أن أغلب الفرق الشيطانية فى الغرب تغنى باللغتين النرويجية والسويدية، ولا أظن أن هناك كثيرين فى مصر يفهمون هاتين اللغتين، إنه تقليد أعمى بدون فهم أو وعى». «إن هؤلاء الذين حطموا الصليب فى حفل الزمالك محدثون، وليسوا شيطانيين، لأنه ليس من السهل أن يصبح الشخص على اتصال بالشيطان».

وأخيراً: يجب ألا نترجم الأغانى الأجنبية بطريقة حرفية، ويجب أن يكون المترجم ملماً باللغة العامية التى كتبت بها الأغنية حتى يترجمها، وكمثال هناك أغنية لفريق بلاك ساباث اسمها Computer God أى إله الكومبيوتر.. وهى لا تقصد الله وإنما تتحدث عن غزو الآليات للحياة الحديثة والاستغناء عن البشر لأداء المهام اليومية. وبعد فإنك لا تستطيع أن تكفر هؤلاء الذين يقومون ببعض التصرفات التى ليس لها أى معنى.

أسطوانات الكفر

رأى جديد.

«أنا عضو فى إحدى الفرق التى تتهمونها بالتكسب من وراء الأغانى الشيطانية وأنا على علاقة قوية مع كل الفرق والشخصيات المذكورة، ومستمع جيد لكل الفرق التى تحذرون منها، وأكتب لكم من داخل هذا المجتمع المغلق .. وليست لى مصلحة فى ذلك الذى سأقوله».

ذلك هو التعريف الذى اختاره لنفسه.. ولكن.. ماذا قال؟

«هناك بالفعل كثير من الأسطوانات والشرائط المتداولة تحرض كلماتها على الكفر وعبادة الشيطان، ولكنها لا تمثل أكثر من ٢٠٪ من مجمل الموسيقى التى نستمع إليها، ونحن لا نعير هذه الكلمات أدنى اهتمام وإنما نحن نهتم بالموسيقى فقط».

«أعرف كل هؤلاء الذين كتبتم عنهم فى القاهرة والإسكندرية، وقلتم أنهم يمارسون طقوس عبادة الشيطان.. إنهم ليسوا كذلك، إنهم مجموعة من الشباب الذين نسيهم المجتمع، ويحاولون لفت الأنظار إليهم بأى وسيلة.. وقد وجدوا فى هذه المظاهر وإيهام من حولهم بممارسة تلك الطقوس الحل المثالى للفت الأنظار وإكسابهم هالة من الغموض والرهبة لإثبات الذات.. هذه هى الحقيقة.. وهى مجرد موضة سوف تأخذ وقتها وتنتهى».

«فى نفس السياق يجب أن نفرق بين أنواع الموسيقى التى تتحدثون عنها، وهذه التى تتحدث عن العدل والحرية وهى أمور لا يتحدث عنها أى مطرب عربى.. وأخيراً أقول إن مصر وشبابها بخير ونحن لن نخسر ديننا بسبب بعض [illegible]رق الموسيقية لأن لدينا وازعا دينيا قويا.. لم نربَّ عليه فى المدارس.. وإنما هو فى قلوبنا وضمائرنا».

«إن عبدة الشيطان الحقيقيين لا يعبدونه بل هم الذين يتبعون خطواته».

الحديد والحديد

شاب آخر من مصر الجديدة أرسل يدافع عن موسيقى الروك، بعد أن كتبت مقال: «نادى عبادة الشيطان» وقد لخص رده فى عدة نقاط:

١ - إن هذا النادى غير مسئول عن هؤلاء العبدة.. إنه فقط مختص بتنظيم حفلات الروك..

٢ - اسمه دوم كلب وكلمة Doom تعنى الفناء وليس المصير السيئ، وفى الإنجليزية يطلق على يوم القيامة اسم Doom's Day.

٣ - فرقة «بلاك روز» المصرية تعزف الدوم روك وهى موسيقى هادئة جداً، وكلمات الأغانى تشير للدمار الذى خلفه الإنسان على الأرض.

٤ - عبادة الشيطان موجودة منذ آلاف السنين، بل منذ الفراعنة، حيث عبد الهكسوس «ست» إله الشر لدى الفراعنة، وقد ارتبطت هذه العبادة بالهيفى ميتال لأن إيقاعه قوى وسريع وهى عبادة فيها عنف وحيوية، وبعض فرق الديث ميتال من أتباع هذه العبادة ولكن معظمنا من سامعى هذه الموسيقى لا نحب هؤلاء، لأنهم يسيئون إلى كل الهيفى ميتال.

٥ - فى الخارج عرفوا مثلنا القائل «لا يفل الحديد إلا الحديد» وقد ظهرت فى مواجهة هذه الفرق التى تؤمن بهذه الأفكار فرق أخرى اسمها «الكريستيان بلاك» رداً على «الستيناكس بلاك ميتال» أى فرقا مسيحية.

٦- هذه ليست العبادة الوحيدة الشاذة فى مصر، بل هناك عبادات أخرى كثيرة معظم طقوسها تقام حول الأهرامات فى يوم ١١ نوفمبر من كل عام.

٧ - بالنسبة لما يحدث من جنس ومخدرات هذه مظاهر موجودة فى كل مجتمعات الشباب وليس للروك أى دخل بها، ومن يستبيح الجنس والمخدرات سوف يفعل ذلك فى أى مكان .

٨ - الهيد بانجنج والسلام دانس نوع من إخراج الطاقة، مثل أى رياضة تخرج العنف فى صورة مقبولة حضاريا، وهى من حسنات موسيقى الميتال بدلاً من أن يلجأ الشباب لمعارك الشارع.

٩ - نحن لسنا شواذ مثل الهيبز، الذين كانوا يدعون للخروج على كل قانون، نحن هواة سماع الروك، لنا فلسفة فى الحياة، وهى أنها لا تستحق ما يحدث فيها من حروب ومدافع.

١٠- إن حالات الاختناق التى تحدثت عنها والموت فى حفلات الروك يحدث مثلها مع أى نوع من الموسيقى بسبب الحركة والتدافع بالأيدى والأجسام.

١١- إذا كنت تهدف إلى منع الهيفى ميتال عن طريق الشرطة.. هذا لن يحدث أبداً،

أما إذا كنت تفتح نافذة للمناقشة.. فها أنا ذا أستجيب لمناقشة متحضرة من خلالك.

انتهى الخطاب. وسوف يلحظ القارىء أننا تعرضنا له من قبل بتحليل مفصل.

الطور والطحين

وائل متولى ، هو الآخر من سكان مصر الجديدة، يدرس الهندسة فى جامعة عين شمس. فى البداية أرسل خطاباً طويلاً.. وبعد أن تصاعدت الحملة أرسل خطاباً جديداً.. الأول كتبه بدون اسم. والثانى كتبه باسمه مرفقاً بصورة الخطاب الأول كى يؤكد أنه صاحبه.

وإليكم الأول: «من حقهم أن يسمعوا وأن يرتدوا ما يريدون، ومن حقهم إطالة شعرهم.. ولكن الذى لا تعرفونه هو أن «الدوم» ليس سوى نكتة أو دعابة أطلقناها على هؤلاء الشباب، وكنوع من «التريقة» على الوهم الذى يعيشون فيه، وسرعان ما انتشرت هذه الدعابة بيننا.. وهذه الدعابة أنتم جعلتموها حقيقة».

«إن عديدا من الفرق التى كتبتم عنها ليس لها فى الطور أو الطحين. ومنها فرقة سافاتاج التى كان ألبومها الأخير عن مأساة البوسنة والهرسك، وغنت من خلال صبى بوسنى وفتاة مسلمة عن سراييفو، وغنت عن رجل يوغوسلافى عجوز عاد إلى وطنه فوجده خرابا. وأنا أملك كل شرائط سافاتاج والنادر منها أيضاً عندى، ولم أصادف لهم أغنية تعبد الشيطان. بل إنهم فى الشريط قبل الأخير كانوا يغنون ضد الشيطان».

وفريق سبيللتورا له أغان تدور حول الثورات مثل ثورة الشباب فى الصين وثورة الحجارة فى فلسطين. أما فريق بانتيرا الذى يمتلىء أحد ألبوماته بالشتائم الإنجليزية فلم يذكر هو الآخر الشيطان فى أغانيه.. وإذا كانت هناك فرق تغنى للشيطان فإننا لا نستمع لها، ونأخذ موسيقاها على أنها نوع من الخبط والرزع أو كأنها وسيلة لإخراج الطاقة الزائدة كما يفعل البعض وأقول البعض لأنهم قليلون. أما أكثرية من يستمعون الروك فقد اتجهوا له لأنه يغنى موضوعات هامة، ليس فيها أن يصرخ المغنى نار.. نار؟ أو هجرتنى ليه، أو حتى كداب يا خيشة!

«لقد تعرضنا لمشاكل فى بيوتنا، لأن أهالينا يعرفون أسماء الفرق التى نسمعها، ورأينا زملاءنا فى الكلية ينظرون لنا على أننا من عالم آخر..».

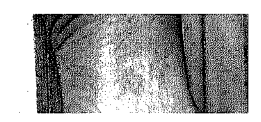
الخطاب الثانى لم يخرج كثيراً عن هذا.

وقال فيه وائل: «تتكلمون عن الديموقراطية والرأى المعارض، مع أنكم لا تطبقون هذا الكلام.. وبالطبع لم تفكروا لحظة فى المشاكل التى تعرضنا لها. ولقد ظهرت شائعات عن أنه تم إلقاء القبض على بعض الأشخاص، خاصة أعضاء الفرق، وبعضنا وصلته تليفونات من نوع «لو ما بطلتش حنحط السيخ المحمى فى صرصور ودنك» واضطرت بعض الفرق إلى التوقف عن التدريب وبعضهم أخذ أجازة إلى أجل غير مسمى».

تخيل أنك متهم بعبادة الشيطان بسبب ما تسمع من نوع معين شيطانى.. ثم اتهام الجميع بأنهم مثلهم. وأقول يا سادة: إن هناك من يسمع أم كلثوم وهو يشرب الخمر والمخدرات فهل معنى ذلك أن كل من يسمعها يفعل ذلك؟!

إننا لا ننكر أنهم يفعلون ذلك. ولكن لا تأخذونا بذنبهم. وأرجو أن يدرك الجميع أن هناك أناسا يسمعون هذه الأغانى وأيضاً هناك آخرون يسمعون أغانى روك محترمة لا تتدخل فى العقيدة وليس لها علاقة بالشيطان.

■■



كنت حتى هذه اللحظة يخالجنى شك فى أن ما أبحث عنه ليس سوى قصة عدد قليل جدا من الشباب.. وليس اتجاهاً له أتباع ومؤيدون.. ثم وصلنى خطاب جديد يروى قصة جديدة، لها نفس المضمون.. تؤكد أن الظاهرة ليست قاصرة على بعض هواة موسيقى الروك، وإنما تمتد إلى ما هو أبعد من ذلك.. وأخطر.. إلى قلب المدارس الثانوية.

محمد مقبرة!

ملحوظة: «أعتذر عن سوء الخط، فلم أكتب ذلك الخطاب بيدى، بعداً عن المشاكل».

كانت تلك هى الملحوظة التى دونها طالب من مدرسة الطبرى الثانوية على ورقة كراسة كتب فيها خطابه الغريب.. دون أن يكشف عما إذا كان كتب هذه الرسالة بيده اليسرى أم بيد شخص آخر.. لكنه كان يعبر عن نوع هائل من الخوف والرعب، وهو يسجل ملاحظاته تلك.

«إننى طالب بالصف الثالث الثانوى، غيور على دينى، أنقل لكم صورة حية عما يحدث بين جدران المدرسة، وإن كنت لا أجزم بحقيقة ما رأيت.. لكننى أدونه لكم».

داخل المدرسة بعض الشباب الذين أنشأوا ما يسمى بـ « ديث كلب».. أو «نادى الموت».. «DETH CLUP».. رأيت فيهم نفس الصفات التى تحدثتم عنها.. شعر طويل.. سكسوكة.. عدم التزام بالزى المدرسى.. فانلات سوداء بعضها بدون رسوم.. وبعضها عليه أشكال مفزعة».

لاحظتهم.. زعيمهم اسمه «محمد ....» وشهرته«GRAVE»أى مقبرة.. ومساعده ملازم له.. اسمه محمد أيضاً.. من فصل آخر.. ومعهم عشرة طلبة.. يتمركزون حول حمام المدرسة، أو أى مكان فى الحوش.. رأيتهم ذات مرة يذبحون قطة.. وهم يتكلمون بأشياء غريبة لم أفهمها..دهسوها حتى ماتت.. ثم أخذوا يتصايحون بصيحات يستخدمونها حين ينادون على بعضهم البعض».

ولقد كتبوا اسم ناديهم هذا على جدران المدرسة.. ورسموا نجمة داود.. ويمكن لكم أن تتأكدوا من ذلك.. فالكتابة واضحة وبخط أسود كبير.. «فعلت ذلك، وتأكدت منه ـ المؤلف».. وفى أحد الأيام رأيت زعيمهم وقد ارتدى «تى شيرت أسود عليه وجه مرعب ومكتوب عليه بالأحمر كلمة Deicide.. لم أفهم معناها، لكننى بحثت عنها فى القاموس.. ووجدتها تعنى «قاتل الرب» ـ الكلمة التى يشير لها صاحب الخطاب هى فى نفس الوقت اسم فرقة روك معروفة، المؤلف - وكان مرسوماً على ظهر الـ تى شيرت صليب مقلوب ونجمة داود».

أضاف: «من المؤسف أن هؤلاء الطلبة كانوا فى الصف الأول الثانوى من أرقى الطلبة فى المستوى المادى والاجتماعى، ومعظمهم من سكان المناطق الراقية.. لكننى رأيتهم يتغيرون.. ورأيت معهم شبابا من مدارس أخرى وجامعات.. ومعهم بنات..

يركبون سيارات فاخرة فى ميعاد بداية الدراسة وحتى إذا حول أحدهم إلى مدرسة أخرى فإنه يظل على علاقة بالمجموعة التى فى المدرسة».

التوقيع.. طالب فى الطبرى

■ ■

يجب بعد أن انتهى الخطاب أن أقول أن «محمد مقبرة» الذى تحدث عنه هذا الطالب قد ألقى القبض عليه فيما بعد ثم أفرج عنه.

لقد ختم هذا الطالب شهادته تلك بقوله: «لا أعرف كيف يترك هؤلاء المجاذيب الرب ليعبدوا شيطانه».

وهو تعليق ذو مغزى هام، يعكس روحاً دينية لدى هذا الشاب.. ولكنه تعليق قاصر للغاية لأنه لم يدرك خطورة أن تمتد هذه الظاهرة إلى قلب المدارس الثانوية.. وفى مدرسة من المفروض أنها راقية، تحظى بشعبية هائلة.. ويحاول كل ناجح فى الإعدادية أن يلتحق بها.. ومن هنا فإن القصة خطيرة ومثيرة ومريبة، واللعبة ليست قاصرة على مكان معين، وإنما هى تمتد من مصر الجديدة إلى سبورتنج ومن المعادى إلى الميرغنى.. ومن الزمالك إلى الهرم كما سوف تؤكد ذلك الحقائق التى سنرويها فيما بعد.

و ضرب أمه

كانت هذه الأم تظن أنها الوحيدة، هذا هو أدق وصف يمكن أن أطلقه على صاحبة تلك المأساة، التى قالت فى خطابها أنها تعمل ضمن هيئة تدريس جامعة القاهرة وأن زوجها يعمل طبيبًا فى السعودية، وأن ابنها ضائع مع الشياطين.

لقد كان خطاب هذه المرأة هو الذى وصل بحملتى الصحفية فى موضوع عبادة الشيطان إلى نقطة الذروة الدرامية، فقد انقلبت الدنيا بعد أن نشرته، وتوترت الأمهات، وسألنى الكثيرون ـ بمعدلات أكبر ـ عن هذه القصة وطلب فنانون تحويلها إلى فيلم سينمائى.. وقبل هذا الخطاب كانت كل الرسائل تصل من شباب تدور

حولهم الحملة، إما مع، وإما ضد، وفى غضون هذا كنت أتلقى اتصالات تليفونية من الأمهات، لكن هذه المرة الأولى التى تكتب فيها أم لى عن هذه المأساة وترصد القصة بحيث ساهمت فى دق ناقوس الخطر أمام كافة الأسر ودفعت عديدًا من الأمهات أن يتصورن أنه من الممكن أن يحدث هذا لهن.

لقد قالت: «بعدما قرأت عن موضوع «عبادة الشيطان» فى أحد أعداد روزاليوسف بالصدفة أدركت أن هذه المشكلة التى يصر البعض على أنها لم تتفاقم بعد ولم تنتشر، وكنت أظن أنها مشكلتى وحدى، هى مشكلة رهيبة تتسع دائرتها بسرعة وعشوائية».

ولكن ما هى القصة ياسيدتى؟

وكأنى وجهت لها السؤال، وكأنها كانت تجيب حين قالت: «نحن عائلة مكونة من ثلاثة أفراد. أنا دكتورة فى جامعة القاهرة، وزوجى طبيب فى السعودية، وابننا محمد جاءه تنسيق الثانوية العامة فى تجارة الإسماعيلية العام الماضى.. كان يمكن أن يدخل إحدى الجامعات الخاصة، ولكن والده أصر على تنسيقه، ولأننا نمتلك: فيللا فى الإسماعيلية فقد فضل أن يقيم بها، بدلا من الغربة. وهكذا أقام ابننا محمد فى العام الأول بالفيللا، ونظرا لانشغالى وسفر أبيه لم أكن أعلم عنه شيئا فى هذا العام حتى جاء ميعاد النتيجة، وعلمت أنه لم يوفق فى جميع المواد، فذهبت لأراه وأرى الفيللا لأول مرة منذ عام. إذ كان يأتى للقاهرة كى يأخذ فلوسا منى فى كل أول شهر أو أبعث له بها مع السائق.

لقد أصابنى الذهول، فمن أول خطوة لى فى الفيللا وجدت الحديقة التى كانت تمتد لمساحة ٢٠٠ متر مربع خالية إلا من التراب، وبعض الرماد، الذى لم ألتفت إليه وقتها، وكان عبارة عن دائرة بداخلها نجمة خماسية. ووجدت على الجدران رسوما غريبة دونت بالإسبراى، كان منها صليب مقلوب ونجوم ودوائر وأسماء فرق أجنبية.. كتب بجانب هذا بطول الفيللا وباللون الأحمر عبارة «Davil Cousine» - أولاد عم الشيطان.

وجدت ابنـى مستغـرقا فى النوم مـع خمسة مـن أصدقائه، كانـوا يرتدون جمـيعا ملابـس من الجلـد، وكانوا غـارقين فى زجـاجات الـبيرة وأنـواع أخرى من الخـمور وحولهـم علب دهان «إسـبراى» من تلـك التى طلـوا بها المنـزل. ولم أتمالك نـفسى. أيقـظته هـو وأصدقـاءه. وصرخت: «إيـه اللى عـملتـه ده». خرج أصـدقاؤه بسـرعة وسمعت أصوات محركـات، وكانت الدراجات البخارية غريبة الـشكل موجودة فى الجراج ورأيتها أثناء دخولى الفيللا».

أفاق محـمد، وقال لى: «إيـه اللى حصل؟» قـلت له: «البيـت.. الفيلـلا». قال لى بهدوء أنه حدثت حريقـة فى الحديقة وأن النار طلعت على البيـت. فقلت لأصحابى تعالـوا ندهنه. وبعـدين دى حاجة عاجـبانى وأنا الذى أعـيش هنا. ثم إنـنى أريد ٨٠٠ جنيه».

قلت له: «انت مش واخد ٥٠٠ جنيه الأسبوع اللى فات. فقال: أناجييت الچاكيت اللى إنت شايفاه ده. قلت: وعايز الفلوس فـى إيه؟! قال: هاتعلم جيتار. قلت له: خذ الفلوس، يمكن تبطل الهباب اللى بتشربه، بس يكون فى علمك لو ما نجحتش مافيش فلوس».

كنت أظـن أن كل هذا هو جنـون شباب عادى. لكنـى أوصيت البواب أن يـراقبه، ويقول لـى كل ما يحدث. إلا أننـى للأسف سافرت لـحضور مؤتمر لمدة شهـر، وحين عدت وجدت على «الأنسر ماشين» أكثر من عشر رسائل من البواب.

اتصلت به ـ البواب ـ فـى بيته، فرد علىَّ: «إلحقى ياهانم، ابنـك ده شيطان الحقيه». وروى لها البواب كيف يتجمع الابن مع أصدقـائه كل يوم ثلاثاء ـ نحو خمسين ـ ثم يصنعون دائرة فى الحديقة ويوقدون الشمـوع، ثم يحضر الابن أجهزة تكبير الصوت من داخل الفيللا، ويرددون وراءها الأغانى، ثم يذبحون كلبا أو قطة.

تقول الأم: «إلى هنا الموضوع ليس فيه جديد عـما كتبتم من قبل، ولكنى عرفت أن مبادىء هـؤلاء حرق كنيسـة أومسجد واغتـصاب ميتـة واغتصاب أخرى حـية.. وقد حاول أحـد أصدقاء محـمد اغتصـاب زوجة البواب رغـم دمامتهـا.. ومن مبادئـهم

كذلك التبرز على الكتب المقدسة وشرب الدماء وأكل الحيوانات الميتة! وأداء أى شيء شرير كى تستمر الجماعة. فقد ذكر لى البواب أن إحدى العجائز حاولت الاستناد على أحد أصدقاء ابنى كى تعبر الشارع فما كان منه إلا أن دفعها بقسوة وسقطت فى الشارع. وقد ترك البواب البيت خوفًا».

إن الأم التى تروى القصة المروعة وكما تقول فى خطابها لى اتصلت بزوجها فوراً فى السعودية، وطلبت منه الرجوع بأقصى سرعة بعد أن أخبرته بما حدث.. ثم سافرت إلى الإسماعيلية، وبالصدفة ـ أو لسوء الحظ حسب تعبيرها ـ كان يوم السفر هو الثلاثاء.. حيث دخلت الفيللا لتجد الدائرة مرسومة والنيران مشتعلة فى أطرافها.. وفوجىء بها الجميع فنظروا لها بغضب. وارتعدت هى من شدة الخوف.. «لو رأيتم هذا الشاب الذى أطال شعره والفتيات اللاتى ارتدين ملابس جلديه خليعة.. ولو شاهدتموهم جميعا ملطخين بالدماء لأدركتم مشاعرى فى تلك اللحظة».

عندئذ انفصل شاب عن المجموعة، واتجه نحو السيدة الخائفة. «إنه ابنى محمد.. لم أتعرف عليه فى البداية بسبب شعره والدماء على شفتيه وعينيه الغاضبتين».. «قال لى بغضب هادر: «إطلعى بره.. فرددت مذهولة: محمد. رد: ما تقوليش محمد. وانهال علىّ بالركلات والضربات ولم أفق من وعيى المفقود إلا داخل مستشفى الجامعة بالإسماعيلية حيث وجدت زوجى قد حضر.. وجلسنا نبكى فى صمت».

لقد سألت الأم زوجها عن ابنها. فقال لها إنه لم يجده. وأنه استبدل سيارته «الهوندا سيفك» الجديدة بموتوسيكل هارلى». وأنه باع عفش البيت قبل أن يغادر المدينة مع سبعة من أصدقائه.

وتقول فى ختام عرضها لهذا المأساة: «إننى أعرف أننى وأباه مسئولان عما حدث، ولكنى أريد من أى شخص أن ينقذ ابنى الذى ضاع ويعيده لى».

هذا هو الخطاب الأغرب الذى وصلنى، وقصته لم تنته عند هذا الحد، إذ أن هناك أشياء أخرى حدثت بعد نشره سوف أرويها، ولكنى أقف عنده. هنا ضمن خطابات

وآراء أخرى نقلـها لى البريد تعبر عن أن هناك أزمة وظاهـرة حقيقية.. لم تـصل بعد إلى ماوصلت إليه الظاهرة فى الغرب، ولكنها موجودة.

■■

بعـد أن نشرت الخطـاب، بدون أسماء، وبـعد أن تأكـدت من مصادرى أن هـناك جماعة من هذا النوع فى كـلية تجارة الإسماعيلية، فوجئت بخطابـات من الإسماعيلية تحاول أن تقول أننى وقعـت فى الفخ، وأن القصة ملفقة وكان فـى هذه الخطابات رقم تليفـون لهذا الشاب.. إتصلـت به فزعم أنه هو الذى ألـف القصة كلها. وطـلبت أباه فتهرب منى.. وعدت أكلـم الشاب فزعم أنه نقل هذه الوقائع من فيـلم أجنبى ولكنه فشل فى أن يذكر اسم الـفيلم. وبعد عملية واسعة من جمـع المعلومات عن الأسرة، صـادفت عمه الـذى أكدلى صـدق الحكاية.. وأردف طـالبا مـنى أن أتركهـم فى حالهم لأن الابن قد عاد.

وفيما بعـد علمت أن والد الشاب من كـوادر الإخوان المسلمين البارزيـن، وفيما بعد أيضا اتصل بـى زميل فى روز اليوسف يطلب منى أن أتـرك هذا الشاب فى حاله وألا أكتـب عنه بـناء على وسـاطة أحد أصـدقائه الـذى هو خال الشـاب نفسـه. وقد استـجبـت.. خاصـة أننى عـلمـت أن هنـاك محـاولات جدية لإعـادة الابن لـلحـياة الطبـيعية.. ولاسيـما أننى لا أريد هدم بـيت أحد.. وإنما لفـت الأنظار للظـاهرة. وقد تحقق هذا.

رسالة غامضة

اسمه «ديـبوس».. وهذا ليس اسـمه الأصلى، وإنمـا اسم الشهرة، ذلـك أن اسمه الحقيـقى كريم دعـبس، من سكـان شارع أحمد حـشمت فى الـزمالك. أحد الـذين طرحوا أسـماءهم أمامى باعـتبارهم من أتـباع عبادة الشـيطان فى مصر.. بـل ربما كان الوحيد الذى أعلن ذلك بصراحة.

فى نهـاية عام ١٩٩٦، وبمنـاسبة احتفـالات رأس السنة نظـم «ديبوس» هذا حـفلة موسيقية من نفس النوع الأسود.. كانت حفلة خاصة، وكما قال فقد أقيمت فى بيته..

ووزع لهـا بين أصدقـائه إعلاناً مـرسوما بخـط اليد، تم تصـوير أكثر مـن نسخة مـنه للدعاية للحـفل.. وقد تصدرت الإعلان صورة لفتاة رسمها ديـبوس بخط يده.. فتاة لهـا قرنان.. وهـى صورة عادة مـاتشير فـى هذه الإعلانـات إلى تخـيل هؤلاء «لابـنة الشيطان».

الغريب فـى الإعلان أنه أطلق علـى الحفل اسم «مهرجـان العام الشيطـانى». وقد طالب المـدعوين بعدم التـأخير، وبإحضار مـخدراتهم معهـم، وفى النهاية وجـه لهم ملحوظة طريفة تقول: «إذا كنت تصدق روزاليوسف.. لاتأت..»

هذا الإعلان جاءنى فى خطاب.

والخطاب.. أرسله ديبوس نفسه. وقد كتب على الظرف من الخارج اسمى. وبعثه إلى مكـتبى فى روزاليـوسف. لكنه فـى الداخل لم يـوجه لى الخطاب بـالاسم.. وإنما مضى يـعلمنى ويـوبخنى بمنتهى التكبـر والغرور ـ ولا أقول الثـقة ـ فقد بدأ خـطابه بجملة غريبة تقول: «اقرأ وركز. لأن دى الحقيـقة فى وسط كل الهجس اللى بتنشروه عننا».

وقال: «ديـبوس» الـلى هـوه أنا. رحـت من ثـلاث سنوات فى زيـارة للـجامـعة الأمريكية. عادى. باعـملها كثير. لكن فى هذه المرة قابلـت جاك رايت. بيدرس هناك. وعجبتنى شخصيته وحديثه. اللى أنا كنت محروم منها لغاية أما أبويا ودع. خرجنا مع بعض كام مرة ، كان دايـمًا الهتفون ـ سماعات الأذن ـ على ودنه ويـفضل يهز رأسه بطريقة غريبة. لاحظنى وأنا أنظر إليه.. قال لى: عايز تسمع.. قلت: وماله.

عجبنى اللون. وبقيت سميع كبير لجميع الفرق الميتال. وبدأت الأول Slow mital وبعدين Bink FLowid وبعدين دخلـت على الهارد Hard Mital والـDeth والبلاك Black Matal لما عجبتنى الحكاية قال لى جـاك تحب تعرف أكثر .. قلت: ما يضرش.. وكانت دى البداية.. أنا وأخويا خالد وجـاسر «وصولى» وحمدى أول ناس فى مصر عرفنـا وبقينا سـتانكس .. عرفـنا كل حاجـة من جاك. مفيـش دين. الشيطـان صاحـب الشرور فيـجب تقديسه خوفـا من شره وأنه الملاذ فى هذه الـدنيا المملة .. عمـلنا كذا

حفلة Deth . كله قال علينا مجانين وبعدين قلدونا. ولما فتح ماكدونالدز الميرغنى قعدنا هناك. واتعرفنا ولما قلدونا اللى هناك مشينا واسألوهم عن «ديبوس».

وآخر حفلة Deth عملناها فى رأس السنة فى الفيللا عندنا فى الزمالك. وقلنا فيها اللى يصدق روزاليوسف مايجيش أحسن ـ مرفق بالجواب صورة من إعلان الحفلة.

وعلى فكرة أنا مش واخدها ترويش. أنا مقتنع تماما. شوف مثلا الحال فى مصر لافى دين ولاحاجة كله هجس .. أبويا عمره ما صلى وكان عاملى مسلم. والملتزمين بالدين مجانين، فقد كانت لى تجربة مع إحدى الجماعات وكنت هاروح فى داهية ولكنى كتيت فى آخر وقت.

وعلى فكرة أيضا نحن ليس لنا يوم مقدس ولانضرب أمهاتنا وأنا عايش مع أمى وعمرى ما ضربتها والجلد ده لزوم الروشنة ـ يقصد الملابس الجلدية ـ والهارلى ـ أى الدراجات البخارية ـ حرية شخصية. وأنا ضد العنف. ولما سافرت باريس الجماعات هناك وهى الأصل مسالمة جدا. لا فى سرقة كنايس وجوامع ولا اغتصاب.. كل ده هجايس. واحنا على فكرة عاملين فرقة ميتال اسمها Divel ـ Band ـ وأنا ببيع شرائط Deth والحاجة الوحيدة الصحيحة فى كل المقالات هى شرب الدم. فهو من شروطنا الأساسية لنصبح إخوة. وبالفعل الصليب المقلوب شعارنا. فهو رمز لرفضنا المسيحية. والنجمة ذات الدائرة رمز للشيطان .. ولكل منا «دمهم باير» لدى رئيس المجموعة.. وهو جاك عندنا.. وهو يعنى عروسة من القش تأخذ شكله ويهبها القائد للمعبود لتصبح أرواحنا بين يديه.

كنت هانسى Divel Cousins زى ماقال جاك ليسوا ستانكس بل جماعة أخرى. أعتقد أنها لم تدخل مصر بعد. وأرجو أن تكف عن دعوتنا بخطر قومى وأؤكد أنه لم يقبض علينا ولن يحدث هذا.. وأنا على استعداد لمقابلتك أنا وجاك.

ديبوس

انتهت الرسالة الغامضة جداً.

وقد عمدت أن أنقلها بالحرف، بكل مابها، بكل عاميتها، وبكل عبلها، كى تكشف عن نفس صاحبها.. هذا الكشف الذى يتيح لى الآن أن أسجل عدة ملاحظات ضرورية بعد تحليل الرسالة وصاحبها من خلال ماكتبه.

١ ـ إن «ديبوس» شخص عدمى، لامبالٍ. لايهتم بأمور كثيرة، أو تقاليد، مغرور، ولذا فإنه كتب الخطاب بأول قلم وجده.. وقد كان قلم رصاص. ودون أفكاره بالعامية، التى أخطأ فى بعض حروف هجائها.. لكنه فى نفس الوقت لم يخطىء فى أى حرف بأية كلمة إنجليزية. وهذا يكشف عن أن ثقافته ليست عربية.

٢ ـ هذه الثقافة المختلفة تكشف عن حالة اغتراب ورفض للواقع، بداية من حرصة على أن يكون اسمه «ديبوس» وليس كريم. وديبوس هو اسم الدلع لاسم أبيه «دعبس». وقد أوحى الخطاب بأن الأب لم يكن قدوة لابنه، وأن الابن يتعامل مع أبيه وذكراه باستخفاف، فهو يقول عن موته «لما ودع». وفوق هذا فهو لايحترم سلوك أبيه الدينى.. «كان مسلم وعمره ماصلى». ثم قبل كل هذا فإن الأب هو فى رأى الابن «ديبوس».

٣ ـ عرف «ديبوس» الابن اللعبة السوداء من خلال شخص أجنبى، عن طريق الموسيقى.. التى تدرج فيها وفى سماعها.. ومنها وصل إلى أن يكون «ستانكس».

وبالتالى فإن هذا يثبت أن لعبة الموسيقى لاتقف عند حد الاستماع، وإنما هى تمتد إلى ما هو أبعد وتستمر فى طريقها إلى حد الوصول لعبادة الشيطان.

٤ ـ إن غروره أيضا هو الذى أوحى له بأنه أول من مارس هذه الموضة فى مصر، رغم أن هذا لايمكن إثباته بدقة. ورغم أنه يزعم أنه لايتعامل مع القصة على أنها «روشنة» إلا أنه فى ذات الوقت يكشف عن أنه حريص على أن يكون منفردا متميزًا بدليل أنه ترك ـ حسب روايته ـ الجلوس عند ماكدونالدز حين قلده الآخرون. وتدل جملته «اسألوهم عن ديبوس» على رغبة قوية فى أن يكون معروفا.. وربما تحققت لديه هذه الرغبة عن طريق عبادة الشيطان.

٥ ـ فى داخل هذا الشخص احساس كامل بالتحدى، يمكن التعرف عليه ببساطة من أول جملة فى الخطاب «اقرأ وركز، هى دى الحقيقة فى كل الهجس اللى بتنشروه عننا». ويمكن التعرف عليه من خلال الجملة الأخيرة «أؤكد أنه لم يقبض علينا ولن يحدث هذا».

وقد حاول ديبوس أن يحقق هذا التحدى فى البداية حين انضم إلى جماعة دينية متطرفة، لكن حين أحس بالخطر تراجع.. «كتيت فى آخر لحظة». ولأن عبادة الشيطان لاتواجه نفس الضغوط الأمنية، ولم تسترع انتباه أحد حتى كتب خطابه، وجدها ديبوس فرصة لممارسة لعبة التحدى الوهمى.

٦ ـ الخطاب من جانب آخر يؤكد أن هناك نوعا من التنظيم فى لعبة عبادة الشيطان. هناك مجموعة. وهناك قائد. وهناك شرب الدم ليربط بين الإخوة الأعضاء. وهناك رمز موحد. وهناك وثنية فى حكاية «عروس القش».

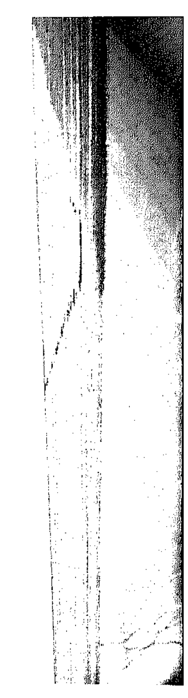
لكن حديثه عن أنه لايوجد شىء اسمه أبناء عم الشيطان، وحديثه عن أن هناك معلومات خاطئة.. لايثبت أن هذه هى الصورة الحقيقية الإجمالية لعبادة الشيطان، وإنما يثبت أن هناك تنوعا واضحا وفادحا بين المهتمين والممارسين لهذه اللعبة الموسيقية الدينية.. من مكان لآخر.

٧ ـ ورغم كل التعالى الذى امتلأ به الخطاب، إلا أنه بدا وكأنه نوع من الرد على خطاب الإسماعيلية الذى نشرته.. ذلك أن «ديبوس» كان حريصًا على أن ينفى أن هؤلاء يضربون أمهاتهم. وكان حريصا على نفى فكرة وجود «أبناء عم الشيطان». ويثبت هذا أيضا الرغبة فى توضيح الصورة عن جماعة يعنيها بدليل أنه قال فى نهاية الخطاب «أنا وجاك على استعداد لمقابلتك».

هذه هى الملاحظات، بعد الخطاب الغامض.

وقد دفعنى كلاهما «الخطاب والملاحظات عليه» إلى أن أسارع بطلب اللقاء مع هذين. وكان أن أرسلت برقية إلى ديبوس.. على العنوان الذى كتبه قلت فيها: «الأستاذ كريم دعبس. أنا فى انتظارك أنت وجاك فى مكتبى بروزاليوسف للأهمية».

ولكنه لم يأت. لاهو ولاجاك.



نحن نكره الحب

اسمه «م. على أحمد» طالب فى كلية التجارة جامعة الإسكندرية، كان حريصا على أن يؤكد فى نهاية رسالته أنه لايريد الكشف عن اسمه لأنه يخاف من هؤلاء على نفسه.

يقول: فى بداية الأمر لاحظنا مجموعة من الشباب فى الجامعة يتميزون بمظاهر غريبة مثل إطالة الشعر والملابس الجلدية والفانلات السوداء.. وأشياء أخرى تثير الاشمئزاز. وكنا نقول لأنفسنا إن هذه حرية شخصية. ولم نبالِ.

ذات يوم. حسب مايقول «م» دعت كلية الآداب لرحلة إلى القاهرة تحت إشراف الإدارة، فاشتركنا فيها بحسن نية، وكانت المفاجأة التى أذهلتنا فى الأتوبيس أننا وجدنا نحو ٢٥ شابا وفتاة من هؤلاء.. فى بداية الرحلة لاحظنا أنهم يتعاملون معنا باستعلاء وازدراء.. بل وأحيانا باشمئزاز. كانوا طوال الطريق يضعون فى الكاسيت شرائط موسيقى غريبة.. فوجئنا باندماج البعض معهم.

حين وصلنا إلى القاهرة، وتحديدًا فى منطقة الهرم، انفصل هؤلاء عنا، واتجهوا إلى مناطق صحراوية بقيادة شاب يرتدى تى شيرت أسود عليه اسم «Morbid Angel» - الملاك المريض - اسم فرقة روك معروفة - وعلى الـ «تى شيرت» صليب مقلوب، فضلا عن أنه كان يرتدى بنطلون صاعقة أمريكيا.

هذا الشاب ذو الشعر الأسود الطويل أطلق على نفسه اسم «مارلن مانسون» وكانت معه صديقة ترتدى ملابس غريبة، وتضع فى كل أذن ستة أقراط، وقال لى أحد أصدقائى أن هذا دلالة على الرقم «٦٦٦».. ثم لاحظت حديثهما مع أجانب.. وقالوا لهما: «نحن نكره الحب، نحن نحب الكراهية».

وأنهى «م» خطابه بتساؤل: هل نظمت هذه الرحلة لتكون ستارًا للقاء مع الأجانب.. إننى لا أعرف كل شىء عن هؤلاء.. ولكنى علمت أن اسم المجموعة هو «F.T.D».

إننى أكره هذا البلد

وضع هـذا الشاب عـلامات ثقـيلة عـلى اسمـه بعد أن كـتبه فـى بداية الخـطاب، وشطب تمـاما على اسم الدولـة العربية التـى كان يعيش فيـها.. كاشفاً عن حـالة تردد يعانى مـنها. لكن هذا لم يـمنعه من أن يقول لى رأيـه فى مصر وفيما أكـتب عن هذه التقليعة.

قال: حـين عدت إلـى مصر صدمـت بواقع مـرير، فالحـياة هنا لـيست إلا إهـمال وقذارة، وفسـاد فى المؤسسات وبـين المسئولـين وسرقات بـالملايين.. كل شـئ حاضر يابيه.. وطبعًا الوسيلة الوحيدة لقضاء الحاجة هى الرشوة.. شعب همجى فوضوى..

إننى أكره هذا البلد، ولا أنتمى إليه، وليحترق بمن فيه، وسوف أفرح لو وجدته قد احتل.. ونحن حين وجدنا ما يخفف عنا فى موسيقى البلاك ميتال من كل هذه الهموم تهاجمـوننا.. وتحرضون على الإيقـاع بنا. ولكن لن تستـطيعوا.. ونحن لن نحـيد عما نحن فيـه.. وليس من حقكم أن تـتدخلوا فيما لايعـنيكم أو تهاجمـونا.. وبدلا من أن تهاجمونا.. هاجموا الرشوة والفساد والمحسوبية.

إنكـم تدعون ـ كمـا يقول هـو ـ أنكم أصـحاب حضارة سبعة آلاف عـام، وهذا كذب.. إن أصحـاب الحضارة الحقيقـية هم سكان قارة أتـلانتا التى غرقـت.. والذين نجوا منهم هم الذين سكنوا مصر وصنعوا الحضارة.. وأنتم شعب بلاحضارة ولاغيره لأنكم ببساطة متخلفون.

■ ■

لقد وقع هذا الشاب نهايـة خطابه بكلمة إنجليزية غريبة لم أفـهمها، وأضاف إليها نجمة خمـاسية تعبر عن غـرقه فى هذا الأفكار الشيـطانية.. ورغم أنه لم يـذكر واقعة محددة إلا أننى أضفـته فى هذا الجزء من الكتاب كى أشير إلـى أن الظاهرة موجودة، ولو حتى على مستوى الأفكار الخرافية التى يؤمن بها البعض.

عامل دماغ

إن F . Z طالبة من المهندسين فى الصف الـثالث الثانوى بإحدى مدارس اللغات المعروفة، عمرها ١٧ سنة، روت لى تجربتها فى خطاب كتبته على ورقة كشكول كبير:

تعرفت على مجموعة من هؤلاء حاولوا أن يتكلموا معى عما يتمتع به الشيطانيون من مزايا. قالوا أنهم يحصلون على القوة. وقالوا أنهم سوف يخلدون فى الدنيا ويبقون فى شباب دائم. وقالوا أن الشيطان يعطيهم المال داخل المقابر.

لقد أخذت كلامهم على أنه تخريف مدمنين. فكل هؤلاء يتعاطون البانجو وبقية أنواع المخدرات. إلا أننى فوجئت بهم موجودون فى مصر الجديدة ونواد عديدة وداخل المدارس. وقد دفعنى فضولى إلى أن أبحث عن معلومات عنهم. وعرفت الآتى:

- هناك جماعات مشابهة فى الخارج.

- الأساس فى هذه العبادة أن الواحد منهم يجب أن يكون «عامل دماغ».. أى غارقا فى المخدرات.

- الأصل هو ذبح الأطفال وشرب دمائهم وتقديم رؤوسهم قرابين للشيطان ولكنهم فى مصر لايقدرون على هذا.

- أن ممارسة الجنس حق طبيعى لكل فرد فى رأيهم وفى أى مكان وأى زمان.

- يؤمنون بأنه حين يصبح عددهم أكبر سوف ينتقلون للحياة فى جبال سيناء وتحت رعاية ربهم الشيطان.

- يقولون أن هناك عددا كبيرا منهم فى سيناء ينتظرون اليوم الكبير.

وأخيرا فإننى أرى أن هؤلاء مجموعة من أولاد الأغنياء الذين يعانون من فراغ كبير، بينهم فقراء يحاولون التشبه بهم، وإشباع رغباتهم الحرام.. وهم جميعا ذوو شخصيات ضعيفة انجرفوا وراء الشهوة.. ولأن شخصيتى قوية ومؤمنة بالله أسمع هذه الموسيقى دون أن يحدث لى ماحدث لهذه الشرذمة.

موسيقى المخدرات

رسالة بدون اسم، صاحبها أراد أن يضيف معلومات جديدة.

قال: هناك أماكن أخرى لانتشار هؤلاء بخلاف مصر الجديدة.. إنهم مثلا فى المعادى الجديدة بجوار الجامعة الخاصة وفى أرض الجولف وفى نادى الجزيرة ونادى الصيد. وهناك أماكن كثيرة تبيع شرائط الديث ميتال وتبيع معها المخدرات.

وفوق هذا هناك صالة للتدريب على الكونغ فو فى بولاق الدكرور.. المدرب يصور نفسه فيها على أنه راهب.. واللاعبون يسجدون له على أنه الله.

أرجوكم ادعوا الشباب الذى سقط فى هذا إلى العودة للسنة النبوية الشريفة وليقرأوا الأحاديث التى تحدثت عن السحر والسحرة والجن.. ووفقنا الله.

رأس حمامة

ونعود مرة أخيرة إلى جامعة الإسكندرية.

الرسالة مرة أخرى من طالب يتحدث عن «مارلن مانسون» السكندرى الغريب.

يقول صاحب الرسالة «واسمه وليد عمر»: «بعد ما نشرتموه لم يهتم هؤلاء، بل زادوا فى سلوكهم الغريب. وقد لاحظت أن لكل مجموعة منهم مميزات خاصة. فى كلية الحقوق مثلا هناك الشقيقان حسام وإحسان.. والأخير يتميز بالشعر الأحمر الطويل. ويرتدون الملابس السوداء خاصة الـ «تى شيرتات» التى تحمل اسم المطرب السادى المعروف أوزى. سبن.. الذى يقطع رأس حمامة على المسرح أمام الجمهور. وقد كتبت مجموعة كلية الحقوق على ملابسها بعد ما نشرتموه فى روزاليوسف: «نحن لن نهتم بما تقولون وتكتبون.. إنه إحساسنا وشعورنا وسوف نستمر فيه».. وهى مجموعة قاصرة على الذكور فقط.

المجموعة الثانية فى كليتى الآداب والتجارة، ويرمز لها بالأحرف F.T.D.. بينهم بنات. ويتزعم الجماعة «ن.ب» أو مارلن مانسون وهو اسم قريب من اسم تشارلز مانسون. أكبر إجرامى فى التاريخ. ومارلن هذا يبيع الـ «تى شيرتات» السوداء التى يقول انه يستوردها من الخارج.

شعار ومنشورات

فيما بعد، وقبل أن تنفجر القضية عن طريق الإجراءات الأمنية وصلنا فى روزاليوسف خبر عن طريق مراسلنا فى الإسكندرية على بدر عنوانه «منشورات عبادة الشيطان فى الإسكندرية».. وكتب يقول: فوجىء طلاب جامعة الإسكندرية فى الأسبوع الماضى خاصة فى كليات المجمع النظرى «الحقوق والتجارة والآداب والتربية» بوجود شعار لعبادة الشيطان وسط الأوراق التى تستعملها إدارة الكليات.

وقد وزعت الأوراق فى الجامعة، ولم يعرف من وراءها.

الشعار عبارة عن رسم لشيطان يضع غطاء رأس يشبه غطاء الرأس الذى يرتديه حاخامات اليهود، وتحيط به نجمة داود، وعلى صور الحاخام صليب مقلوب. مصحوب بكلمة «حظ سعيد».

ومن القاهرة وصلنى من أمين زيتون خطاب به منشور دعاية لحفل فى الهرم.. سوف نتعرض له فيما بعد.. وقد كتب يقول: إننى طالب فى الجامعة.. مرسل لكم ورقة تشير إلى مايحدث فى قلب القاهرة، وقد فعلت ذلك لتهتموا أكثر بهذا الأمر المخجل.

وكانت الورقة عبارة عن دعاية لحفل حمل اسم: «وقت للموت».

■ ■

كنت بين الحين والآخر أسأل نفسى: ماكل هذا؟ ولماذا؟

والواقع أن المجتمع كله كان يحاول الإجابة عن ذلك السؤال فى نهاية يناير ١٩٩٧، حين ألقى القبض على من قالوا أنهم يعبدون الشيطان. ولكنى كنت أحاول الإجابة عنه قبل ذلك بكثير. وفى إحدى المرات قررت أن أبحث عن هذه الإجابة فى آراء شباب مصر.. ففتحت مجموعة جديدة من الخطابات، وبينما كنت أبحث عن السبب من خلال أوراق مصرية وجدت أمامى أيضا خطابا من سوريا.

تمرد على الخير والشر

اسمه ياسر الخوجة، عمره ٢٣ سنة، من دمشق، حين كان يهوى موسيقى الروك منذ سنوات لم يكن يعرف سببًا واضحًا لذلك. «كان هذا غير مفهوم لى، بدأت أدخل الجو وجمعت بعض الأصدقاء ممن يهوون سماع الهارد والهيفى روك، وبدأنا نذهب إلى هذه الحفلات فى دمشق.. لم يكن بها أى خلل، أو صليب مقلوب، أو دماء، كان بها فقط حماس يقفز داخلنا بين الأغنية والأخرى. ولقد كنت أترجم الأغانى فأجدها تنتقل بنا إلى عالم أسود وبارد حتى عدت إلى نوع من الموسيقى يدفىء قلبى ويفتح عقلى مع كل ما هو جميل فى هذا العالم».

وقال: «لم يكن مامررت به طقوسًا شيطانية بقدر ماكان تجربة غنية، ولكن السؤال هو: لماذا يسمع شاب يافع جديد على الحياة متفجر بالطاقة تلك الأنواع من الأغانى؟.. وأجيب بأن هناك أسباباً عديدة. فى المنشأ والتعامل وعدم الوعى الفكرى، حيث توجد بداية الطريق الخاطئ».

«إن الشيطان معروف بتمرده، لكن على ماذا يتمرد، هنا يلعب الخير والشر دوره، فإما أن يتمرد الشاب على الخير أو يتمرد على الشر.. فهل تدلوننى على أغنية عربية واحدة تواكب الشباب فى انفعالاته مع ذاته وتكون له عونا ليفرغ هذه الشحنة من الآلام. إن كل الأغانى تتحدث عن حب شاب لفتاة تنتهى بالخير أو الشر.. وهلم جرا. والعواطف ليست فقط علاقة شاب بفتاة، بل هناك عاطفة أقوى وهى علاقة الإنسان مع أخيه الإنسان».

«وإذا عالجنا مشكلة الأغنية والموسيقى العربية، علينا أيضا أن نعالج الفهم السقيم للدين، فلا التعصب يجدى ولا الحياة الحيوانية تغنى. علينا أيضا أن نبعد هذه القائمة الطويلة من الأفكار المتعبة والمحطمة ولن تكون هناك موسيقى شيطانية. ثم يجب أن نستمع إلى هؤلاء الشباب.. ولماذا لا نفتح ناديا يوسع خيال الشباب.. حين يحدث هذا لن نجد ناديا اسمه «United of deth Metal».

سؤال الفتاة

الآنسة «لماذا»؟

هذا هو الوصف الذى وجدته معبراً عن هذه الفتاة التى تدرس بالفرقة الثانية فى كلية الآداب، إنها «فتاة مصرية» ـ هكذا وصفت نفسها ـ كانت تبحث معى فى خطابها عن السبب الذى دفع الشباب إلى موسيقى الشيطان.

قالت: «إنهم منتشرون بيننا أكثر مما تتخيلون، وهم يحاولون الآن ضم أكبر عدد ممكن من الشباب إليهم، وبعضهم ليس مميزا، بعضهم عادى جدا فى شكله، والحكاية تبدأ دائما بالتهريج.. دعوة إلى حفل أو ديسكوتيك أو شريط يمكن أن يسمع.. وكدت أنا أن أنساق إليهم خاصة أن الشعار الذى يرفعونه هو «التغيير».. ليس إلا. إنهم يبحثون عن شىء جديد، ولكن لماذا؟.. لأنهم مصابون بالإحباط، والإحباط سببه أن هناك طلبة مليونيرات وآخرين شحاتين، البعض يركب سيارات فاخرة والبعض لايجد مايأكله. بل لا يجد ثمن تذكرة الأتوبيس».

«إن أساتذة الجامعة لايتعاملون مع هذا الإحباط بعين واعية، إنهم يرفعونه ويزيدون درجاته. يفرضون علينا شراء كتب لا أهمية لها، ويشترطون أن نحضر لهم ورقة خضراء تدل على أننا اشترينا الكتاب.. إننى أريد أن أصرخ حقًا. ولكن حتى الصراخ ممنوع. ألا يلفت نظركم أنك إذا سألت أحد الطلبة عن نتيجة العام الماضى يقول أنه الحمد لله رسب فى مادتين فقط. هل أصبح هذا هو الطبيعى. إننا لم نعد نسمع كلمة «ذاكر». ولم يعد أحد يعاتبنا فى البيت. وفوق كل هذا انتشرت ظاهرة الزواج العرفى بين الطلبة بطريقة غير طبيعية. وحين أعاتب إحدى صديقاتى على أنها ركبت سيارة مع شاب أجدها تعبر عن إحساس هائل من الأهل بعدم الثقة فيها.. سواء ركبت أو لم تركب.. فلماذا إذن لاتركب. إنه ياسيدى جيل يضيع. وقد بدأ الضياع فى البيوت».

«إن كل ما أريده هو أن تناشد كل أب وأم أن يتقربوا إلينا، لقد ابتعدوا كثيرا.

وأصبنا بالاكتئاب والإحباط.. إننى أريـد أن أصرخ بأعلى صوتى لما أراه من حولى فى كل مكان، إذا أننى لا أجد أحداً من أصدقائى ليس لديه مصيبة من هذه المصائب التى أتحدث عنها».

انتهى خطاب الآنسة «لماذا»؟

وهذا رأى آخر، رأى فتاة، وهـى نفسها كتبت عـنها من قبل فى هذا الـكتاب، وقد فوجئـت بأننى اهـتممت بمـا قالت ، فأرسـلت لى مرة أخـرى، وذكرتنى مـجدداً بأن عمرها ١٨ سنة، وطـلبت منى ألا أمل - من الملل - من الخطاب الجـديد، لأنها سترى فيه قصة حقيقية تحدث كل يوم. وقالـت: «كم أجد من مشاكل فى جيلى ولا أجد من يستمع لها».

ولكن ما القصة؟

«إننى أحكى عن فتـاة عمرها ١٥ سنة، بدأت قصتها بطـلاق أمها، وإصرارها على أن تربى هى ابنتها، فأقامت دعوى نفقة ضد زوجها السابق، وكسبت القضية، وبدأت الأم فى العمل كى توفر لابنتها حياة تتصـور أنها كريمة، ولكنها من شدة الخوف على ابنتها كانت تجبرها بعنف على المذاكرة حتى تنجح بدرجات عالية، ووسط كل هذا لم تكن تنسى أن تذكرها بأنها تعانى فى العمل من أجلها».

«وسط هذا نـسيت مشاعر ابـنتها، وتزوجت، ولـم تحافظ على حـيائها أمام ابنـتها، وانحـرفت البـنت تدريـجيا، كـانت تغـار من أمـها وبدأت تـقلدهـا فى عدم الحـياء، وأهملـت دراستها، وتعـرفت على شبـاب كثير، وبمـرور الأيام باعت جسـدها.. ولم تهتم بالمبادىء والقيم، ونسيت كل شىء، فـجأة حملت، ولم تستطع أن تعرف ابن من هذا الذى فى بطنها».

«وساعـدها شاب فى الإجـهاض، وأدمنـت المخدرات، وكانـت نهايتـها مصـحة للعلاج من الإدمان».

وقالت صـاحبة الخطاب: «إن هذه قـصة فتاة عمرهـا الآن ١٦ سنة، بسبب تـفكك

أسرة وانهيار أخلاق أم، وإننى أرى أنه إذا لم تكن هذه الفتاة قد دخلت المصحة فمن المؤكد أنها كانت ستدخل نادى الشيطان، ليس لأنها تكفر بالله فهى لا تعرف شيئا عن الله أو عن الشيطان ولكن لأنها فى حاجة لمزيد من المخدرات التى لن تحصل عليها إلا هناك».

■■

إنها مأساة جيل كامل.. جيل محبط، مكتئب، لايجد أملا، يعانى، يتألم كل يوم، ويريد أن يصرخ بأى شكل، أن يتمرد على الواقع، أن يبحث عن نافذة أمل، أن يجد حلاً. ولأنه لايجد من يهتم بأن يساعده فإنه حاول أنه يعثر على الحل بطريقته الخاصة، لكنه لم ينجح، ولهذا أراد أن يضرب المجتمع على قفاه من خلال طريقة غريبة فى إعلان الأفكار الشاذة.

حسنا، أليس هذا هو المجتمع الذى يعلن فى كل يوم أنه ملتزم بالأخلاق والدين، وأليس هذا هو المجتمع نفسه الذى يخالف فى كل يوم القواعد والقيم والأخلاق التى يزعم أنه متمسك بها. لماذا إذن لانضرب هذا المجتمع على قفاه، ونكشف عورته، ونعريه تماما، ونضعه أمام مرآة تفضحه، وننتهك نحن قيمه وأخلاقه.. وبدلا من أن نفعل ذلك سراً كما يفعل هو، نصدمه بأن نفعل ذلك علنا.. لماذا لانقول له بأعلى صوت أننا ضد هذه الأخلاق والقيم كى ينتبه لنا. إنه يزعم أنه يعبد الله.. فلماذا لانعبد نحن الشيطان. إنهم يقولون أنهم يفعلون الخير ويحاربون إبليس، ونحن نرى أنهم يعبدون الشيطان فى كل يوم، ليس من خلال حفلات الموسيقى السوداء وإنما من خلال إطاعة أوامر الشيطان. لماذا لانضعه نحن أمام هذه الحقيقة؟!

إننى أتصور أن هذا هو ما يفعله الشباب.

وأتصور أيضا أنهم ضاقوا من حالة الفصام التى يمارسها المجتمع فى كل يوم، وأرادوا أن يرفضوا هذا.. أن يرفضوا الأستاذ الجامعى الذى من المفروض أن يلقنهم رسالة العلم ويسعى بدلا من هذا، من خلالهم لأكبر ربح .. أن يرفضوا الأم التى

تعلمهم الحفاظ على البيت بينما هى لم تحافظ عليه .. أن يرفضوا الأب الذى يلقنهم فى كل لحظة قيم الدين وهو لم يركع ركعة واحدة.

إنهم يصرخون، يتألمون، لايجدون أى بشارة بالمستقبل، لايجدون حزبا يعبر عنهم، ولهذا اختاروا أن ينشئوا هم أحزابهم الخاصة.. أحزاب الإحباط.. التى ينضم لها كل مدمن.. وكل مكتئب.. أحزابا ترفع شعار التمرد على الواقع.. تعدهم بالثورة الصامتة.. دون أن يكون هدفهم الانقلاب على النظام العام للدولة، وإنما الثورة على كل مقومات المجتمع. طالما أن هذا المجتمع لايحافظ على هذه المقومات فى كل سلوك يقوم به كل يوم.

إنها بعض الإجابات عن السؤال الذى يقول: لماذا يعبد هؤلاء الشيطان، أو على الأقل اتجاههم إلى تقليد أشكال هذه العبادة وإطارها الخارجى.

■■

الآن دعونى أروى لكم قصة لم تحدث فى مصر . ولكن لماذا يجب أن يعيد الجميع فى مصر قراءة القصة التالية؟ ولماذا أضعها هنا؟

إن الأسباب كثيرة، وكلها لها علاقة بموضوع هذا الكتاب.. ذلك أن صاحبها فيه ملامح النموذج المتطرف لكل أصحاب التقاليع فى العالم.. فيه الجنون والإدمان والفن والأوهام والتخاريف ورفض الدين والدنيا وقبل كل هذا فيه العنف.. إنه الرجل الذى طلب جيتاراً كى يلحن عليه أغنياته وهو فى طريقه إلى غرفة الإعدام، ابن الحرام الذى وصلت آثاره إلى مصر وقلبت الدنيا دون أن تصل إلى نيابة أمن الدولة.

زعيم الفوضى

اسمه معروف، تشارلز ميلر مانسون،زعيم الهيبز، مروج تقليعة الفوضى فى العالم، ذلك الشاب الذى وصف نفسه بأنه المسيح، ورغم ذلك قضى أغلب سنوات عمره بين جدران السجون، بل إنه ولد داخل سجن، فهو كان يرى «أن المدينة قبر

وسجن، وأن المباني تحجب السماء، والأسفلت يغطي الأرض والهواء كله دخان وغبار، والأجساد مغلولة.. والمدنية تسلب الجميع حريته».

ولد تشارلز مانسون في يوم ١١ نوفمبر ١٩٣٤، على يد ممرضة مجانية ذهبت لها أمه، في مستشفى عام، لم يكن له أب معروف، والرجل الوحيد الذي كان ينتظر أمه خارج غرفة العمليات هو سائق التاكسي الذي كان قد أوصلها للمستشفى وينتظر أجرته -كما يقول عبدالرحمن فهمي في كتابه عن مذكرات مانسون.

لقد كرهت أمه هذا اليوم، لأنه عطلها عن العمل، طوال شهرين، فهي كانت داعرة، تعمل برخصة رسمية، إنها هي أيضاً ابنة حرام، لا تعرف لنفسها أباً، كما لا تعرف لمانسون أبا، وبعد أن أنجبت مانسون بثلاثة أعوام سجنت بتهمة ابتزاز أموال الزبائن. وقضت داخل السجن خمس سنوات. بعدها غادرت بلدة «سينسيناتي» التي كانت تعيش فيها إلى مدن عديدة.

كان تشارلز مانسون دائماً ما يجد نفسه بلا هدف يجلس على مقعد في مقهى، أومتسكعا بين دور السينما والمسرح .. ينتظر أمه حتى تفرغ من أحد الزبائن: «كانت أمي تسعى إلى لقمة العيش بشراهة، فكثر عدد عشاقها، حتى أنني كنت لا أعرف مكانها في معظم الأوقات».

وقد كان من الطبيعي أن يصطدم هذا المتسكع برجال الشرطة، كان بعضهم يعطف عليه ، لكنه انتهى في سن الثانية عشرة إلى أن ضبطه رجل بوليس واقتاده إلى الإصلاحية التي قضى بها ست سنوات، لم تزره أمه خلالها مرة واحدة.. «كانت ترسل لي كل ما أريد، ولكنها كانت تكره أن تدخل السجن مرة أخرى، حتى ولو كان ذلك للزيارة».

فيما بعد التحق مانسون بمدرسة صناعية داخلية، لمدة سنتين، جعلته بعيداً عن أمه مجدداً، ولكنها أيضاً علمته المهنة التي أحب من خلالها السيارات: «كنت أجرب السيارات، أقودها في أماكن بعيدة عن المدن، أنطلق وأجري بأقصى سرعة، بعيداً عن المدن، حيث بدأ حبي للفضاء».

لقد كان مانسون يهرب بالسيارات، بعيداً عن كل شيء، عن أمه التي لم تكن أبدًا قريبة منه، عن أبيه الذي لا يعرفه، عن المستقبل الذي لا يعرفه، عن المدينة التي تقتله، كان الحل الوحيد المتاح أمامه هو الاغتراب، سواء كان بتدخين سجائر الماريجونا أو بالهروب إلى الصحاري لكنه ذات مرة ابتعد كثيراً بالسيارة، وكان أن أُبلغ عن سرقة السيارة، فدخل تشارلز مانسون السجن.

وفي السجن اغتصب أحدهم تشارلز مانسون، وأضاف إلى عذاباته عذاباً جديداً، وحين خرج من الزنزانة إلى الحياة مرة أخرى كان مثل الوحش الذي يريد أن يفترس أي شيء.. وقال لنفسه: «ما ألعن الشرف.. إنني ألعن الزبائن الذين كانوا يقضون شهواتهم في غرفة أمي، لكنى الآن أريد أن أكون مثلهم».

خرج مانسون من السجن عام ١٩٥٥ كان لقاؤه بأمه فاتراً، ولهذا تركها بسرعة، وخرج للشارع حيث تعرف على أول فتاة في حياته، اسمها روز، خرج معها في رحلة، ثم تزوجها، وحملت منه، وحاول مجدداً أن يمضي في حياة عادية، أن يعمل، ولكنه حين عمل في إصلاح السيارات مرة أخرى.. سرق سيارة جديدة.. وحكم عليه بالسجن ثلاث سنوات.. وطلبت روز الطلاق ووافق هو عليه: «تشارلز إنني لا أستطيع أن أضيع سنوات عمري الجميل معك، أنت رجل غريب، من الصعب على أن أفهمك».

واختفت روز. واختفى معها ما في بطنها.

وماتت أمه.

وفقد تشارلز كل شيء.. الماضي والحاضر والمستقبل.

وحين خرج عاش حياته بالطول والعرض، ثم سرق سيارة جديدة، فدخل السجن وظل به حتى بلغ عمره ٣٢ سنة.. وكان من المفروض أن يقضي فيه سبع سنوات. ولكنه خرج قبل ذلك، خرج إلى أمريكا التي تجتاحها الانفعالات والاضطرابات في عام ١٩٦٧ . وكان أن عاد مجدداً إلى عالم التشرد والضياع.

وبدأ فى كتابة لافتـات فى الشوارع.. «لننسى حرب فيتنـام.. إن الزهور جميلة».. «مارسوا الحب ولا تمارسوا الحرب».. «أيتها الدرافيـل الطيبة لا تتعاونى مع الإنسان.. فلتكن كل سلطة البحار فى يد الدرافيل».. «الأسود رجل جميل وطيب».. «الحرية.. ليست حرة».

واندمج مانسون مع الخنافس فى سان فرانسيسكو: «إنهم يشبعون العقل والروح، وينسون النفس تماماً، إنهم فى حاجة إلى من يـقول لهم شيئاً، إنهم أناس يعطونك كل شيء، ولا يطـلبون منك شـيئا، إنهم يـقدمون لك الـطعام والجيتـار والمخدرات.. بلا مقابل».

وعلـى دخان المخدرات وعقـاقير الهـلوسة قـرأ مانسون ديـانات الشرق الأقـصى وأسفار العهد الجديد وبدأت أفكاره فى التولد، وبدأ يقول: «إن كوكبنا التعس يسيطر عليه حراس السجون» و«واجبنا نقل السلطة من هؤلاء إلى كل الأطفال غير الشرعيين ذوى القلوب الطاهرة النقية».

لقد كان هو الذى يحلم بالسلطة.

لقد وقـف فى أعلى مكـان وسط مجمـوعة من الخنافـس يخطب فيـهم بينـما هم غارقون فى تـأثير المخدرات.. قال لهم: أيهـا الرفاق.. ألم تقرأوا فى سفـر الرؤيا هذه الفقـرة التى تقول: «لـقد فتح الملاك الهـاوية، وخرج دخان مثـل نار جهنم أظـلم الجو والسماء وجاءت أسراب الجراد كأنها العقارب لتـعذب كل من لا يحمل على جبينه خاتم الخلود» .. أيها الرفاق. .نحن أمامنا عـمل طويل شاق.. وكل منا يجب أن يخلو من النفاق.

هنا دقـت الطبول وارتفـعت موسيقـى الجاز وهتف الجـميع: إن مانسـون هو «مان سان».. أى ابن الإنسان. أعجبتـه الكلمة، شعر أنه يقوم بمهمة خطـيرة.قال لنفسه «إن هؤلاء الأبنـاء غير الشرعـيين يجب أن يـسودوا العالم». ثـم تساءل: هل أنا فـعلاً ابن الإنسان.. لقد اختفى أبى المجهول وسـط الأمواج البشرية بإرادة الله..'إن الله أراد أن يخفيه لأننى «ابن الله».. أنا المسيح الجـديد. وصرخ فى أتباعه: «هاكم يسوع الجديد..

يسوع الذى تحمل كل أخطاء البشر ويريد الآن أن يصحح هذه الأخطاء وأصبح الآن من واجبه أن يقوم بدوره فى الحياة.. أنا السجين الخالد ابن بنت الليل سوف أنير هذا العالم المظلم الظالم».

حول مانسون حامت فراشات عديدة.. وزاد العدد يوما تلو آخر.. إنها شخصيات من نفس النوع الذى يقع دائماً فى مثل هذه العقائد.. من نفس نوع الأفراد الذين سقطوا فى عبادة الشيطان فيما بعد فى مصر.. منهم مثلاً «باتريشيا».. ابنة رجل طلق زوجته، فتزوجت أمها بشاب صغير..و«سوزان» التى ماتت أمها وأصبح أبوها مثل الميت الحى من إدمان الخمر.. و«ليزلى» التى فوجئت بأن هذا الرجل الذى يعيش مع أمها ليس أباها.. و«ليندا» ابنة صاحب أكبر مصنع فى ولاية سان فرانسيسكو التى دب الخلاف بين أبويها فهامت على وجهها.

هؤلاء الفتيات وجدن عالمهن مع مانسون.. عالم مختلف. عالم الموسيقى والشعر والحب والطبيعة وهلوسة المخدرات.. عالم يتوهم التقشف والفلسفة والتأمل والتفكير .. وكان مانسون يقول لهم كلاما من نوع: أيها الرفاق اتركوا الآلة ومارسوا الأعمال اليدوية، اتركوا المدن وعيشوا فى الخلاء، اتركوا الحرب ومارسوا الحب، أيها الرفاق إن لكم إخواناً فى لوس أنجلوس.. فلنرحل لهم» وانتقلوا معه إلى هناك. ومنها إلى وادى مهجور..أقاموا فيه مجتمعاً لما أسموه مجتمع «سادة الفكر».. ومن هنا بدأت تنتشر المعلومات عنه، وكتبت الصحف تصفه بأنه: الساحر الأسود، الكثيف الشعر، ذو اللحية الطويلة والنظرات الحادة، الذى يرتدى ملابس من جلد الغزال، ويمارس السحر والتنويم المغناطيسى، والذى يطلقون عليه المسيح الجديد أو يسوع العصر الحديث، أغلقوا أبوابكم فقد وصل الفوضويون، أكلة لحوم البشر».

ومضى مانسون يروج أفكاره: «من هو الله ومن هو الشيطان.. الله فى كل مكان وكل زمان.. وكذلك الشيطان.. إن جميع البشر إله وشيطان له صوره متعددة».. ومعنى هذا الكلام -كما قال هو -أنه ليس للحياة قيمة، وإذا قتلت إنساناً فلا بأس لأنك تكون قد قتلت جزءاً من نفسك. وأوضح أفكاره حول القتل حين أضاف: «إنها تشبه عملية جراحية لاستئصال جزء فاسد من الإنسان.. لا بأس بها.. بل هى

ضرورة.. نحن كلنا إلـه واحد وشيطان فى نفس الوقت.. فإذا ظهـر الشيطان فى جزء منا استأصلناه علـى الفور.. إذا ذبحناه خـلصنا الروح من الـنجاسة.. إن خير وسـيلة للتخلص من الشيـطان هى الطعن بالخنجر ، والكتابة بالدم الملوث على الحائط وعلى كل مكان كانت تلمسه أيدى القتيل».

وكان أن أثرت هذه الأفكـار فيمن حوله.. فقتـلوا الممثلة المعروفـة «شارون تيت» التى كـانت قد قامت بـبطولة فـيلم اسمه «١٣» عـن عبادة الشيـطان، وكان المتـهمون أعضاء فى جماعته، وكانوا حين اقتحموا فـيللا هذه النجمة المعروفة يرتدون ملابس سوداء.. يقولون: «نحن مبـعوثو السماء، بعثنا لنقتل الشيـطان فى جسدها.. وحين تم تقيـيد جميع مـن كان فى الفـيللا فى هذه الـلحظة وقف أبـرز أتباعه «واطـسون» مع باتـريشيـا وليـندا وسوزان يـقولون «إن الـشيطـان تغلـب علـى أرواحكم، ولابـد من تخليص هذه الأرواح، لن يتم ذلك إلا بقتل أجسادكم القذرة».

وبعد انتهاء الجريمة كتبوا على الجدران: «الموت للخنازير.. الحرب. .الحرب».

وعلى الرغـم من أن مانسون لم يـكن ظاهراً فى مكـان الجريمة، إلا أنه كان المتـهم الأول. وكما قال له المدعى العام فى تحقيقات استمرت ألف ساعة: «أنا متأكد من أنك قتلت أناسـاً كثيرين.. ولكن من الصـعب إثبات ذلك.. وإن كنت أدينك مـائة بالمائة.. لأنها تمت بناء على تأثيرك على الشـباب.. فأنت الذى علمت هؤلاء خرافة أن الناس كلـهم إله وشـيطان فـى واحد. وقتـل إنسان مـا ليـس جريمـة لأن ذلك مثـل عمليـة جراحية».

ومما دعم هذه الأفكار عن مانسون ما كان يقوله رفاقه عنه فى التحقيقات. فلقد قال عنه شاب عمره ١٩ سنة اسمه بوى واتكس: «لم أفترق عنه منذ اللقاء الأول، إن ذلك الشـاعر الراوى المتجول الـفنان المـلهم مؤلـف الأغانى وواضـع الموسيـقى ومختـرع الفلسفات الحديثة أضفى على الجيتار وأنغامه الحـزينة المؤثرة مع حركته البطيئة وعينيه النافذتين، أضفى عليه قوة مغناطيسيـة وسلطاناً على كل من حوله وكل من يلتقى به ..

لم أكن أو من قط بالسحر ولكننى آمنت بـه فعلاً منذ عرفت مانسون.. إنه ساحر فذ.. وتأكـدت أن السحر قـوة موجودة، حـقيقيـة، لقد كان يـجلس أمـامى ويستـدعى أى شخص فيحضر فوراً، وكان بالطلاسم يوقف أى سيارة فى الطريق».

وقالت عـنه ساندرا فـى التحقـيقات: «إننى أنـتمى له.. إلـى مانسون.. ولـيس إلى نفسى.. إنه هو الذى يوجهنى وليس عقلى وضميرى».

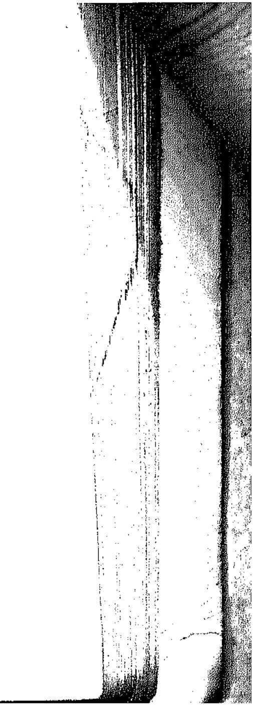
فى هذه الأثناء أجرى حديث صحفى مع مانسون.. قال فيه: «اتركوا المدن وعيشوا فى الخـلاء، اتركوا الآلة وتـعلموا الحـرف اليدوية، اتـركوا الحرب ومارسـوا الحب، الحب أقـوى وأفضل مـن القنابـل، الكلـمة أكثـر خلوداً مـن المدافع، حكـموا العـقل وأشبعوا القلب ومارسوا العواطف واشعروا بأهمية الإنسان بعيدا عن كل زيف».

وقال أيضاً: كل الطاقات يجب أن تنطلق، الطاقات الحبيسة معناها انفجار وتدمير، لا شئ فاضـحا فى الحياة سـوى امتهان كرامـة الإنسان وحريتـه، الامتهان بالـسجن، وتذكروا جيداً أن السـجن لا تشترط فيه القضبـان الحديدية، فهناك قضبان غـير مرئية أشد قسوة من القضبان الحديدية.

وسأله الصحفى: من هو الهيبى؟.. فأجاب: الهيبى الحقيقى جزء من الطبيعة، يكره الزيف والتصنع، والقيود المدنية والمدينة.

وقال له الصحفى: لقد كانت شارون تيت تعطـف على الهيبز، وتعطيهم من مالها، بل إن الحارس الذى قتل جاريـتسون كان من الهيبز. فرد مانسـون: إن أغنياء هوليوود كانوا يـنظرون إلى الهيـبز على اعتبـار أنهم قطط جـائعة وكلاب ضالة. وكـان بجوار كلب البيت المدلل وقـط البيت المدلل هناك أيضاً هيبى البيـت المدلل. وكان جاريتسون من هذا النوع. وهل كل إنسان يدخل الكنيسة مؤمن. وهل كل من يطيل شعره يصبح «هيبى».

وأضاف: حيـن يتم الإفراج عـنى سوف أذهب إلى جبل عال وأكلـم ربى.. أبى.. سأقـول له إن القيـود الحديدية ورائـى بالمرصاد.. إنـها تحطم كـل الأرواح التى أنجيـها وأخلصها من الشيطان.



وفى داخل السجن لم يتنازل عن أفكاره..

كان ماضيا معها إلى النهاية.

كان يقول: إن إشباع غرائز الإنسان متعة. وإشباع غرائز العقل أيضاً متعة. وغاية متعة العقل هى الوصول إلى الحقيقة.

وكان يقول: الجسد فى حاجة إلى أن تشبع له رغباته وشهواته والعقل أيضاً.. والعقل يريد أن يفرز مثل الجسم تماماً. الجسم يفرز قاذورات. والعقل يفرز أفكاراً.. كلاهما ضرورى لحياة الإنسان.. للحياة.. مثل العقل والقلب. الخير والشر.. السالب والموجب.. الحياة متناقضات.

وكان يقول: أنا مسيح هذا العصر. أختلف عن المسيح الأول فى طبيعة العصر الذى ولد كل منا فيه.. إن المدنية أفسدت الروح الآن. وظهرت دعوتى للتحرر من القيود المدنية، أبعدت الإنسان عن الحقيقة.. عن الله، الحرب تزيد من قوة الشيطان.

وفى المحكمة بلغ تأثيره مداه الأقصى حين أدار ظهره للمحكمة، ورفع ذراعيه إلى مستوى كتفه، وبسطها كالفراشة، ووقف مصلوبا وقال: أنا المسيح يصلب من جديد، ولحظتها ركعت الفتيات المتهمات من حوله.. وأخذن يرتلن الصلوات من أجل صعود المسيح من جديد إلى السماء.

■■

هذه هى القصة التى كان يجب أن نرويها هنا.. كى نفهم منها أشياء كثيرة.

نفهم منها أن مثل هذه الصرعات والموضات الفكرية تظهر من حين لآخر فى العالم. يفرزها ضغط الأحداث على شباب لا يقوى على الاحتمال..إنها دائماً ذات طابع دينى، تحيطها الأفكار الغامضة، تجذب من لا يجدون حلاً آخر، يرغبون فى الصراخ، ورفض المجتمع.. مرة بادعاء عبادة الشيطان.. ومرة أخرى بادعاء محاربة الشيطان.

وكى يصل هؤلاء إلى أعلى درجات الصراخ ولفت الأنظار فإنهم دائماً ما يلجأون

إلى مظاهر من نوع خاص.. هى غالباً مرتبطة بالشعر، ودائما ممزوجة بالموسيقى.. وفى كثير من الأحيان تكون غارقة فى الخرافة والإيمان بالسحر.. وهذه الأفكار لا تقف دائماً قاصرة على مجتمع بعينه، ولكنها تنتقل من مكان لآخر، من دولة لغيرها، وهذا ما حدث مع عبادة الشيطان، وما حدث أيضاً مع ظاهرة الهيبز وأتباع مانسون.

■■

ومات تشارلز مانسون، لكن موته لم يقض على دعوته فوراً، وكما انتشرت فى الخارج، فقد وجدت طريقها إلى مصر، وعرفت مجتمعاتها ظاهرة الخنافس، وصارت هناك موضة للهيبز، بل حفلات، وتقاليع، وحدثت ضجة تشبه تلك الضجة التى حدثت حين كشفنا عن تقاليع عبادة الشيطان فى التسعينيات.. وكتبت الصحف.

الرفض بالرقص!

سعيد نعمة الله صحفى مصرى فى مجلة آخر ساعة، اصطحب معه مصورا اسمه أحمد عبدالعزيز وسافر إلى الإسكندرية، ثم عاد وكتب تحقيقاً يرصد الشذوذ فى هذه الحفلات تحت عنوان: «زجاجة ويسكى جائزة لتلميذ عمره ١٤ سنة.. حفلات الهيبز ممنوعة فى الإسكندرية بأمر المحافظ».

فى هذا التحقيق الصحفى قال المحافظ: «لا يمكن السكوت على هذه الحفلات، لابد من إجراء، لابد من قرار، حتى لا تصبح هذه الحفلات بؤرة تجتذب شبابنا»..

كانت مصر فى عام ١٩٧٠، وكانت تخوض حرب استنزاف شرسة ضد إسرائيل، وكانت تستعد لحرب أوسع تحرر الأرض من عدوان وهزيمة ١٩٦٧، لكن هذا لم يمنع من ظهور شباب غريب يهوى التقاليع، ويحرص على الشاذ، جمع نفسه فى أماكن خاصة، وعبر عن ذاته بطريقة معينة.. كما يصف تحقيق «آخر ساعة».

عند مدخل المنتزه توافدت جماعات غريبة فى الشكل والزى، فتاة ترتدى فوطة حمام تغطى جسمها، ولا شىء آخر تحتها، وفتاة أخرى ترتدى فستاناً من قطعتين، وثالثة فى ماكسى جيب مفتوح من الناحيتين، ورابعة تغطى رأسها بمنديل الغجر،

وشاب يلبس قميصاً من الدانتيل المخرم، وغيره يضع فى يده غوايش وسلاسل ذهبية وقميصاً بدون زراير..إن أعمارهم بين السادسة عشرة والخامسة والعشرين، وهم ليسوا فى طريقهم إلى حفل تنكرى، وإنما إلى حفلات الهيبز، التى شهدتها الإسكندرية طوال أيام الصيف الماضى وكانت مثار قلق وإزعاج لكثيرين.

«دخلت حفل الماتينيه النهارية، التى تخصص لصغار السن، وتقام يومين فى الأسبوع، تذكرة الحفل تتضمن الحصول على كوب بلاستيك تشرب به أى شىء.. وكما قال مسئول عن الحفل: نحن نريد من الشبان أن يتحرروا من كل شىء.. من الأنماط والأشكال.. نريد منهم ألا يشعروا أنهم داخل ملهى أو ملزمون بطلب معين».

وقال شاب يعزف الموسيقى: «ليس فى مصر هيبز بالشكل المعروف فى العالم، وهذه الملابس نوع من التحرر.. نحن نريد من كل شاب أن يتحرر من قيوده.. أن يعبر بحركات يديه ورأسه وجسده عن التمرد.. إنها موسيقى الرفض لهذا العالم الصاخب المزعج الملىء بالأحداث المنغصة.. محاولة للابتعاد عن عالم الرعب الذرى، عالم الانفجارات والضياع والضجيج والصخب المستمر».

سأله المحرر: ولكن مواجهة كل هذا بالرقص نوع من السلبية؟

فأجاب: وماذا نفعل، إنهم فى الخارج يرفضون هذا فى شكل جماعات هيبز، ونحن هنا نرفض بالرقص.

وسأل فتاة أخرى عن السبب الذى دفعها لأن ترسم قلبا على خدها.. فقالت: إن هذا ليس غريبا، إن مانسون زعيم الهيبز يجعلهم يرسمون أشياء كثيرة على جباههم وخدودهم!

ـ ولكن مانسون متهم بالقتل؟

فردت: لكن هذا لا يعنى أن الرسم على الوجه أو الخد جريمة.

ولم يشأ المحقق الصحفى أن ينهى تحقيقه هذا بدون لقاء المحافظ، الذى قال: أنا لا

أوافق على هذه الحفلات الماجنة، من غير المعقول أن نسمع عن جائزة لطفل عمره ١٤ سنة عبارة عن زجاجة ويسكى، ولو أن محاربا من جنودنا ساقته قدماه إلى واحدة من هذه الحفلات ليشاهد هذه الصورة من الفجور والخلاعة فماذا سيكون شعوره».

ولقد استخدمت مجلة «آخر ساعة» تعبيرا خاصا كى تصف به هؤلاء.. وقالت عنهم أنهم «الرقعاء»، ورغم ذلك كان هناك من يدافع عن الهيبز ، تماما كما ظهر فى التسعينيات من يدافع عن خنافس نهاية القرن.. الذين يعبدون الشيطان تحت شعار موسيقى الروك. كانوا يقولون «أن الهيبز إنما ينبذون التفرقة العنصرية، وشتى الحواجز الواهية، ويدعون لإزالة المساحيق المضللة والأزياء المعقدة، ويحطمون حواجز الزى والفكر والحواس، وأنهم ليسوا فوضويين أو مجموعة من الكسالى، وأن الصورة السيئة سببها قلة قليلة من الذين اندسوا بينهم ووجدوها فرصة للتشويه والانحراف، وإدمان المخدرات».

■ ■

إن الصورة تتكرر بنفس التفاصيل.

ودائما كان هناك حديث عن أشخاص غرباء يندسون ويشوهون الصورة.. وهناك ـ كما يزعمون ـ من اندس وسط الهيبز.. وهناك أيضاً من اندس وسط هواة موسيقى الروك.

لكن مصر فى عام ١٩٧٠ وجدت أن ما يحدث غريب للغاية، وكان أن ناقشت الصحف هذه الظاهرة الشاذة على المجتمع الذى يستعد للحرب، ورقعاؤه يقيمون حفلات رقص ماجنة فى الشواطئ.

ممنوع دخول الخنافس!

عبد الوهاب مطاوع، مدير تحرير الأهرام، وأحد أبرز الكتاب الاجتماعيين فى مصر التسعينيات، كان فى بداية السبعينيات يناقش هذه القضية فى نفس الجريدة.. وكتب «٣ آلاف شاب.. خنافس .. أم هيبز.. أم مقلدون؟».

وتساءل: «هل امتدت موجات الشباب الجديدة فى العالم إلى بلادنا، هل أصحاب الشعور المنكوشة والسوالف الطويلة والقمصان الملونة والبنطلونات المحزقة.. خنافس.. أم هيبز أم مقلدون؟ ما معنى العشرات الذين يجمعهم البوليس من الشوارع حفظا للآداب العامة.. بل ماذا يعنى العشرون شابا الذين دخلوا أحد كازينوهات المنصورة منذ أيام وقد ارتدوا الملابس الغريبة ووضعوا المساحيق على وجوههم ثم راحوا يرقصون مما دفع الرواد لأن يطلبوا بوليس النجدة».

ومضى عبدالوهاب مطاوع يسرد صفات وملامح انتشار هذه الظاهرة:

- إنهم فى القاهرة والإسكندرية والمنصورة وعدد من مدن الأقاليم.

- عميد دار المعلمين فى دمنهور أمسك المقص بيده وراح يجز شعورهم المسدلة.

- فى شوارع وسط المدينة، ساعة الأصيل، يمكن العثور على شباب من هذا النوع، بلا هدف ، وبلا عمل، وبلا حراك.

- حلاق بسيط علق على دكانه لافتة تقول : ممنوع دخول الخنافس.

- إن عددهم حسب تقدير المختصين لا يزيد على ٣ آلاف شاب.. وهناك لجنة من وزارات التربية والتعليم والشباب والمركز القومى للبحوث الاجتماعية يبحثون الموقف الآن.

ونقل المحرر بعض آراء الشباب - كما فعلنا نحن فى ذلك الكتاب.

طالب فى كلية التجارة، متعثر فى دراسته منذ ثمانى سنوات يقول: إننى أضيق بالدراسة ضيقا شديدا، ولا أعرف سببا، أجد نفسى كل مساء مدفوعا للخروج، إننى آدمى، ومن حقى أن آكل وأن أرتدى ما أريد، إننى أريد أن أنهى دراستى ، ولكن دون أن أدفع حياتى ثمنا لهذا.

شاب آخر فى الثانوية العامة.. يقول: ما تكاد الدراسة تبدأ حتى أجد نفسى منساقا إلى المقهى والشلة والفسحة كل يوم.

وسأل عبد الوهاب مطاوع بعض الخبراء عن رأيهم فى هذا الذى يحدث.

أحمد الوتيدى، وكيل وزارة الشباب حينذاك، قال:

- إنه انعدام الإحساس بالمسئولية إلى حد كبير.

- إنه عدم الصلاحية وعدم الاستعداد لممارسة أى عمل.

- إنه الفشل فى مواصلة التعليم.

السيد ياسين الخبير بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية.. لم يخرج كثيرا عن هذا الإطار.. قال: مظهرية فى التفكير.. وانعدام الإيمان بأى قيم أو أهداف..أما حسين فهيم أستاذ العلوم الاجتماعية بالجامعة الأمريكية فقد ذهب بكلماته إلى موطن الهيبز الأصلى قبل أن يعود إلى مصر.. قال: لقد ظهرت حركة الهيبز هناك كرد فعل للحياة فى مجتمع رأسمالى، تحكمه قوانين المنافسة، وتحدث فيه العلاقات الاجتماعية والإنسانية تحت ضغط الحياة المادية.. ظهرت كرد فعل وتعبير عن عدم رضا الشعب الأمريكى لما وصلت إليه العلاقات، واحتجاجا على حياة تحكمها المادة وتزدحم بأمثلة الظلم.. فى المقابل كان الهيبز انفصالا عن المجتمع وحرصا على عدم الانتماء إليه، فى محاولة لخلق مجتمع بديل ترفرف عليه المحبة والسلام، وأطلقوا على أنفسهم اسم أطفال الزهور.. أما الموجات التى تظهر هنا فى مصر فلا يمكن أن تكون امتدادا لهم.. لأن السبب الأساسى لظهورها هناك ليس موجودا هنا.

إن عبد الوهاب مطاوع لم يتوقف، ومضى يناقش القضية مرة ثانية فى تحقيق جديد.

قال له السيد ياسين: إنه تقليد. وقال له أحمد الوتيدى: إنهم ينقلون الجانب السيئ فى المجتمع الأوروبى.. إنهم هناك يمثلون موقفا فلسفيا من العالم ، أما هنا فهم ليسوا سوى أصحاب شعور منكوشة وسوالف طويلة. والباحث فوزى عطية قال له: فى مصر هى حركة بدون مضمون فلسفى أو اجتماعى ، وهى صورة من صور التحلل الخلقى.



لكن عبد الوهاب مطاوع عاد يسأل الشباب، فعادوا يجيبون مجددا بكلمات عن الحرية.

قال شاب: « شعرى يعجبنى هكذا» . وقال ثان: «إننى راض عن نفسى ولا يهمنى الآخرون». وقال ثالث: إننى أمارس حريتى فى حدود جسمى» وقال رابع: «إننى متمسك بأن يكون لى شىء خاص أتصرف فيه دون تدخل من أحد». وقال خامس: «لو استطعت أن أطيل رموش عينى وحواجبى وذقنى حتى يختفى وجهى تحتها سوف أفعل».

■■

وانتهت المناقشة ، ورأى الصغار أنها حرية، ورأى الكبار أنها ميوعة، ورقاعة بلا هدف.. وقد كان هذا صحيحا إلى حد بعيد إذ سرعان ما اختفت الظاهرة من مصر، لكنها عادت تطل من جديد فى شكل آخر من أشكال التمرد.. ولكنه كان فى هذه المرة تمردا متدينا، ومن صنع الدولة.. تمرد بالمظاهر.. سرعان ما انقلب إلى عنف تستخدم فيه القنابل والبنادق.. وكان أن تدهورت الأوضاع، وكان أن انتبه المجتمع فى وقت متأخر.

الخنافس المتدينون!

الخنفس؟

من هو؟.. هل هو فقط ذلك الشاب الذى يطلق شعره ويمارس سلوكا بوهيميا من نوع ما، متأثرا بالجماعة التى تحمل نفس الصفات فى الخارج؟

واقع الأمر أننى لا أقف بتعريف الخنفس عند هذا الحد. وإنما أرى أنه لا يقتصر على هذا الشكل.. وأرى أنه أى شخص أراد أن يعلن اختلافه مع المجتمع عن طريق المظهر الخارجى الذى يعبر عن مجموعة من الأفكار التى يؤمن بها. فى هذا الإطار فإن الخنفس فى التعريف الذى أومن به هو كل من أعلن عن موقفه المتطرف من خلال الملبس والعادات والسلوك.. وفى ضوء هذا فإننى أرى أن جماعة «الكوكلس

كلان» تضم خنافس. فهى تحرص على ملابس بيضاء خاصة وتؤمن أن الجنس الأبيض فوق كل البشر. و«البانكس» هم أيضا خنافس. وجماعة النازيين الجدد.. أيضا خنافس.. وعبدة الشيطان.. خنافس.. كل هؤلاء كانوا يظهرون فى فترات محددة.. يعبرون عن تطرف.. وعن رفض للواقع.. أحيانا ـ إن لم يكن دائما ـ يلجأ للعنف.. يؤكد دائما على أنه متميز.. وعلى أن أفكاره هى الأصح.. وأن رؤيته هى الأصوب.. وفى سبيل هذا هو مستعد لأن يدفع عمره، أو عمر آخرين غيره ، لإثبات وجهة نظره.

وقد عرفت مصر خنافس الهيبز، وعرفت خنافس عبادة الشيطان.. الذين تم القضاء على نموهم.. وعرفت كذلك خنافس التدين.. وخنافس التدين لهم نفس الصفات.

فمن حيث الشكل هم كانوا حريصين على ارتداء الجلابيب البيضاء بالنسبة للذكور، والنقاب للإناث.. وكانوا حريصين على إطالة اللحى.. وحلق الرؤوس أحياناً.. وهى فى رأيى مظاهر لا تختلف كثيرا عن تلك التى التزم بها أعضاء جماعات الهيبز فيما قبل وفيما بعد.. مع اختلاف الرؤى.

والخنفس المتدين يعتقد أيضاً أنه على موقف صائب متطرف.. يلجأ أحيانا للعنف.. يغلف أفكار الدين بمجموعة من الطقوس التى حرف فيها معانى الدين.. تماما كما حرف عبدة الشيطان الأفكار التى ترصد وجود الشيطان وطريقة التعامل معه.. رغم أن الجماعتين على طرفى نقيض.

ولأن المجتمع المصرى متدين، ولأن هؤلاء الخنافس المتدينين قدموا أنفسهم على أنهم حماة القيم الدينية لم يصطدم أحد معهم فى البداية.. فنموا وازدهروا.. وعاشوا فترات طويلة .. بمساعدة الدولة فى أحيان كثيرة .. وكانوا بهذا أكبر وأضخم جماعة خنافس ظهرت فى مصر وامتدت فترات طويلة.

إن القصة معروفة. والجميع الآن يدرك جيدا كيف ساعد الرئيس الراحل أنور

السادات هؤلاء على النمو فى مقابل التيارات اليسارية التى كانت تسيطر على الشارع.. والجميع الآن يؤمن بأن هؤلاء كانوا مجموعة من الشباب الذين لم ترضهم أحوال المجتمع فكان أن تمردوا عليه وخرجوا على قيمه المعتادة.. تماما كما حدث مع فئات أخرى فيما بعد.

لعلنا هنا نرصد التشابه، دون أن نساوى بين كل الجماعات، ودون أن نقول أن عبدة الشيطان هم أيضا جماعات التطرف الدينى.. ولكن دون أن ننسى أن كلا منهم كانت تعبر عن رفض شامل للواقع ولظروف المجتمع.

فهل نحن نحدث نوعا من الصدمة حين نقول إن الجلابيب البيضاء والملابس السوداء للنساء لا تختلف كثيرا عن الفانلات السوداء التى ارتداها عبدة الشيطان .. هل نصدم أحدا حين نقول إن هذا لا يختلف عن الملابس الملونة التى كان يرتديها الهيبز وغيرهم.. هل نقول إن حلاقة شعر الرأس لا تختلف عن إطالة شعر الرأس.. وهل نصدم أحدا حين نقول إن شرائط الموسيقى السوداء تقابلها شرائط خطب التطرف .. وهل نصدم أحدا حين نقول إن عمليات التكفير والهجرة لا تختلف عن أداء الصلوات فى صحراء سقارة.. وهل نصدم أحدا حين نقول إن أنصار الشيطان تورطوا فى الجنس بينما تورط أيضا أنصار التطرف الدينى فى تصرفات جنسية خاصة مصحوبة بفتاوى دينية. وهل نصدم أحدا حين نقول إن هؤلاء كان لهم «جيتو» خاص وأولئك أيضا. وهل نصدم أحدا حين نقول إن فريقا كان يريد القتل كى يقدم قربانا للشيطان وفريقا آخر قتل لأنه يقدم قربانا لأفكاره الدينية.

ربما حين ننتبه إلى أوجه التشابه لا تتحقق الصدمة . لأن التشابه حقيقى .. ورغم أن هؤلاء مع الشيطان وأولئك مع الله.. وهذا هو الفرق، على الرغم من أن الفريق الآخر آمن بالله بطريقة اعتبرت خروجا عن تعاليم الله.

التشابه أيضا موجود فى طريقة التعامل.. ففى كل مرة كانت الدولة تصطدم مع

أى فريق يعلن تمرده بطريقة ما.. وفى كل مرة كان المجتمع يقرر إعلان نفوره دون أن يسأل نفسه بوضوح عن السبب الذى أدى إلى الظاهرة المريرة.. وفى كل مرة كان رجال الدين يؤكدون على خروج كل فريق عن صحيح الدين.. ومن عجب أن هؤلاء وأولئك كانت تصدر لهم فتاوى خاصة لمحاربتهم.. بنفس السرعة ونفس التعجل وبنفس قواعد عدم الدراسة.

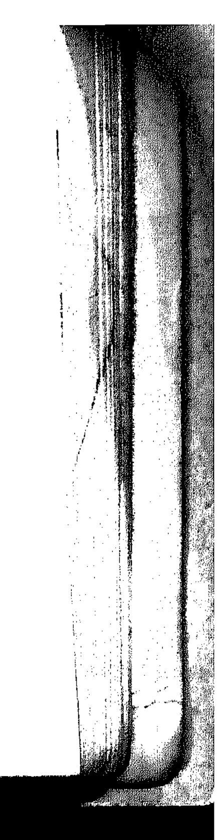
ومن أوجه التشابه أيضا أن كليهما كان يضم شبابا مظلوما.. ضائعا.. تائها.. أراد أن يبحث عن حل.. فلم يجد.. واكتأب.. وحين قرر التخلص من اكتئابه .. تمرد .. فكره المجتمع.. واختلف معه.. وأطاح بقيمه وضرب بها عرض الحائط.. مرة بالدين ومرة بالشيطان.. وفى كل مرة بالتطرف.. وفى كل مرة لم يكن المجتمع يفهم الرسالة الواضحة.

ومن أوجه التشابه أيضاً الإيمان بالخرافة.. فريق يتحدث عن عون من الملائكة .. وفريق يتحدث عن عون من الشياطين.. كلاهما يبحث عن قوة غامضة غائبة خفية.. كلاهما يتشبث بخيوط مربوطة فيما وراء الطبيعة.. طالما أن خيوطه مع الواقع انقطعت.. ومن هنا لا نندهش حين نرى فريقا لجأ إلى العلاج بالجن والملائكة بحثا عن حل للأمراض والمشاكل.. وفريقا لجأ إلى الشياطين بحثا عن الرفاهية والرخاء من خلال طقوس السحر الأسود .. كلاهما يؤمن بالخرافة.

■ ■

كلاهما خنافس.. كلاهما يحمل وجها للتطرف.. وإن اختلفت الأسماء والطقوس.

لكننا هنا لا ندرس حالة الخنافس المتدينين .. وإنما خنافس الوجه الآخر.. الخنافس الشياطين.



وقت للموت!

فى عصر أحد أيام نوفمبر عام ١٩٩٦ وجدت شابين صغيرين، تحت العشرين، ينتظرانى فى استقبال روز اليوسف. كان كلاهما يحمل كشاكيل الجامعة.. أحدهما اسمه محمود.. والثانى اسمه سامح.. يدرسان التجارة فى جامعة حلوان.. الأول بالعربية والثانى بالإنجليزية.. لم ينجح محمود فى اختبارات القبول بالقسم الإنجليزى.

كان من الواضح أن سامح الذى يسكن فى جاردن سيتى هو الأكثر اهتماما بموضوع عبادة الشيطان.. ربما لأنه فضولى.. وربما لأنه تعرض لموقف من نوع خاص مع شخص من هؤلاء قبل أشهر من لقائى به.

روى الموقف فقال: كنت مع بعض الأصدقاء نجلس على مقهى حين تركونى مع شخص غريب أطلق شعره فى شكل ذيل حصان . سألنى عن دراستى، فقلت له إننى الآن فى الثانوية العامة. قال لى : هل تريد أن تنجح بدون أى مجهود وتحصل على مجموع كبير؟! أجبت: طبعاً. قال لى: إذن يجب أن تبقى معنا. سألته: من أنتم؟ قال: لا يهم. المهم أن تكون نجساً.. ثم تحضر مصحفا.. و.. و.. «روى قصة لا يجوز نشرها على الإطلاق لاعتبارات دينية وأخلاقية».

حين سمعت ذلك من سامح، لم أمل إلى تصديقه، إذ لا يوجد دليل على ما يقول، كما أنه هدد هذا الشخص بأنه إذا رآه مرة أخرى فسوف يفضحه أمام الجميع، ومن هنا لم يكن من الممكن الوصول إليه لتدقيق هذه الرواية. لكن سامح نفسه كان يحمل فى يده دليلاً جديداً على اللعبة الدينية الموسيقية المعروفة باسم عبادة الشيطان.. كان يحمل معه إعلاناً عن حفل روك أخذه من شخص كان يوزعه باليد فى جامعة حلوان.

الإعلان يقول: دعوة.. وقت للموت.. تمتع بمشروبك المفضل على موسيقى البلاك والديث ميتال والتراش روك.. المكان فندق «....» فى منطقة مشعل بالهرم، الزمان: الجمعة ٢٩ نوفمبر ١٩٩٦».. المنظم: «...» و«....».

طلبت من سامـح أن يذهب إلى هذا الحفل.. ثم يروى لى مـا حدث. كان يريد أن يفـعل. لكنـه تراجع.. خمـنت أنه ربما لا يـكون مستـعداً لتكـاليف الحفـل.. فأعطيته عشرين جنـيهاً.. وكان أن اتفقنا على ذهـابه. لكنه عاد بعد أيام واتصـل بى وسأل عما إذا كان متوقـعا أن يحدث أى اعتراض أمـنى على الحفل وأن يـلقى القبض عـلى من فيه.. فطمأنته على أن هذا لن يحدث وأنه لا خوف عـليه طالما أنه لن يفعل شيئًا غريباً وطالما أنه ليس من منظمى الحفل.

فى الواقع كانـت هناك شائعات قوية بين هـواة موسيقى الروك بعد نشـر تحقيقات روز اليوسـف عن أنه تم إلقـاء القبض عـلى بعضهـم. ولم يكن هـذا صحيحـاً على الإطلاق حـتى ذلـك الوقت.. ولـكن ربمـا كان سبـب انطـلاق الشائـعة هـو أن وزير الداخلـية قال -بعـد النشر- فـى مجلة آخـر ساعة: إننـا نضع أيديـنا على كـل نوادى الشـيطان. وربما كـان السبب أن شـرطة المصنـفات الفنـية ألقت الـقبض علـى موزع كاسيت.. لـكن الحقيقة أن أحداً من هـؤلاء لم يتعرض لأى شيء. ولم أطـالـب بهذا، ولم أتمناه، وإنمـا كان هدفى الدائم مـن النشر أن تنتبه الأسرة المصرية إلـى ما يحدث داخلها، وأن يفيق المجتمع إلى ما يحدث لشبابه.

المهم أن سامح اطمأن. وذهب للحفل فعلاً.

كان أول الذين دخلوا الفندق، لأنه يريـد أن يرى كل شىء، ولهذا فقد كان داخل قاعة الحـفل فى السادسـة إلا الربع من مسـاء يوم ٢٩ نوفمـبر، أى قبل ربع سـاعة من الموعـد. وكان مـن المفـروض حسب مـا فهـم أن تكـون هناك فـرق مصـرية تـعزف الموسـيقى.. لـكن هذا لـم يحدث.. وتحول الحـفل إلى «دى . جـى» .. أى أن يستـمع الرواد لشرائط كاسيت بدلاً من أن يشاهدوا فرقاً تعزف موسيقى حية.

كان من الواضـح أن هناك خوفا ما بين إدارة الفـندق ومنظمى الحفـل، وكان هناك توتـر، لكن الحفـل تم، وبدأ مع سامـح بأن سأله أحـد منظمـى الحفل سؤالاً مـن نوع خاص: معاك حاجة تضربها؟.. يقصد هل مـعك مخدرات يمكن أن تتعاطاها. ولكن سامح أجاب بالنفى. فقال له الشخص الآخر: إذا احتجت أنا موجود.



ولقد بدا من هذه الرواية أن الحفل ليس هدفه الموسيقى، خاصة أن عدد الحضور كان قليلاً للغاية.. ربما لا يزيد على ٢٥ شخصاً. بينهم ٦ من منظمى الحفل. وكان معنى هذا أن إجمالى دخل الحفل ٣٨٠ جنيهاً فقط.. ربما لا تكفى لإيجار القاعة.. وبالتالى فإن الهدف إما أن يكون بيع المخدرات، أو خلق فرصة جديدة لتجمع هؤلاء الذين يمارسون اللعبة الموسيقية الدينية.. وما جرى بعد ذلك أثبت هذا.

لقد دارت الموسيقى.. ودارت الرؤوس والأجساد.. وحدثت مشاهد جنسية فاضحة على البيست «فتاة وفتى ظلا فى عناق جسدى واضح للجميع طوال الحفل».. ثم كان أن خرج شاب يرتدى ملابس سوداء طويل الشعر إلى سيارته الفيات الحمراء وأخرج منها صليباً طويلاً أراد أن يدخل به إلى قاعة الحفل.. فمنعته إدارة الفندق: «معلهش نحن نعرف ما تريد أن تفعل.. ولكننا لا نريد وجع دماغ».

وأعلن الشاب وأصدقاؤه رفضهم لهذا المنع.. وتبرموا.. وهاجموا منظم الحفل.. ثم خرجوا.. وتركوا المكان بعد أن فسدت متعتهم.

■■

لقد حدث هذا بعد أيام من النشر عن حفل الزمالك، وفيما كان هناك أشخاص أرادوا بعد الضجيج الذى أحدثه النشر أن يختفوا عن الأنظار ولا يلفتوا الانتباه إليهم، كان هناك من يريد استغلال ما يكتب وينشر للترويج للفكرة.. والتربح من ورائها.. وفى المقابل كان هناك من يرسل لى معترضاً على ما أكتب، ويقول أن هذا الذى أقوله غير موجو!

أتباع الشيطان الحقيقيون!

إن صاحب الشهادة التالية عضو فى إحدى الفرق الموسيقية.. قال عنها: «هذه التى تتهمونها بالتكسب من وراء الأغانى الشيطانية». إنه على علاقة قوية مع جميع الفرق والشخصيات التى تحدثنا عنها. «مستمع جيد لكل هؤلاء الذين نحذر منهم ومن غيرهم. يكتب شهادته تلك من داخل هذا المجتمع الذى صار قلقا بعد أن فضحته فى عدة مقالات.

إنه يبـرر شهادته قائـلا: «يعلم اللـه أنه لا مصلحـة لى فى ذلك، إنما أكـتب إقرارا للحق».

ثم قال: «نعم.. هناك شـرائط وأسطوانات يتم تداولها تحرض كلماتـها على الكفر وعبادة الشيطان. لكن هذه النوعية لا تمثل أكثر من ١٠ بالمائة من إجمالى الموسيقى التى نستمع لها. ونحن لا نعير هذه الكلمات أدنى اهتمام، بل نحن نهتم بالموسيقى فقط».

وأضاف: «لقد تكلمتم عن جماعات وأشخاص فى القاهرة والإسكندرية يعبدون الشيطان..لكنى أحب أن ألفت نظركم إلى الحقيقة: إننى أعرف هؤلاء وبالاسم.. إنهم ليسوا عـبادا للشيطـان.. بل هم مجموعـة من الشباب المنسى فى المجتمع.. يـحاولون لفـت الأنظار إلـيهم بـأى وسيلـة. لقد وجدوا فـى هذه المظـاهر وإيهـام من حولـهم بممارسة تلك الطقوس الحل المثالى للفت الانتباه وإكساب أنفسهـم هالة من الغموض والرهبة لإثبات الذات».

«إنها ظاهـرة غير مقلقـة على الإطلاق. موضة.. سـوف تأخذ وقتها وتـنتهى.. ولا داعى لأن تخـلطوا بين سـماع هذه الفـرق العادية وبـين فرق أخرى شاذة.. وكـمثال نحن نسـمع فريق سبيلـلتورا.. إنه من البرازيل.. كـلمات أغانيه تحاول لـفت الأنظار لحقوق الفلسطينيين.. ولم يفعل أى مطرب عربى مثل هذا..».

وأخيراً ختم هـذا الشاب شهادته بما يشبـه التحدى: لن تقوى علـى نشر هذا، إنك حريص على أن تبقى القصة مثارة لرفع نسبة توزيع المجلة.. وفى النهاية أقول لك إن الواعـز الديـنى ليـس موجودا فـى رؤوسنـا من عظـات المدارس والمسـاجد. .بـل هو موجود فى قلوبنا وضمائرنا.. وأقول أخيراً إن عبدة الشيطان الحقيقيين لا يعبدونه، بل هم الذين يتبعون خطواته».

■■

لقد بدت شهـادة هذا الشاب مملوءة بالمرارة.. وقـد اهتممت بها لأنهـا عبرت عن طريقة فى التفكـير، وأشارت إلى قدرة لدى الشاب على التحليـل النفسى ورؤية إلى

مبررات لجوء هؤلاء الشباب إلى ما يفعلونه.. ورأيه فى الواقع صحيح، لكن محاولات «لفت الأنظار» التى تحدث عنها لا تنفى أن هناك من يحاول العبث بشباب مصر، وأن هناك من يتحرك فى ضوء هذه الموضة لجذب المزيد من الشباب إلى ألعاب الشيطان.. غير أننى أتساءل: لماذا يحاول أبناء الطبقة الراقية فقط دون غيرهم لفت الأنظار إليهم، وهل هم فى حاجة لذلك؟

إن الإجابة سوف تجرنا إلى تحليل من عدة نقاط مختلفة. بعضها له علاقة بحالة الشباب فى مصر. وبعضها له علاقة بنمو اتجاهات التطرف بين هؤلاء الشباب، من الإيمان الحاد إلى الكفر الفادح.. وغيرها متعلق بتجاهل أجهزة الإعلام لهذا الشباب، وتجاهل الفنانين للاتجاهات الجديدة.

وبينما سوف تتسع الصفحات الباقية لمزيد من التفاصيل والآراء فى هذا السياق، فإننى سوف أخصص الجزء التالى للاستماع إلى رأى شابة مصرية نظرت إلى الظاهرة، وعبرت عن نفسها، وكشفت عن حجم هائل من الغيظ الكامن فى صدور الشباب ضد المجتمع.. غيظ يجعلهم يمكن أن يفعلوا أى شىء فى سبيل رد الألم والانتقام من هذا المجتمع الذى لا يهتم بهم وبمشاكلهم، ولا يستمع إلى ما يقولونه، فيضطرون للصراخ، وللعنف والتقاليع الغريبة إن اقتضى الأمر هذا.

أبناء الذوات

فى يوم ٢ نوفمبر ١٩٩٦ كتبت هذه الفتاة الرقيقة خطابها هذا، ووجهته إلى «من يهمه أمر الشباب فى مصر».. وقالت: «لا أستطيع أن أكتم ما بداخلى من حنين، فقد قرأت تحقيق «نادى عبادة الشيطان فى مصر».. ولم أتعجب.. فماذا تتوقعون من شباب لا يشغل فراغه سوى الموسيقى والأوراق النقدية والسيارة الفاخرة.. إننى لو كنت بثراء هؤلاء الناس كنت فعلت مثلهم».

بعد ذلك دلفت للحديث عن نفسها: «إننى مثلهم لا أجد ما يشغل وقت فراغى، وأقول بكل الصراحة أن الدراسة لا تكفى لشغل فراغ الشباب، خاصة فى زمن الأقمار الصناعية».. «إننى فتاة عمرها ١٨ عاماً، أشعر أن الدراسة لا تشغل وقتى كله،

رغم أننى فى كلية الحقوق التى تحتاج إلى مجهود كبير فى المذاكرة.. إننى إذا حاولت أن أفعل أى شيء آخر مفيد، لا يعترض عليه أهلى، لا أجده والدولة لا تساعدنى».

أتعلم يا سيدى العزيز أنى فى يوم من الأيام قمت بكتابة قصة قصيرة من خيالى، عرضتها على أمينة مكتبة النادى الذى أنا عضوة فيه فانتقدتنى انتقاداً لاذعاً.. جعلتنى أكره الكتابة وكل ورقة قد أكتب فيها.. لا تقل لى أنها مثال سيئ.. لأننى لم أجد المثال الجيد الذى أستطيع الذهاب إليه.. لاتقل لى اشتركى فى المسابقات التى تنظمها الدولة لأنها إما لأعمار معينة أقل من ١٦ سنة وإما عمرهم فوق الثلاثين.. أما ما بين ذلك فلا يوجد له موقع من الإعراب.. وحتى لو كانت هناك مسابقات لهؤلاء.. أين الندوات؟ - أين الأندية الثقافية؟ لماذا لا تنظم الدولة رحلات إلى الخارج.. ولماذا إذا نظمت تصبح قاصرة على أصحاب الوساطات وأبناء الذوات؟ لماذا لا تشغل الدولة هؤلاء الشباب فى الإجازة الصيفية؟».

«سيدى.. إن الدولة لم تتدخل ولم تحاول أن توقف ما كتبتم عنه.. لم تحاول علاج هذه المهازل لأن أغلب هؤلاء هم أبناء شخصيات كبيرة.. ولن يستطيعوا عقابهم أو علاجهم».

«إن ما أقوله ليس سوى واحد بالمائة مما يجول فى صدرى، وليس سوى القليل من حقيقة هذا الشباب الذى يمر بأزمة ومشاكل وعذاب وفراغ.. إننى شخصياً أريد القيام بأى شيء غير مألوف.. غير عادى.. لقد مللت الروتين.. ومللت الدراسة.. وأمر مع جيلى بكبت سوف تكون نهايته أفظع من عبادة الشيطان.. إن كلامى هذا سوف يذهب سدى».

■ ■

كانت الرسائل تصل فى كل يوم، والحفلات تقام من حين لآخر.. والمعلومات تتراكم أمامى.. معلومات من نوع مزعج، وكنت أعانى من أن أحدا لم يتحرك.. لكنى فجأة وجدت أن هناك من انتبه.. ربما لأنه استشعر خطورة آتية عليه.. وكان هذا الذى تحرك رقيبا فى الرقابة على المصنفات الفنية.

السماء يمكنها أن تنتظر!

اسمه خيرى سعد البلقينى، رقيب فى الإدارة العامة للرقابة على المصنفات، واحد من الذين يمكن خداعهم، أو تزوير الأوراق المقدمة إليه لتمرير أغانى الموسيقى السوداء إلى الأسواق المصرية.. وهو أيضاً واحد من الذين يمكن أن يوقفوا هذا النوع لو انتبه جيداً لما يفعل.

فى يوم ٢٠ نوفمبر ١٩٩٦ كان يوقع ورقة يمنع بها تمرير مثل هذه الأغانى إلى أسماع شباب مصر.. قائلاً: «لذا أرى رفض الشريط حرصاً على الصالح العام».

وقال فى الشهادة التى وافق عليها على أبو شادى رئيس الرقابة: «تقدمت شركة ميراج بطلب نسخ شريط باسم Best Of The Beast من أداء Iran maiden Parti. وبعد مراجعة النصوص تبين أن الأغانى تحمل معانى غريبة ورفضا للواقع وتمردا وتعارضا مع القيم الدينية، واللامبالاة، وتصوير الكوابيس، والحديث عن الأرواح والشياطين والقرابين».

«وهذه النوعية من الأغانى تعرف بما يسمى بالـ Stack matal وDeath Meatal، والتى لها تأثير سيئ على الشباب لما تحتويه من أفكار خرافية ومغالطة لكل حقيقة والتخبط. لذا أرى رفض الشريط حرصاً على الصالح العام».

بعد هذا وقعت رقيبة أخرى: «يرفض الشريط حفاظاً على القيم الدينية وعلى أخلاقيات الشباب فى بلادنا».. ووقع آخر «يرفض الشريط حفاظاً على القيم الدينية والصالح العام».

إن كلمات الشريط نفسه سلمت -كما هو متعارف عليه فى هذه الأحوال- إلى الإدارة العامة للرقابة على المسرحيات والأغانى، بالإنجليزية، مصحوبة بالترجمة العربية.. وقد وصلتنى هذه النصوص.. وقرأتها ، واكتشفت أنه على الرغم مما بها من كلمات ينطبق عليها ما قاله الرقيب، إلا أنها فى الإجمال لا تقارن بأغان أخرى تصل بالفعل من طرق مختلفة لشباب مصر.

والأفضل هنا أن نقرأ نصوص تلك الأغانى.

الأغنية رقم «٣»:

عنوانها بالإنجليزية: «علامة الصليب».. لكن الشركة قدمت ترجمة لها على أنها «علامة الخطأX». وقد وضعت الرقابة خطاً تحت سطر واحد فيها يقول: «أسأل السؤال مرات وطوال الوقت أدعو الله ألا يدعنى حياً».

وقد وقعت عليها رقيبة اسمها نجوى صابر بقولها: «ترفض لتعارضها مع القيم الدينية».

الأغنية رقم «٥»:

عنوانها: «أخشى أن أقتل الغرباء بالرصاص».. وأما الكلمات التى وضع تحتها الرقباء خطوطاً فهى:

- رمال الصحراء تتكوم وكأنها أرض للدفن.
- حين يأتى الوقت المناسب سنكون مستعدين للموت، يا إلهى دعنا نذهب الآن.
- حكم الإرهاب الفاسد يجب أن ينتهى.
- لا توجد ثقة، لا توجد معقولية، لا شيء أكثر ليقال، أخشى أن أقتل الغرباء بالرصاص.

الأغنية رقم «٧»:

اسمها: «الشر الذى يفعله الرجال». وهى تبدأ بكلمة «الحياة مثل الموس». وأما الجملة التى اعترضت عليها الرقابة فهى: «الحمل السابع قد ذبح».

«الأغنية رقم «٩»:

حظيت بتأشيرتين من الرقباء.. الأولى: «ترفض لتعارضها مع الذوق حيث إنها تحث على العنف». والثانية: «هذه النوعية من الأغانى أصبحت تشكل خطورة على الشباب، لذا ترفض».



والأغنيـة نفسها لـم توضع تحت عـباراتها خطـوط، ولكن بها الـكثير.. بـداية من العنوان.. وهو: «أحضر ابنتك إلى المذبحة».. وهى تقول فى أجزاء منها:

- فلتقاتلى المخدة لكن لا تصدرى صوتا.

- إذا كانت هناك بعض الحياة لنحياها، قبل أن تصير حياتك هى قبرك.

- لا مكان، لا طريـقة، لا مكان للاختـباء، أحضر ابنتـك للمذبحة، دعـها، دعها، دعها.

الأغنية رقم «١٣»:

لم تـختلف كـثيراً ، عنـوانها: «الـسماء يمكـنها أن تـنتظر»، وهـى تصور شخـصاً يموت،يقول أن موعده لم يحن بعد، وأنه لم يستعد لهذا اللقاء مع ملاك الموت..

لنقرأ مقاطع منها:

- هل حان الوقت، هل يمكن أن يكون ملاك الموت قد جاء من أجلى، لا يمكننى أن أصدق أن ساعتى حانت، لا أشعر بالاستعداد.

- هناك الكثير لم أنجزه بعد، وهى روحى، ولن أدعها تذهب بعيداً. السماء يمكنها أن تنتظر حتى يوم آخر، سآخذ آخر ما على الأرض.

- سأرحل حين أكون حسنا ومستعداً.

ـ لا يمكنـنى أن أقبل أن تنجـرف روحى للأبد، أشعر بـنفسى أطفو عـائداً للأرض مرة أخرى، فهل تلـك هى ساعة ميلادى مرة أخرى، أم هل توفيت، أم هـل سأستيقظ من الحلم.

■■

إنها نوعية ضعيفة جداً من الأغانى السـوداء، أغانى تدعو للاكتئاب، والتمرد ليس على الواقع، وإنما على السماء، وهى فى النـهاية أقل كثيراً من نماذج أخرى تصل مصر عن طريق آخر بعيد عن الرقابة.

الجنـــازة

فى صباح يوم ١٢ رمضـان، وبينما الناس صيام، كنت لم أزل وحـيداً كما اعتدت فى مكتبى بروز اليوسف، أقضى بعض الأعمال الخاصة، قبل أن يزدحم اليوم وقبل أن تزدحم أروقـة المجلة فيمـا بعد الإفطار.. ذلـك أننا عادة ما نـعمل فى هذه الأيـام بعد الغروب، هروباً من وطأة الصيام التى قد تفقد بعضاً منا قدرته على التركيز.

فى ذلك اليوم تلقيـت اتصالاً تليفونياً غامضاً، صاحبـه زعم أنه والد أحد الشباب، وقال أنتم تتابعون قـضية عبادة الشيطان.. وها هم الآن قد ألقوا القبـض على أبنائنا فى فجر يوم أمس، قبل إتمام السحور.. ثم أعطانـى اسمه ورقم تليفونه، بعد أن قال لى أن الأولاد الآن موجودون فى نقطة شرطة ألماظة.

أعدت الاتـصال برقـم التليـفون الذى أعـطاه لى، خـاصة أننى خـشيت أن يـكون أحدهم قد حاول أن يدفع بى إلى فخ الشائعات التى كانت تنطلق كثيراً فى هذه الأيام حول هؤلاء الـذين يعبدون الـشيطان. لقـد قيل لى مـثلا عشرات المرات أنـه تم إلقاء القبض على هؤلاء.. ولم يكن ذلك صحيحاً.. وقيل لى كذلك أنه حدثت مطاردة فى شوارع مـصر الجديـدة حول قـصر البـارون لهؤلاء، ولـم يكـن لهذا أى أسـاس من الصحة. وقـد ظننت لأول وهلة أن صاحب الاتـصال كان يروج لمعلومـات من نفس النـوع الطائـش حين اتـضح لى أن الـرقم الذى أعـطاه لـى غير مـوجود علـى شبـكة الاتصالات فى القاهرة على الإطلاق.

لكـننى سرعـان ما اكتشـفت أن المعلـومة صحـيحة عن طـريق مصدر خـاص فى الداخلية أكد لى أن هناك عدة عشرات قد ألقى القبض عليهم فى ليلة أمس بعد حفل صاخب فـى المعادى، وأنه قـد تم إيداع بعضـهم ـ أكثرهـم للدقة ـ فـى نقطة شـرطة الماظة، باعتبارها مكانا شبه لائق بشباب ناعم.

فى الظهـيرة، كان عادل حمودة نـائب رئيس التحريـر قد عاد من نيابـة أمن الدولة وبعد جولة جـديدة من التحقيق معه فـى قضية ممدوح الليثى.. وروى زمـيل صحفى

كان هناك كيف كانت النيابة تسارع بالانتهاء من قضية الليثى لأنها تريد التفرغ لقضية عبدة الشيطان.

كنت فى هذه اللحظات أعانى من تضارب فادح فى المشاعر.. أحاسيس متناقضة تمام التناقض.. بين شعور بالفرح لأن هذه الضربة الصحفية الهامة التى حققتها قد أنجزت أخيراً.. وشعور هائل بالحزن لأن هذه الضربة لم يكن هدفها على الإطلاق أن يجد هؤلاء الشباب أنفسهم داخل السجن متهمين بازدراء الأديان والكفر، وبالتالى فإنهم سيواجهون عقوبة السجن لمدة لا تقل عن ثلاث سنوات فضلاً عن اتهام بإنكار الله وعبوديته لن يزول بسرعة.

كنت أعرف معنى الاتهام الأخير جيدا، ولاسيما أننى شخصياً تعرضت له حين صودر كتابى «التحليل النفسى للأنبياء» قبل ذلك بعدة أشهر.. وحين وجدت نفسى أنا وكتابى هذا مادة خصبة لأحاديث لا نهاية لها عن الكفر والزندقة والارتزاق من التجرؤ على الدين وعلى الأنبياء.. رغم أننى مؤمن وموحد بالله.

كنت أخشى على هؤلاء الشباب، الذى لا أتجاوز حين أصفه بالرقة، من حملة صحفية شعواء، ومن أقلام غبية تكتب دون أن تعى، وتبحث عن جنازة تشبع فيها لطماً حتى دون أن تعرف اسم الميت. وكنت أخشى عليهم من أن يذهبوا ضحية لمشايخ من نفس نوع هذه الصحافة يصعدون إلى المنابر ولا يتورعون لحظة عن أن يلقوا باتهامات الكفر يميناً ويساراً دون سند أو دليل.

فى نفس الوقت كنت أخشى على نفسى.. على سمعتى.. كنت أخشى من أن تلصق بى تهمة الإبلاغ عن هؤلاء الشباب عبر التحقيقات الصحفية التى نشرتها، فى حين أن هدفى كان ولم يزل واضحاً من هذه القصة برمتها.. وهو أن تنتبه الأسر وأن يأخذ الآباء والأمهات حذرهم.. وأن يسمع المجتمع ناقوس الخطر الذى دققته، كى يعالج هؤلاء الشباب من الأزمة الطاحنة التى يمرون بها.

والواقع أن الأيام التالية أثبتت أن مخاوفى كانت فى محلها تماماً، إذ سرعان ما دارت عجلة الأحداث، فوجدت وزارة الداخلية فى الموضوع فرصة للدعاية لنفسها،

ووجدت نيابة أمن الدولة فيها فرصة كى تنشر أسماء من فيها، ووجدت الصحافة فيها فرصة لزيادة التوزيع، ووجد المشايخ فيها فرصة لإلقاء اتهامات التكفير فى كل مكان..ومن هنا فإننى سوف أرصد ملامح هذه الصورة برمتها.. بكل ما حدث فيها.. منذ اللحظة الأولى لإلقاء القبض على هؤلاء.. ومرورا بالجنازة التى شبع فيه المجتمع كله لطماً.. ونهاية باللحظة التى قرر فيها الجميع أن يبتلع الموضوع برمته.. وأن يكفى على الخبر ماجوراً وأن يصمت بعد أن عذب نفسه بالقدر الذى لا تحتمله أى نفس.

سمك.. لبن.. تمر هندى

حين قرأت مذكرة التحريات التى أرسلتها مباحث أمن الدولة إلى نيابة أمن الدولة فى قضية عبادة الشيطان أدركت حجم المأساة.. إنها حسب أدق وصف يمكن أن نطلقه عليها كانت: سمك. لبن. تمرهندى. شيئا من هنا على شىء من هناك.. وحدوتة من الشرق.. على حدوتة من الغرب.. بدون دليل واضح.. أو حتى قرينة نصف مؤكدة.

لقد زعمت مذكرة التحريات أن جمع المعلومات عن هؤلاء بدأ فى أغسطس ١٩٩٦، وأن الشرطة عرفت تفاصيل عن ثمانى حفلات موسيقية.. خمس منها عامة.. وثلاث منها خاصة فى إحدى الشقق السكنية.. وأن هناك أماكن خاصة لتجمع هؤلاء الشباب فى مصر الجديدة والمعادى والزمالك.

وتحدثت المذكرة عن أن هؤلاء ينبشون القبور وينزلون بها، ويمارسون طقوسهم حتى يكونوا قريبين من الموت، وليزيد إحساسهم بوجود الشيطان ويصل الأمر إلى حد المبيت فى المقابرحتى الصباح.. وأضافت: أن من الرؤوس الكبيرة فى هذه القضية إحسان وليد عمران وأخاه حسام من الإسكندرية. وعماد الدين الشحات من السيدة زينب، وأحمد عمرو من المعادى، وخالد سعيد من الزيتون.

كانت المذكرة عند هذا الحد قد وصلت إلى درجة غريبة من عدم الدقة، إذ تبين لى أنها تكتب نقلا عن معلومات نشرتها أنا من قبل فى روز اليوسف، حين كنت

أتحدث عن منظمى الحفلات وما يتردد حولهم بين هؤلاء الشباب.. بل ووصل الأمر إلى حد أن المذكرة نقلت عما كتبت كيف أن هناك من يشترط لدخول نادى عبادة الشيطان أن تجرى له حركة بالإصبع الوسطى عدة مرات .. وعندئذ أدركت أن التحريات مفبركة. خاصة أن هذه الحركة تجرى على سبيل التهريج..وإذا تأكد حدوثها مرة فإنها لم تتم فى كل مرة.

لقد أدركت كذلك أنه لا يوجد أى شيء لدى الشرطة حين قرأت فى مذكرتها معلومات عن أشياء لم تتم فى مصر على الإطلاق.. لقد تحدثت عن وطء الكتب السماوية بالأقدام، وعن محاربين يتجمعون حول مدينة مقدسة، وعن أنه تم التأكد من ارتباط هذا الفكر فى مصر بكنيسة الشيطان فى كاليفورنيا «وبأنتون لافى».. البابا الأسود.

حين وصلت المذكرة إلى هذه النقطة.. مضت تربط بين ما يحدث فى الخارج وما جرى فى مصر.. وراحت تنقل مزيدا من التفاصيل عن أفكار لافى، وعن إنجيله الأسود.. وعن نصائح الشيطان لأتباعه.. ثم تجاوزت كل هذا إلى الربط بين هذا وما يحدث فى مصر عن طريق الحديث عن ضبط ألبومات غنائية ماجنة مع هؤلاء الشباب.

لم يكن هناك اتهام واضح ومحدد، ولم يكن فى المذكرة حديث واضح عن تنظيم له شكل وله قواعد، كما زعمت الصحف فيما بعد، ولم يكن بها أى معلومات عن وثائق مصرية خاصة بعبادة الشيطان.. ولكن كان بها أسماء تم توزيع المهام عليها على ورق مذكرة الشرطة فأصبح خالد حنجورى هو خادم الشيطان.. وصار عماد شكمان زعيما للتنظيم وتم اتهام أحمد عمرو بأنه عضو رئيسى فى التنظيم.

لقد أصابنى الهلع فى تلك اللحظات التى كنت أقرأ فيها أوراق هذه المذكرة.. وانزعجت تماماً.. خاصة أن تلك المذكرة هى التى صارت فيما بعد المادة الأساسية التى تحركت على أساسها الصحافة الغبية التى راحت تنقل وتنقل منها دون وعى.. وحين نفدت مادة المذكرة راحت أيضاً تضيف عليها -أى الصحافة - من عندها

مزيدا من تفاصيل عبادة الشيطان فى الخارج لتزعم -أو على الأقل لتوحى- أن هذا يحدث فى مصر، بعد أن التقطت من مذكرة الشرطة المفتاح العظيم للقصة وهو «أنتون لافى».

إن أحداً من هؤلاء الصحفيين لم يهتم إطلاقاً بأن يعرف مزيداً من الوقائع الخاصة فى مصر.. لم يراجع بعض الأحداث التى أدت إلى دفع القصة كلها عبر الداخلية إلى الأضواء من خلال تحقيقات نيابة أمن الدولة.. واستسلمت غالبية الأقلام لكل ما كان يقدم لها فى الشرطة والنيابة.. فكانت الكارثة.. إلا أننى الآن أجدنى مضطرا أن أسجل عدة ملاحظات أظنها هامة، كى نفهم بالضبط طبيعة ما حدث.. وكى ندرك ما هى الأسباب التى حولت قضية موضوع صحفى أثرته إلى قضية أمن دولة.. سرعان ما أغلقت.. بعد أن أدرك الجميع خطورة اللعب بالنار.

الملحوظة الأولى: هى أن هناك معلومات تقول أن القضية عرفت طريقها إلى وزارة الداخلية من خلال فرع مباحث الآداب فى مديرية أمن القاهرة. وعن طريق هؤلاء تم تسجيل شريط فيديو لحفل أقيم فى كايرو لاند - ملاهى فى جنوب القاهرة - خلال شهر أغسطس ١٩٩٦، لم يكن به أى شيء يؤكد أن هناك طقوسا غريبة تمت.. ولقد كتبت عن هذا الحفل، لكنى لم أرصد به طقوساً من تلك التى يخشى منها، كما حدث فى حفل قصر فرساى فى الزمالك، وفيما بعد رأيت بنفسى هذا الشريط.. ولاحظت أن تسجيله سيىء للغاية.. وأنه كان هناك حرص على أن تقترب الكاميرا من وجوه البعض بحثاً عن متهمين.. لكنه فى النهاية كان شريطا لحفل روك عادى.. يراه المهتمون أمراً متكرر الحدوث.. ويراه الذين لا يعرفون الروك شيئاً خطيراً، لكنه لم تكن له علاقة واضحة بعبادة الشيطان.

هذا الشريط كان الوحيد الذي تم تسريبه إلى الصحافة، وقد ظلت الشرطة تتحدث كثيراً عن أن لديها وثيقة تؤكد ما قامت به، لكنها لم تظهرها على الإطلاق فى أى وقت.. رغم أننى عرفت من خلال أحد المتهمين أنه قام بتسليم شريط حفل قصر فرساى إلى مباحث أمن الدولة فرع الإسكندرية.

وحين كانت الصحافة تضغط، كانت الشرطة تقف صامتة ولا تظهر ما لديها.

الملحوظة الثانية: هى أن القضية انتقلت بمضى الوقت من مباحث الآداب، إلى المباحث العامة فى القاهرة.. ثم تحولت فى لحظات إلى قضية أمن دولة.

الملحوظة الثالثة: أن اللواء حسن الألفى وزير الداخلية، سرعان ما صرح بعد تفجير القضية بعدة أيام لجريدة الأهرام بتصريح خطير..حين قال لمحمد زايد محرر صفحة «اهتمامات الناس»: لقد كانوا حين نلقى القبض على المتطرفين الإسلاميين يقولون أننا ضد الإسلام، فهل سوف يقولون الآن أننا ضد الشيطان بعد أن ألقينا القبض على عبدة الشيطان.

نفس المعنى كان قد اتضح فى نهاية تقرير نشرته الأهرام أيضاً عن القضية حين ذكرت أن هذه القضية تثبت أن مباحث أمن الدولة تدافع عن أمن الوطن فى كل مجال، سواء كان ضد التطرف الدينى أو ضد عبادة الشيطان.

وتبدو هذه الملحوظة هامة للغاية، إذ تثير تساؤلاً حول الهدف الحقيقى من تفجير القضية.

إخفاء الشرائط

قبل أن تتضح الصورة بشكل كامل أمامى، كان على أن أطمئن على بعض الشباب الذين تعرفت عليهم خلال حملتى الصحفية.. أو الذين سمعت عنهم من آخرين.. وهكذا حين تأكدت من أن عملية إلقاء القبض على بعض الشباب كانت قد تمت بالفعل رحت أجرى بعض الاتصالات مع كثيرين لأتأكد أنهم ما زالوا فى بيوتهم.. أو أنهم فى السجن.

اتصلت بأيمن فوجدته فى بيته لا يدرى شيئا.. إنه شاب صغير فى السن، يدرس فى كلية تجارة عين شمس.. يهوى الموسيقى.. سرعان ما قال: إن هذا ما يستحقونه..

لكنه تراجع حين أوضحت له أنه لا يوجد دليل واضح على هؤلاء.. وأنه كان يمكن أن يكون أحد هؤلاء.

إن أيمن فيما بعد سوف يدخل فى مرحلة صراع نفسى حاد مع ذاته، مرحلة تساؤل: هل يظل على هوايته للموسيقى.. أم يهجرها.. ولقد طرح علىّ تساؤلاته تلك وكانت النتيجة أن أعدت له إيمانه بأن الموسيقى فن جميل، وأن كل فن به السيئ والصائب.. وأن عليه أن يختار.. لكن ليس عليه أن يدفن موهبته لكنه فى النهاية هاجر إلى كندا.

اتصلت أيضاً بأمير.. فوجدته هو الآخر فى بيته.. كان فى حالة قلق فادح لأن أباه شخصية عامة.. ولأن اسمه قد ذكر ذات مرة فى التحقيقات.

بعد لحظات اتصل بى أيمن وأكد لى أن صديقاً له من هواة موسيقى الروك قد مر عليه وأعطاه مجموعة هائلة من شرائط الموسيقى كى يخفيها عنده حتى تهدأ الأمور.. وأكد لى أيضاً أن أحد أصدقائه قد اختفى فى عزبة والده، وينكر أبوه معرفة أية معلومات عنه.. وفيما بعد اتضح أن هذا الصديق كان ضمن المجموعة التى ألقى القبض عليها.

ثم اتصل بى أمير، وأعطانى رقم تليفون «عماد».. أحد المتهمين فى القضية.. كنت أنا الذى طلبت منه هذا.. كى أعرف ما هى انطباعات أهالى هولاء الشباب.. وحين اتصلت بالرقم جاءنى على الطرف الآخر صوت أم حزينة.. كشفت فى حديثها عن مزيد من المعلومات.

وقالت: إن ابنى يصلى، ونحن عائلة مؤمنة، ولا يمكن أن يكون ابنى عابدا للشيطان.. وقالت: هذه ليست المرة الأولى التى يذهب فيها لمباحث أمن الدولة، لقد ذهب هناك عدة مرات خلال الأسابيع القلية الماضية. كان يترجم لهم الأغانى.

وقالت أيضاً: حين جاء ضابط أمن الدولة ليلقى القبض عليه سألته: ما الذى

فعله؟ فقال لى: إن ابنك يذبح القطط والفئـران ويأكلها.. وعندئذ. .فتحت له الثلاجة كى يعرف أن بها الكثير من اللحوم والدجاج وأن ابنى ليس بحاجة لذلك.

لقد كـشفت هذه الـكلمات الأخـيرة عن أن هنـاك عديدا من الأمـهات والآباء لا يفهمـون بالضبط ما يحدث. وبـقدر ما أضحكتنى مـلحوظة الأم، بقدر ما آلمتـنى بعد ذلك حين دعت عـلىّ بعد أن أدركت أننى الـصحفى الذى أثار الموضـوع.. ولـم تكن وحدها هى التى تفعل ذلك بطبيعة الحال!

اتصلت بسامح، شاب آخر يدرس التجارة فى جامعة طنطا، كان نائماً، يستعد بعد فترة وجيزة كى يذهب للمطار لاستقبـال أبيه العائد من الخارج.. ولم يكن يدرى شيئاً عما يـحدث.. إنه نفسـه الشاب الذى كان قـد حكى لى كيـف أنقذته قصـة حب من إدمان المخدرات ومن السقوط فى براثن اللعبة الخطرة لتقليعة عبادة الشيطان.

بعد دقائق اتصل هـو بى، وأعرب عن مشاعر رعـب حقيقيـة حين تأكد له أن أحد أصدقائه قد ألقى القبض عليه.

خلال نـفس اليـوم تأكدت أن كافـة الأسماء الـتى تم إلقـاء القبض عـليهـا قد تم لوصول إليها من خلال لوحات أرقام سيارات الـشباب الذين حضروا حفلا لموسيقى لروك فى فندق النـيل جاردن بالمعادى.. وأن هذه الطريقـة قد أدت إلى دفع اسم ابن سفير بالخارجية لقائمة المتهمين لأنه بالصـدفة يقيم أمام الفندق، وكانت سيارته تنتظر مام المكان.

وعرفت أيضاً أن بقيـة المتهمين جمعت أسماؤهم من خـلال بعض أعضاء الفرق لموسيقية الذيـن أدلوا بأسماء من يعرفونهم فى هـذا المجال.. وهكذا تـم إدراج أسماء بباب لم يكن قد حضر نفس الحفل.

فى مسـاء نفس اليـوم، وبعد الإفطـار اتصلت بى سـيدة اسمهـا فريال، تعـمل فى ندق شيراتون هليوبوليس.. إنها عمة صبـى يافع فى مدرسة ثانوية ألقى القبض عليه و الآخر.. قالت لى: لقـد كان يتناول سحوره استعداداً للصيـام حين طرقت الشرطة ب البيت وألقت القبض عليه.

أضافت: تصور.. لقد دخلوا فوجدوا الإنجيل والمصحف.. لأن الولد أمه مسيحية وأبوه مسلم..وقد توهم الضابط حين أخذ صفحة من الإنجيل أن هذا هو الإنجيل الأسود الذى يتحدثون عنه.

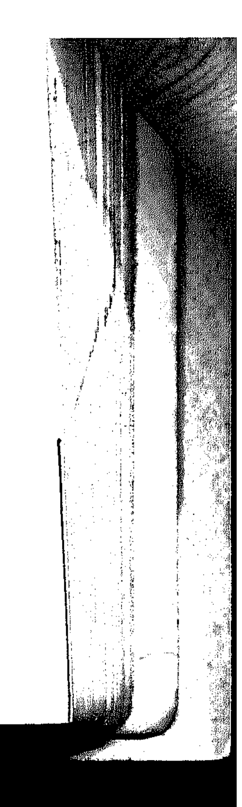
كانت هذه الملحوظة هامة للغاية لأنها تؤكد أن الضباط لا يعرفون شيئاً عن الموضوع.. ليس فقط لأن أحدهم لا يعرف الفرق بين الإنجيل المقدس والإنجيل الأسود.. ولكن أيضاً لأنه لا يدرك أن الإنجيل الأسود عبارة عن صفحات قليلة للغاية.

المهم أن هذه السيدة أعادت لى توازنى النفسى، حين لم تهاجمنى، وأعربت عن تفهمها للمبررات التى دفعتنى للكتابة فى هذا الموضوع.. وطالبت روز اليوسف بأن تدافع عن الحق.. وهكذا وجدت أخيراً شخصاً لا يدعو علىّ فى هذه الليلة.

انتعاش سوق الفتاوى

وبدأت وقائع اللطم.. كان أغلب أفراد المجتمع يشاركون فى المأساة.. فى عملية جلد واسعة النطاق.. فدخل محررو الحوادث فى الصحف مرحلة رواج ورخاء خبرى لا حد لها.. وانتعشت سوق الفتاوى.. وارتفعت قيمة أسهم أطباء النفس الذين يخرجون علينا من ثلاجات عياداتهم كلما عنّ لهم التحليل..ومضى ضباط الشرطة فى عملية دعاية واسعة هدفها إعلان أن الداخلية مع الله.. وازدهرت الشائعات الساخنة عن خرافات لا سقف لها، وجدت تربة خصبة للنمو فى خلال شهر رمضان حيث استفزت عقيدة الصائمين بهذه القنبلة التى تتحدث عن عبادة الشيطان فى عز أيام الإيمان.

وكما هو واضح فإن سبب الضجيج كانت له علاقة قوية بتوقيت تفجير القضية.. وكانت له أيضاً علاقة قوية بهذا الكم الهائل من المعلومات المضروبة التى روجتها الصحف نقلا عن الشرطة وأوراق النيابة.. وفوق كل هذا كانت له علاقة وطيدة تماماً مع شعور كامن بالحقد لدى قطاع واسع من المجتمع ضد قطاع ضيق.. هذا القطاع



الواسع يمثل الطبقات العريضة الفقيرة والمتوسطة فى مواجهة القطاع الضيق الذى يمثل الأغنياء.

لقد بدا واضحاً أن هذه القضية منحت الفقراء وسيلة كى يثبتوا بها أنهم فى وضع أفضل حالا من الناحية الإيمانية، خاصة أن أغلب من كتب فى هذا الموضوع أوحى بأن كل المتهمين من أبناء الأغنياء والمشاهير.. لقد شعر الفقراء أن لديهم قدرة أحسن على تربية أبنائهم على الفضيلة بينما الآخرون -وفق الوهم الذى يؤمن به الفقراء- لا يقدرون على هذا.. وقد تماشت هذه الفكرة مع الانطباع السائد عند بعض الناس فى مصر حول أن الله يمنح الفقير دائماً الثواب الأعظم من خلال إيمانه القوى به، بينما لن يكسب الأغنياء المعادلة الإيمانية فى النهاية.

والواقع أن هذا وهم كبير.. ليس فقط لأن الله لا يحاسب الناس على قدر أموالها وإنما حسب أفعالهم، وإنما أيضاً لأن الوهم الذى راج حول أن هؤلاء المتهمين فى القضية كانوا من الأغنياء لم يكن صحيحاً بدوره.. إذ أن كثيرين منهم أبناء فئات ضائعة لا تجد قوت يومها.. وبعض هؤلاء كان يجد فى حفلات الروك وسيلة للربح أو للاقتراب من الطبقات الغنية.

لكن الكاتب الصحفى جمال بدوى رئيس تحرير الوفد كان يعبر عن هذه الأفكار الوهمية حين مضى فى أول تعليق له على القضية يؤكد معانى مماثلة.. قال: «هؤلاء ضحايا لآباء يعبدون الدولار.. وهم ثمرة خبيثة لحياة أفسدها الثراء الفاحش والفراغ القاتل والخواء العاطفى والانحلال الخلقى والتحلل من القيم الدينية» - افتتاحية الوفد فى ٢٤/ ١١/ ١٩٩٧- بعد أربعة أيام من تفجير القضية.

ولقد قال: «هؤلاء المدللون تنهمر عليهم الأموال من حيث لا يحتسبون.. ولا يجدون آباء يغرسون فى نفوسهم معانى الخير والحق والرجولة والدين والشرف.. ولا يجدون فى المدارس علماً ولا أدباً ولا قيماً.. هؤلاء الخلعاء ضحايا لآباء منهمكين فى حسابات البنوك وأسعار البورصة وتجارة الأراضى».

والواقع أن الظاهرة فى عموميتها مرتبطة بالأغنياء.. لكن غالبية من كان قد تم إلقاء

القبض عليهم لم يكونوا من هؤلاء.. وأحسب أن جمال بدوى كان يكتب عن القضية الأمنية، ولم يكن يعرف شيئاً عما هو أبعد من ذلك، بدليل أنه لم يكتب قبل إلقاء القبض عليهم.. وإذا كان صحيحاً أن بين الذين ألقى القبض عليهم أبناء مشاهير فإن أبرز المتهمين كانوا فقراء.. والدليل موجود حين نستعرض أسماء الأربعة الذين ظلوا قيد الحبس طوال ٤٥ يوما، ولم يفرج عنهم مع الدفعات التى أفرج عنها بعد أول يوم وبعد ١٥ يوما، وبعد ٣٠ يوما.. وهؤلاء كانوا أبناء أغنياء..

هؤلاء الأربعة كانوا هم:

الأول: خالد وهو شاب فقير، لا يجيد اللغة الإنجليزية، أمه تعانى من مرض مزمن، يدرس المراقبة الجوية، وقد وجد فى هذه اللعبة وسيلة للربح.

الثانى: هو شاهى وهو شاب أرمنى احترف دق الوشم، والربح أيضا من وراء اللعبة.

والثالث: عبدالله قنفد - هكذا كان اسم شهرته- وهو من أسرة عادية.

والرابع: إحسان ذلك الشاب الذى يلخص بضعف خبرته وبمعاناته الاجتماعية كل مشاكل هذا الموضوع..

هذا الشاب الأخير أجدنى مضطراً لأن أذكر قصته .. ولكنى سأرويها فيما بعد وإنما أخصص الجزء التالى لقصة أحمد.. أحد أبرز المتهمين فى القضية

الهانم والمراهق!

اسمها «نايرة»، هانم من مصر، أرستقراطية الطابع، تتحدث العربية، لكن لغتها الأم كما قالت هى الإنجليزية، لم أكن أعرفها قبل أن تنقلب الدنيا فى نهاية رمضان حول عبادة الشيطان، ولم أعرفها إلا من خلال التليفون.. لقد اتصلت بى أمهات كثيرات بعد أن تم إلقاء القبض على هؤلاء الشباب الذين غرقوا فى هذه اللعبة الخطرة، وكنت فى كل مرة أحاول أن أتماسك أمام الدعوات التى يدعونها علىّ.. ولكن هذه المرأة لم تفعل ذلك رغم أن ابنها كان مقبوضا عليه، ويجدد حبسه بين حين وآخر.

قلت لها: أتمنى ألا أكون قد سببت لك ألماً، وأنا حزين أن ابنك ليس معك والعيد آت بعد أيام. لكنها قالت: لا عليك، كان يجب أن يفعلها أحد سواء أنت أو غيرك -نطقتها بالإنجليزية-.

إن ابنها اسمه «أحمد»، وأنا أعرفه جيداً، لقد كان أول شخص جاء إلى مكتبي في روزاليوسف بعد نشر أول تحقيق عن نادي القدر السيىء في مصر الجديدة، شاب عمره ١٧ سنة، طويل بشكل يخدع من يراه في تحديد سنه، راسب في الثانوية العامة، يدرس في مدرسة ليسيه الزمالك، يعزف الموسيقى وكانت لديه فرقة، وانتهى به الأمر إلى أن صارت الصحف تصفه بأنه «زعيم قيادي» في ذلك التنظيم الذي أطلقوا عليه «تنظيم عبادة الشيطان».

وحين جاءني كان يغطي رأسه بـ «كاس كيت» أسود، طلبت منه أن يرفعه، بعد أن رأيت جانبي رأسه حليقين تماماً، لكني فوجئت بأن شعره طويل للغاية من أعلى.. واعترف لي مفسرا هذا: «لقد كان شعري يصل إلى كتفي، حتى فوجئت ببعض الناس يشيرون إليّ في الشارع على أنني من عبدة الشيطان فحلقت جزءا من شعري».

في هذه الأثناء سأله عمه -وليس أباه- هل أنت من هؤلاء الذين كتب عنهم في روزاليوسف؟ فأجابه بالنفي، ثم جاءني كي يقول أن ما يفعلونه ليس سوى «ترويش».

وخلع أحمد كم الفانلة السوداء التي يرتديها وأراني وشماً على ذراعه. الأول لموج البحر، والثاني لنجمة خماسية. وقال إنها مجرد موضة. وحكى لي كيف أنه تعرف على هذه اللعبة من خلال شخص اسمه خالد وشخص آخر اسمه مؤمن.

لقد تعرفت فيما بعد على «مؤمن» الذي وجد وظيفة مضيف جوي في مصر للطيران، وتعرفت على خالد الذي كان بالصدفة يدرس المراقبة الجوية في معهد إمبابة، وأما خالد فقد رويت عنه الكثير، ولكني سأحكي عن «مؤمن» فيما بعد.

أما أحمد فقد كتب لي كلمات أغنية غناها مع فرقته في حفل «كايرو لاند» وكانت تدور حول القدس والمسجد الأقصى.. كلماتها متواضعة..لكنها تعبر عن

رغبة فى الحديث فى أمور السياسة.. وقد رسم لى بعض الرموز التى تستخدم فى هذه اللعبة، ثم بعد ذلك رسم هو أيضاً نفس الرسوم فى النيابة.

إنه من سكان المعادى، أبوه مترجم هام فى الأمم المتحدة، لكن أسرته مفككة منذ ١٦ سنة، فقد طلق أبوه أمه فى عام ١٩٨١، ثم سافر إلى النمسا كى يعمل هناك، وبقى أحمد بجانب أمه التى تعمل مدرسة منذ زمن طويل. وكما اعترفت لى فى اتصالها التليفونى: أنا عارفة إنى دلعته، لكنى كنت أحاول أن أعوضه.

قلت لها: يا هانم إن أحمد كان بحاجة لك.

قالت: إن أحمد لم يبتعد عنى إلا مؤخراً، حين انتقل ليعيش مع أبيه، وكان يقول لى أنه مبسوط، وليست لديه مشاكل.. وكنت أعرف أنه يستمع إلى هذا النوع من الموسيقى لكنه لم يكن يمارس عبادة الشيطان.

لم تنتبه «الهانم» إلى أن ابنها يعانى تفسخاً حقيقياً، وإلى أنه بحث عن أسرة بديلة بعيدة عنها وعن أبيه.. لقد تزوجت هى فيما بعد الطلاق.. وماتت أمها التى كانت توليه بعض رعايتها، وحين عاد لأبيه كان عمه هو الذى يسأل عنه. وبالتالى لم يجد أمامه إلا مؤمن وخالد.. ثم ابتعد مؤمن عن اللعبة برمتها، وبقى له خالد، وخالد هذا كان «يسترزق» من وراء اللعبة، يدعو الفرق ويؤجر الأماكن وينظم الحفلات، وكان أحمد يتصور أن خالد يفعل هذا لوجه الموسيقى ويظن أنه يخسر فلوسه ولا يكسب من وراء ذلك.

ثم اتضح عكس ذلك.. فقد كان خالد واحداً من هؤلاء الذين يتربحون من اللعبة حتى النهاية.. لكنه رابح صغير يختلف تماماً عن الكبار الذين روجوا الموضة ونشروها ثم قالوا أنه لا علاقة لهم بلعب العيال الذى يتحدث عنه المجتمع كله. وقد كان خالد فى نفس المكان بالسجن مع أحمد.. أما مؤمن فحين تم إلقاء القبض على هؤلاء الشباب كان طائراً فى الجو حيث يعمل مضيفاً فى شركة مصر للطيران.

وهكذا تورط البعض الذى لم يجد له فرصة أخرى، وأفلت البعض الآخر حين وجد لنفسه مخرجا.. وهى ملحوظة هامة هنا، وفى الكتاب برمته، لأنها تؤكد أن الفراغ لعب دوراً خطيراً فى هذه اللعبة.

المهم أن أحمد، ذلك الذى عاش سنة واحدة فقط من عمره فى كنف أسرته، ثم قضى بقية عمره القصير بين والدين مطلقين، كان أحد الضحايا، لاسيما أن الشرطة ضبطت لديه شريط كاسيت سجل عليه كلمات غريبة بصوته، بعضها قيل أنه يناجى الشيطان.. وبعضها تم تمييزه بوضوح.. يقول فيها أحمد: إننى «أريد أن أموت».. هل انتبهت أمه إلى هذا!! ! أظن أن هذا حدث فى وقت متأخر جداً.. بعد أن راح أحمد يقضى ٤٥ يوماً كاملاً فى السجن.. يعامل معاملة الكفرة.. رغم أنه لا يعرف معنى كلمة كفر، وبعد أن راح يقف أمام عدسات التليفزيون من حين لآخر يمسك بالمصحف كى يؤكد إيمانه بالله، فيحرص كل مذيع على أن يتجاهل هذا ويطلب منه الكشف عن ذراعه كى يرى الناس الوشم الذى دقه عليها.

لقد قالت لى أمه فى التليفون.. وهى تبكى: «إنهم فى النيابة يبقونه ساهراً حتى الرابعة فجراً فى انتظار التحقيق؟»

ولم أجد مفرا من القسوة عليها حين قلت لها: وأين كنت حين كان يعود فى السابعة صباحا بعد حفل طويل على أنغام البلاك ميتال؟

■ ■

وبينما التحقيقات دائرة، وبينما راحت عجلة الإعلام تجر وراءها بكل سذاجة مجتمعا بأكمله، وبينما راح الجميع يلطم الخدود دون حتى أن يعرف اسم الميت.. انطلقت الشائعات.. كانت هناك بيئة جيدة جدا لنموها.. فالمعلومات ناقصة.. أو مضروبة.. والحقائق غائبة.. والأوهام تجرى بين الكل كالنار فى الهشيم. ولكن المصيبة الأكبر كانت حين فوجئت بأن بعض الصحف صارت تكتب الشائعات على أنها حقائق.. وتنقل ما يدور على ألسنة الناس بدون توثيق.

حفل بجانب بيت الرئيس

موظف عادى، ساقته الصدفة إلى مسرح الفردوس فى وسط القاهرة، حيث كانت هالة سرحان المذيعة المرموقة تسجل حلقة من برنامجها المعروف «ياهلا» عن «عبادة الشيطان».. وكنت أنا أحد الضيوف فى البرنامج.. حيث دار نقاش حامٍ وصل إلى حد أن هذا الموظف وقف ليؤكد أن سبب تفجير القضية له علاقة بالرئيس.

قال: إن السبب المؤكد لإلقاء الشرطة القبض على هؤلاء الآن هو أن هناك حفلة خاصة لعبادة الشيطان أقيمت بجانب بيت الرئيس فى مصر الجديدة.. ومن هنا ولهذا فقط تحركت الشرطة.

لم تكن هذه هى المرة الأولى التى أسمع فيها هذا الكلام، ذلك أنه وصلنى أيضاً من أناس عاديين آخرين.. ولم أبال.. لكننى فوجئت به مكتوباً بشكل آخر فى صحيفة أسبوعية صغيرة اسمها «الميدان».. حاولت إحدى محرراتها فى عدد صدر يوم ٢٨ يناير ١٩٩٧ أن توحى بنفس المعنى، وبعلاقة حسنى مبارك بالقصة.. ذلك أنها كتبت تؤكد أن الرئيس تعرف أول مرة على الموضوع خلال لقائه مع كبار كتاب مصر فى لقاء سنوى معتاد فى معرض الكتاب.. حين سأله كاتب عن ظاهرة عبادة الشيطان ومضى يشرح للرئيس تفاصيل عديدة، ووفقاً لما قالته المحررة فإن تعليق الرئيس كان له مغزى. ووفقاً لما زعمته فإنه تلقى عدداً من التقارير حول الموضوع.

لكن أحداً من الذين حضروا هذا اللقاء لم يتحدث عن هذا على الإطلاق. وقد تذكرت ذلك حين سمعت ذلك الموظف يردد معنى قريبا خلال تسجيل برنامج «ياهلا».. ولم أجد لدى مبررا للسكوت.. ورحت أهاجم هذه الشائعة التى تروج معلومة غير صحيحة.. إذ لم يثبت على الإطلاق أن هناك حفلاً من هذا النوع أقيم بجانب بيت الرئيس.. بل ربما يبدو الأمر مستحيلاً لأسباب أمنية واضحة.

■ ■

لكن نفس الشخص مضى يردد كلمات من نفس النوع الذى يتردد بين العامة فى الشارع حول تفاصيل أخرى.. كانت هى أيضاً بدورها شائعات.. لقد قال أن مدينة دهب فى جنوب سيناء تعج بحفلات الجنس العارية.. وأن إسرائيل عن طريق سائحيها فى دهب هى التى أدخلت عبادة الشيطان إلى مصر.. ومرة أخرى وجدتنى مدفوعاً للرد على هذا الهراء.. إذ كيف تعانى إسرائيل من هذه المجموعات ثم نقول أنها تخلقها كما تصدرها لنا.. وكيف نروج عن مدينة دهب ما هو مخالف للواقع رغم أن هناك صلة ما بين دهب وبين هؤلاء الشباب.

من هنا قررت أن أخصص الجزء التالى للحديث الواضح الموثق عن الظاهرة فى إسرائيل، وبعدها سوف أصف ما يحدث فى مدينة دهب بالتفصيل وما هى علاقته بالضبط بعبادة الشيطان والسحر الأسود.

قربانا للجنس

عافيت مالخوم، شاب إسرائيلى من أسرة فقيرة، تغير سلوكه فجأة، أصبح انطوائياً، لا يريد الحديث مع أصدقائه.. ثم تدريجياً أصبح عنيفاً، تقدم الجيران بشكوى ضده لأنه يفتح الراديو فى منتصف الليل بصوت مرتفع ليسمع موسيقى غريبة.. تلقى تحذيرات من البوليس.. فاختفى تماماً من البيت.. ثم حين ظهر، كان قد قتل.. وحين قتل كانت تلك بداية لكشف الكثير عن عبادة الشيطان فى إسرائيل.

فى هذا اليوم الذى اكتشفت فيه قصة القتيل، كما جاء فى مجلة روز اليوسف تحت عنوان«عبادة الشيطان والجنس» - يونيو ١٩٩٥،فى هذا اليوم كان قسم الشرطة التابع له الحادث يتلقى بلاغا عادياً من امرأة تتهم جارا لها بأنه اختطفها لأنها لم تستجب لمغازلته.. لكن الضابط المسئول انتبه إلى أن أمامه بلاغا آخر جديدا عن اختطاف قطة.. إنه البلاغ الثالث من نفس النوع فى أسبوع واحد.

بعد نحو نصف ساعة تلقى الضابط بلاغا من شركة النظافة عن العثور على جثة شاب على الشاطىء. كان إنطباع الضابط كما قال لمساعده أنها مجرد خناقة: «شباب مهاويس، غالباً معركة على فتاة، حمقى يضيعون أنفسهم، وفى النهاية سوف يقيد البلاغ ضد مجهول».

حين وصلا إلى الجثة - الضابط ومساعده- لفت نظره شيء قد يكون عارضا ولكنه مثير للانتباه.. إن الجثة مشرحة بسكين ذى نصل حاد، ومن النوع الكبير.. إن هذا كما قال الضابط «ليس أسلوب الرجال، إلا إذا كانوا شواذ..إنه أسلوب امرأة».

أثارته فكرة أن تكون القاتلة أنثى، ربما لأن الضابط نفسه كان ناقماً على المرأة بوجه عام بعد أن هجرته زوجته بعد زواج دام عشرة أعوام، ورحلت بصحبة شاب صغير. وانتبه إلى شيء غريب آخر.. إن فوق الأجزاء التناسلية للشاب القتيل، أسفل البطن علامة غريبة.. وشم.. صليب معقوف.. علامة النازيين.

توجه الضابط إلى صديقة فى معهد الدراسات الشرقية بتل أبيب، إنه البروفيسور كوهين مؤسس المعهد ومديره، وسأله عن الوشم.. فلم يهتم الخبير بلون أو شكل الوشم ونوعه.. وإنما سأله عن موقع الوشم فى جسم الضحية.. وحين عرف قال أن الموضوع ربما تكون له علاقة بالجنس. لأن هذا المكان من الجسم فى اعتقاد حضارات بدائية فى أقصى آسيا يعتبر مركز الطاقة الجنسية ومركز الحياة وكان الزواج يتم عن طريق غرس عودين من البخور فى أسفل بطن كل زوجين..وبينما يتضاءل البخور يقترب الزوجان من بعضهما ويكون الضجيج الجنسى قد وصل ذروته فيبدأ الزوجان ممارسة الجنس وسط تشجيع أفراد القبيلة.

وانتهى البروفيسور إلى أن الشاب ينتمى لديانة بدائية.. وحين سأله الضابط: ماذا يعبد هؤلاء الناس الذين تتحدث عنهم؟ قال له : الشيطان!

فى نفس الوقت تقريباً أبلغ رجل معروف وسياسى بارز عن اختفاء ابنته، وعن العثور على سيارتها وقد تحطمت من فوق قمة طريق جبلى عال.. وفى داخل بيت فى شرق تل أبيب كانت الفتاة موجودة، حيث كان يصدر صوت غريب.. مزيج من صوت احتضار رجل ومواء قط جائع.. لم يسمع أحد هذا الصوت.. فالبيت منعزل.. ولكن داخله كان يدور طقس غريب.

كانت هناك مجموعة من الشباب والفتيات ، بينهم هذه الفتاة، يقفون جميعاً فى شكل دائرة، سقف الحجرة لونه أحمر دموى، والجدران ملطخة بشعارات مكتوبة بلغة غريبة.. ومناظر وجوه بعيون تسيل منها الدماء.. وكانت الفتاة فى حالة ذهول.. وبدت وكأنها قريبة من الانهيار العصبى الكامل.. وكذلك بقية الفتيات.. وكانوا جميعاً يلتفون فى دائرة حول قط رمادى شرس وحيوان يشبه الذئب يدور بينهما صراع دموى انتهى بقتل القط متأثراً بجراحه.

رفع أحدهم الحيوان الآخر إلى داخل قفص أسود مربع.. وأخذ أحدهم دم القطة ووضع منه قطرات فوق مبخرة مشتعلة.. وأطلق هذا دخانا له رائحة منومة.. وجاء هذا الشاب بالمبخرة وسط الحلقة.. ووضع يد الفتاة فوقها تماماً. . ثم باعد بيده بين ساقيها.. وأمسكت هى بطرف ثوبها ورفعته فوق ركبتيها.. ثم بدأت خلع الثوب

تدريجياً حتى أصبحت عارية تماماً.. يتصبب منها عرق غزير.. بينما الجميع يتمتمون بكلمات غريبة غير مفهومة.. ثم ذهب أحدهم إلى الداخل وعاد ومعه طبق بلاستيك به مياه باردة تطفو فوق سطحها قطعة ثلج وإسفنجة ناعمة.. غمس الإسفنجة فى الماء، ورفعها دون أن يعصرها، ثم اقترب ببطء من صدر الفتاة التى أصبحت غائبة عن الوعى تماماً.. واستقرت يده على نهدها الأيسر. وعصر الاسفنجة.. وعصر الماء فوق نهدها .. ثم بطنها وفخذها.. فتهاوت الفتاة بين يديه.

بعد عشرة أشهر من البحث البوليسى تم فك طلاسم الجريمة الأولى.. جريمة قتل عافيت مالخوم.

فى الواقع كانت هناك جرائم أخرى.. جثث تظهر فجأة .. الأغلبية لفقراء.. وبعضها لأغنياء.. وكانت من بين جثث الأغنياء جثة الفتاة التى اتضح أنها ماتت بعد عملية ولادة تمت بطريقة غير طبيعية.

لقد اتضح أن هناك جماعة لعبادة الشيطان فى كل مدن إسرائيل تقريباً.. وتبين أن هناك جماعة فى «نتانيا» متخصصة فى التضحية بالأعضاء الضعفاء، بقتلهم وشرب دمائهم.. وظهر هذا أولا على الشاطىء حيث مورست طقوس العبادة الملعونة.. وتسبب هذا فى رعب فادح، أدى إلى منع المواطنين من الخروج بعد الحادية عشرة.. لم تكن ظاهرة القتل قاصرة على نساء من الجماعة، ولكن أيضاً نساء أخريات، يتم اغتصابهن جماعياً، ويسرحن أو يقتلن، حسب الأحوال الدينية فى هذا اليوم.. ومن بين هذه الحالات حالة سيدة متزوجة، اغتصبوها وأسروها، حتى ظهر حملها، ثم تمت التضحية بالمولود.

فيما بعد وجد أحد المحققين فى مذكرات شاب من الجماعة ما يفيد هذا المعنى:

«إن أفضل تضحية هى التى تتم بالمواليد الصغار لأن الشيطان يفرح بهم».

وبمضى الوقت تبلورت أمام جهات التحقيق معلومات عديدة عن فكر هذه الجماعات:

- إنهم يؤمنون بأن الشر يتحكم فى العالم فى النهاية، وأن الأنانية هى الأمل فى البقاء حيا، وأن البقاء للأقوى، والضعيف يموت بالتضحية، ولا يوجد شىء اسمه

حكومة أو جمهورية، لأن كل شيء ملك للشيطان الذى سوف يتحكم فى العالم بعد حرب عالمية ثالثة.

- أن الجنس يجب أن يتم داخل المقابر، وبالتحديد على أحد شواهد القبور، لأنهم يضعون فى رحم الفتاة حينئذ بذرة الشيطان.
- أن المكان الأفضل لممارسة الجنس بعد ذلك هو شاطىء البحر ليلا، وعلى أن يمارس جماعياً.
- أن الفتاة فى الجماعة هى رمز الجنس فقط، وفائدتها فى اغتصابها جماعيا، وأن تلك هى أسعد لحظات الشيطان، لأنه يتجسد وقتها داخل الشباب.
- لا يجب أن يفشى العضو أسرار الجماعة، وإلا تعرض للقتل فوراً، وتكون النتيجة النهائية هى التمثيل بجثته.. وقد حدث هذا فعلاً حين انشق عافيت مالخوم عن الجماعة فقتل على الفور.
- شرط تكوين الجماعة بسيط جداً، وهو أن يكون نصفها شبابا، والآخر فتيات وإيجاد مكان منعزل ومظلم.. شاطىء بحر.. غابة.. مقابر.
- من شروط الطقوس الاستماع أثناءها إلى موسيقى «البلاك ميتال» التى تعتبر الموسيقى المفضلة لديهم.

■■

وفى نهاية هذا التقرير الذى نشرته مجلة روز اليوسف فى صيف ١٩٩٥، كتب المحرر أن أعضاء جماعة شيطانية فى إيلات عقدوا جلسات جماعية فى طابا المصرية، بعد أن انضم لهم شاب غنى مول رحلتهم تلك.. ومن طابا انتقلوا إلى جنوب سيناء.. لكن لا توجد معلومات عن ممارستهم لهذه الطقوس فى مصر.. لكن القصة لم تقف فى إسرائيل عند هذا الحد.. إذ سرعان ماتبين أن هناك جماعات أخرى هناك تؤمن بهذه الأفكار. ووجد البعض فى هذا مبررا كى يقول أن الموساد هى التى سربت تلك اللعبة القذرة إلى مصر.

أحيـاء ميـت

«طائفة عبادة الشيطان».. الاسم الذى أطلق على هذه الجماعة فى إسرائيل خلال عام ١٩٩٧، والتى قدر عدد أعضائها بنحو ٤٥٠٠ فرد.. حسب ما قالته جريدة يديعوت أحرونوت.. هذه الفئة دفعت بنفسها إلى الأحداث من خلال واقعة غريبة.. إذ نبشوا قبر جندى إسرائيلى اسمه «نين أمويثيل» فى محاولة لإخراج عظام جثته واستخدامها فى طقوس عبادة الشيطان. وعلى الرغم من أن السلطات كانت متأكدة من أنهم هم الذين فعلوا هذا إلا أنهم لم يستطيعوا إلقاء القبض عليهم ومحاكمتهم لعدم وجود دليل.

الواقعة نفسها تقول أن بعض أعضاء الجماعة تسللوا فى ليلة شتوية إلى منطقة مقابر مستوطنة «حتساب» حيث يوجد مدفن الجندى الذى قتل إثر انفجار شحنة ناسفة فى مجموعته فى الجنوب اللبنانى عام ١٩٩٢. ولقد اختاروه من خلال ما وصف بأنه بوصلة لقراءة الطالع.. ثم أخذوا يضربون على شاهد قبره ببلطة حديدية.. و راحوا يرفعون ألواح الرخام.. وأخرجوا الأتربة على جانبى القبر.. ولم يكملوا.. فقد اكتشفت الواقعة يهودية مرت بالصدفة من جانب القبر..

وحسب تقديرات الشرطة الإسرائيلية فإن هؤلاء كانوا يحاولون إعادة الحياة إلى الجندى فى ذكرى يوم وفاته (!).. لأنهم يؤمنون بأن الروح تعود للجسد فى هذا اليوم عدة دقائق قبل منتصف الليل. لكنهم كانوا قد حسبوا يوم الوفاة بطريقة خاطئة.. وبناء عليه رجحت الشرطة أن يكون الفاعلون من أصدقاء الجندى الراحل.

ولم تكن تلك هى الحادثة الوحيدة، إذ سرعان ما اتضح أن الأمر تكرر أكثر من مرة.. واتضح أيضاً أنهم كانوا يضعون دماء بشرية على شواهد القبور التى يحفرونها.. وقال السكان أنهم يتحركون فى جماعات صغيرة، ودائما يكونون فى حالة تعاطى مخدرات.

هذه الجماعة التى صارت فجأة موضوع الحديث فى المستوطنة لم تقف عند هذا

الحد، وإنما أيضاً شوهت الجدران بشعارات عبادة الشيطان.. بل إنهم ذات مرة استخدموا فى كتابة هذه الشعارات باروداً فسفوريا أشعلوا فيه النيران بعد أن كتبوها كى يستحيل محو ما دونوه.. ووفقا لنفس المعلومات فإن هذه الطائفة فى إسرائيل بدت مختلفة تماما عما يحدث فى مصر.. لأن الجماعة هناك دموية عنيفة.. تقتل الأطفال ولا تتورع عن قتل الرضع.

■■

هل هذه المعلومات تعنى أن إسرائيل سربت عبادة الشيطان إلى مصر؟

واقع الأمر أننى لا أحب الاستسلام إلى هذا الاحتمال.. الذى ربما انتشر بسبب توقع المصريين أن إسرائيل تريد أن تدفع إلى بلادهم بكل الموبقات والأخطار الاجتماعية.. إلا أنه لا يوجد دليل على هذا.. خاصة أن إسرائيل تعانى من هذه الجماعات.. فكيف تصنعها كى تصدرها لنا.. ليس هذا بالطبع دفاعا عن إسرائيل.. ولكنه محاولة لاستشراف الحقيقة فى ضوء عدم وجود معلومات صحيحة وموثقة فى هذا السياق. وفى ضوء أن الإشارات التى أتيحت أمامى عن علاقة الأجانب بما حدث فى مصر كانت كلها لها علاقة بأجانب من جنسيات أخرى.. كما أوضحنا من قبل.

لكن الذى ولد هذا الانطباع فى مصر أن هناك من تحدث فى الصحف المصرية عن قيام هذه الجماعات الإسرائيلية برحلات إلى جنوب سيناء.. وفى ذهن بعض العوام فى مصر أن جنوب سيناء صارت أرضا لكل الموبقات فى ظل تزايد أعداد السائحين الإسرائيليين هناك.. إنهم يظنون أنها صارت أرضا للعهر والفجر.. وقد ارتبط هذا بما قيل عن أن أفراد هذه الجماعة التى كانت تمارس اللعبة فى مصر كانت دائما ما تذهب إلى «دهب» فى جنوب سيناء.. ومن هنا تصور البعض أن «دهب» هى معقل عبادة الشيطان فى مصر.

لكن الواقع يقول غير هذا.. ويؤكد أن «دهب» مثل غيرها من أراضى مصر التى



تحدث فيها أشياء كثيرة.. وإذا ما أكدنا أن معلومة «دهب» صحيحة فهل هؤلاء الذين أقاموا طقوسا غريبة فى سقارة.. أو فى المقطم كانت لهم بالتالى علاقة مع يهود؟! الإجابة هى النفى.

ومن هنا نعود إلى مصر مرة أخرى.

ابتلاع الأزمة

«أخبار الحوادث».. جريدة أسبوعية تصدر عن مؤسسة أخبار اليوم منذ خمس سنوات، قمة فى الإثارة وقلة الوعى والتعامل الحقير مع الحوادث، بحيث تتحول إلى مادة ارتزاق، بدون مناقشة واضحة المعالم للأسباب التى أدت إلى الجرائم والموضوعات التى تعالجها.

لقد اخترت هذه الصحيفة، وبالذات عددها رقم ٢٥٣ الصادر فى يوم ٦ فبراير ١٩٩٧ كى أدلل على النوعية غير الذكية فى المعالجة الإعلامية لموضوع عبادة الشيطان، خاصة أن هذا العدد الذى حمل عنوان: «الملف السرى لعبدة الشيطان وخرافات الحضارة الأجنبية» قد نفد تماماً.. فى هوجة تعامل القارىء المصرى مع القصة المثيرة. هذا العدد كان نموذجا للجهل الصحفى ولاحتقار عقل القارىء، ولتقديم المعلومة الناقصة.

إن ذلك الحكم النقدى ليس مزعوما، وليس بدون دوافع، ولكننى أصدرته لأننى قرأت العدد فلم أجد معلومة واحدة دقيقة عما حدث فى مصر.. وإنما فقط آراء وحوارات حول أسباب ظاهرة لم تحاول الصحيفة أن تثبت وجودها. ثم وضع صناعها لإرضاء القارىء ملفا كاملا عن مثل هذه الجماعات فى الخارج.. وبعد كل هذه الصفحات المطولة عن الموضوع تطوع رئيس تحريرها كى يكتب افتتاحية يؤكد فيها «أن شباب مصر بخير».

لقد صدر هذا العدد بعد أن نفد عدد آخر من نفس الصحيفة، هذا العدد -السابق- كان يتضمن كل تفاصيل المعلومات «المضروبة» فى التحقيقات، وحين رأت الصحيفة أنها زودتها أعدت العدد التالى وكتبت تقول: «الحمد لله، لم يكن ما

حدث غير تجربة قاسية لقلة من الشباب لا تشكل ظاهرة».. و«لا تثير الخوف على شبابنا الذى استنكر هذه الأفكار المستوردة والغريبة عن مجتمعنا».. وهكذا تحول الشباب المتهم وبقدرة قادر من نوعية جاهلة وغبية تروج الخرافات إلى «شباب ورط نفسه فى دائرة الشبهات، ارتمى فى أحضان الموسيقى الصاخبة وحرص على حضور حفلاتها مهما كانت فوجد نفسه فى النهاية يعانى من مرارة الشبهة بعد أن نجا من قسوة الاتهام القانونى».

لقد بدا أن الجريدة تعلن أنها تسرعت، ومن هنا وبعد كل الضجيج الذى ساهمت فيه قبل أسبوع، فإنها تحاول فى العدد التالى الذى نحن بصدده الآن أن «تضع القضية فى حجمها الطبيعى من ناحية.. ولتحذير كل شاب وفتاة من الوقوع فى الخطأ من ناحية أخرى».. دون أن تسأل نفسها لماذا لم تفعل ذلك من البداية، ودون أن تجيب على تساؤل هام وهو: لماذا لم تنتبه هى من أول مرة، ولماذا تراجعت فقط بعد أن حاولت الأجهزة الرسمية أن تبتلع ما فجرته أمام الناس دون دليل؟

فى هذا السياق لم يخجل سمير توفيق رئيس تحرير الصحيفة وهو يبرر التراجع من أن يقول: «إن الشيطان لن يجد شبرا واحداً من أرضنا يمكن أن يأوى إليه».. هكذا بكل بساطة سطر الجملة دون أن ينتبه إلى معناها الذى يستحيل تحقيقه عمليا.. ذلك أن الفساد موجود.. والجرائم موجودة.. وبالتالى الشر موجود.. والشيطان أيضاً.. فكيف لا يجد إبليس له شبرا فى أرض مصر، وهل يجب أن يعبد كى يكون موجودا.«هذه الجملة تعنى أن الجريدة نفسها لايجب أن تصدر أصلا».

فى إطار هذا التراجع فتحت أخبار الحوادث صفحاتها لحديث مع سوسن بدر الفنانة المعروفة كى تدافع عن ابنتها التى قيل أنها كانت من المتهمات فى القضية: «هل شققتم عن قلب ياسمين ابنتى؟ لقد حضرت ياسمين التحقيقات وهى صائمة، وقد أبلغت أنا من قبل مديرة مدرستها شكواها من عبدة الشيطان».

هكذا أيضاً سجلت الصحيفة الأسبوعية ما قاله الدكتور خيرى السمرة فى مجلس

الشورى معلقا على القضية: «هـذه مشكلة طـارئة لا تدعو إلى الـقلق، فهى لـيست ظاهرة، وشبابنا متدين، ولا تعطوا الموضوع أكبر من حجمه».

لكن أخبار الحوادث لم تفلح فى محاولة ابتلاع ما فعلته فى الأسبوع الماضى، ذلك أن الصـفحـات سرعـان ما عـادت لتـروج للـفكـرة التى تحاربـها هـى.. ألا وهى أن «الموضوع بسيـط».. فبعد أن فتحت صفحـات لوالد متهم كى يقول أن ابنه يصلى.. راحت نـفس الجريـدة تنشـر آراء «رجل الـشارع».. حول الموضوع.. تحت عـنوان: «الأسرة المصرية تحاكم عبـدة الشيطان». الأغلبية ترى: تقويمهم وتعليـمهم ومحاكمة أسرهم. والأقليـة تطلب: إعدامهم أو عزلهـم عن المجتمع».. هكذا عبرت الـصحيفة مرة أخرى عن ترددها، واعترفت فى العنوان بالظاهرة التى تقول أنها غير موجودة، ثم راحت بعد ذلك تنشر معلومات عن هذه الجماعات فى الخارج.

■ ■

والواقع أن أخبار الحوادث لم تكن وحدها فى هذه الحالة من التردد، بل إنه يكتب لها ميـزة أنها حاولت أن تتـراجع، لكن بقية صفحات الحوادث فى الجرائـد المصرية كانـت غارقة فـى ترويـج الأوهام، وساهـمت بقـدر كبير فى الـتعامـل الخاطـىء مع الموضـوع.. وإنما اختـرنا «أخبـار الحوادث» فقـط هنا لأنهـا صحيـفة متـخصصـة فى الجريمة.

إننى أجد هـذه النقطة فرصـة كى أعلق على طبـيعة تعامل مـحررى الحوادث فى مصر مع الظـواهر الاجتماعية - وأبرزها الجـريمة - بشكل أقل ما يـوصف به هو أنه غبى.. باستثناء قلة قليلة بالطبع.. ودليل هذا هو طريقة نشر أخبار «عبادة الشيطان».

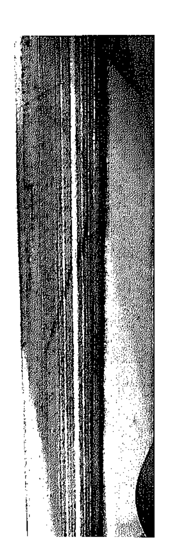
واقع الـقضيـة يقول أن مـحرر الحوادث فى مـصر هو مـجرد بوسـطجى، حـامل للمـعلومة، أيا كـان نوعها، من مـصدر التحقـيق سواء كان فى الـشرطة والنيـابة إلى صحيـفته بدون أى وعـى. إنه محرر يـنقل دون أن يقـرأ.. يبدو وكأنـه وسيلة فـى يد الضابـط أو محقق النـيابة.. وأحيانـا كثيرة يتـحول إلى أداة من أدوات البـحث، يروج لمعلومات مضروبة بهدف خداع المتهمين.. ومـن هنا فإننى لا أندهش كثيرا حين أقرأ

ذات يوم عن جريمة قتل تقول الشرطة فيها أن الزوج ليس متهما ثم لا أفاجأ حين أجد أن الشرطة تعود وتؤكد أنه القاتل.. ولا أفاجأ أيضاً حين أجد هؤلاء ينقلون من الورق كل شيء على أنه حقائق.. وينشرون التحريات على أنها مؤكدة.. ثم تقول المحاكم شيئا آخر فيما بعد.. إن هذه هي نفسها الطريقة التي تعامل بها محررو الحوادث مع قضية عبادة الشيطان.. حين راحوا جميعا ينقلون تحريات الشرطة التي ضمت معلومات عن جماعات في الخارج على أنها في مصر.. وحين ذهبوا جميعا ينقلون الأوصاف الرنانة: «خادم الشيطان».. «أوكار الشيطان».. «نادي الشيطان».. بدون أي تقييم.. ثم راح كل متهم يدافع عن نفسه بطريقة خاصة ، وبالوسيلة التي يمكن أن توفرها له علاقاته مع الصحافة.

ومن هنا لم يكن غريبا أن يحمل هؤلاء «البوسطجية» مسئولية الأمر في النهاية، ولم يكن غريبا أن تخرج المصادر الأمنية وتقول أن الصحافة هي التي ضخمت الموضوع.. بينما الذي فجر القضية الوهمية هو الشرطة!

وبنفس الطريقة الغامضة والغريبة وغير المدققة دخل على الخط شخص آخر ووقع في نفس أخطاء صحفي الحوادث، هذا الشخص غير عادي وهام جدا في مصر، ويحتل موقعا دينيا متميزا.. وهو الذي سوف نتحدث عنه الآن.

تطبيق الحد



الدكتور نصر فريد واصل، مفتي الديار المصرية، شخصية لم تكن لامعة أو معروفة قبل أن يصل صاحبها إلى موقعه في دار الإفتاء المصرية في بدايات عام ١٩٩٦، حيث جاء بعد سنوات طويلة قضاها الشيخ الدكتور سيد طنطاوي في هذا المنصب مثيرا للجدل وللضجيج، وجاذبا للأضواء، ومتمتعاً بمساندة دائمة من جماعات التنوير في مصر.. وحين ذهب الشيخ طنطاوي بكل تاريخه السابق إلى موقع أهم، هو موقع الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر، كان هذا بدوره يعني أن خليفته في منصب دار الإفتاء سوف يعاني كثيرا حتى يستطيع أن يملأ مقعده، ولاسيما أن الكثيرين عقدوا مقارنات طويلة بين الاثنين.

كان المفتى الجديد بحاجة إلى فتوى من نوع خاص، أو ربما لأكثر من فتوى، كى يعلن أن هناك شخصا جديدا قد جاء إلى هذا الموقع الهام.. لاسيما حين أعلن فى البداية أن الموضوعات التى طرحت من قبل على دار الإفتاء لن تصدر فيها فتاوى جديدة.. أى أنه حكم على نفسه بالصمت لفترة طويلة.. لكنه سرعان ما خرج عن هذه القاعدة، وتحت ضغوط من أسئلة الصحافة المتوالية راح المفتى يستجيب لطاحونة الإعلام ويعلن عن آراء مختلفة.. ربما.. كى يلفت الأنظار.

فى البداية راح يقول أن فتاوى تنظيم الأسرة وتحديد الأسرة تحتاج لدراسة.. ثم قال أن المرأة مكانها البيت ولا يجب أن تخرج إلى العمل.. وكان من الطبيعى أن تهاجمه جماعات عديدة.. فابتلع ما قاله وعاد للصمت.. بعد أن فرض على نفسه ألا يجيب عن أية أسئلة للصحافة إلا بعد أن تصله مكتوبة أولاً.. لكنه وجد فرصة جديدة للظهور مرة أخرى حين جرى استطلاع هلال شهر رمضان الماضى وحاول أن يتجاهل الحسابات الفلكية وأن يعلن بداية شهر رمضان وفق ما أعلن فى السعودية.. وهى عادة تخلص منها سلفه الشيخ سيد طنطاوى.. لكنه تراجع.. وكان السبب وراء ذلك هو حديث طويل بينه وبين الإمام الأكبر ووزير الأوقاف حمدى زقزوق.

لكن الأحداث ساقت له قضية عبادة الشيطان.. فكانت فرصة كى يكشف المفتى عن طبيعة أفكاره، وكى يعلن عن نفسه.. من خلال إشهاره سيف التكفير ومطالبته بتطبيق الحد على هؤلاء الشباب.

لقد حدث هذا بطرق مختلفة. ففى ندوة عقدتها اللجنة الثقافية بنادى طنطا سئل الشيخ فريد عن أشياء كثيرة، كانت من بينها قضية عبادة الشيطان.. فقال: هؤلاء مرتدون عن الإسلام، ويجب أن تطبق عليهم أحكام الشريعة الإسلامية بالقصاص فى حالة ما إذا رفضوا التوبة والعودة إلى أحكام الدين الصحيح.. إننى أطالب بدراسة أسباب ظهور هؤلاء.. وأدعو وسائل الإعلام والتليفزيون إلى إعادة النظر فى برامجها وتوجيهها إلى ما يخدم الدعوة الإسلامية.. وأتهم هذه الوسائل بمسئوليتها الكاملة عن اضمحلال الثقافة الإسلامية».

وهاجت الدنيا على المفتى، فعاد فى وقت آخر - على عادته- يصوغ عباراته بشكل مختلف.. فى مقال لجريدة الوفد يوم: «٣٠/ ١/ ١٩٩٧»: هذه فئة ضالة ومنحرفة وخارجة عن الدين، أفكارها لم تخرج من مصر بالتأكيد. وهى جملة تعنى أنه تراجع عن اتهام الإعلام.. ولكنه أضاف: إننا نأمل المتابعة لدرء الخطر والوصول إلى كل العناصر التى تحمل هذا الفكر نظراً لخطورتها لأنه إذا ترك فرد واحد منها فإنه يعتبر كالشرارة الصغيرة التى إذا انطلقت تحرق كل شىء.. ولا سبيل أمام هؤلاء سوى أن يعودوا إلى رشدهم.

هذا التراجع فى الصياغة لم يغفر للمفتى أنه طالب بالقصاص من هؤلاء الشباب، وأنه طالب بتطبيق الحد عليهم، وقد هاجمته بشدة.. لكننى أود فى البداية أن أعرض إلى رأى آخر قاله الكاتب الكبير سلامة أحمد سلامة تحت عنوان: «لا بالبوليس ولا بالمفتى». فى عموده المنشور بالأهرام فى نفس يوم تصريح المفتى هذا (٣٠/ ١/ ١٩٩٧): «لم يبصر الناس غير ما رأته أجهزة الأمن وبالغت فى تصويره ولم يفكر أحد من هؤلاء الذين راحوا يوجهون أقذع الاتهامات فى أزمة جيل كامل.. وبدلاً من أن يحاسب هذا المجتمع نفسه ويفتش فى أعماقه عن الأسباب التى تدفع الشباب إلى هذا تبارى الجميع فى المطالبة بإنزال أقصى العقوبات على الذين تجرأوا على خدش الواجهة اللامعة لمجتمع يظن نفسه متدينا بالفطرة».

وأضاف سلامة أحمد سلامة: لا يمكن فى مشكلة كهذه أن نلجأ إلى المؤسسة الأمنية والمؤسسة الدينية. كلتاهما لا تحل المشكلة ولن يفلح التهديد بالسجن والاعتقال.. ولا بتهمة الارتداد التى رفعها المفتى ببساطة شديدة فى وجه شباب ضائع. ولا فائدة من علاج هذه الظاهرة بأساليب العنف والنواح والولولة.

وقد كتبت كلاما قريبا من هذا المعنى، كتب له -لأسباب طباعية- أن ينشر بعد رأى الأستاذ سلامة أحمد سلامة بيومين قلت فيه للمفتى الكثير.

قطع الإصبع

عبدالله كمال، هذا هو اسمى، أنا مؤلف هذا الكتاب، وصاحب تلك الحملة، الذى وجدت أنه من الضرورى أن أتدخل وسط كل هذه الخرافات التى كانت تروج

على الساحة، خاصةبعد فتوى التكفير التى أطلقها الدكتور نصر فريد واصل.. لقد أغرقت نفسى فى نهر بارد حتى أهدأ، وكبلت أعصابى وقلمى بقيود من حديد حتى لا أتهم المفتى بنفس الاتهام، وحاولت قدر الإمكان أن أكون رفيقاً به رغم أنه لم يكن رفيقاً بالصغار وقرر بمنتهى السرعة طعن هؤلاء فى دينهم والمطالبة بتطبيق حد الردة عليهم.

إننى أتساءل الآن، وبعد أن هدأت الأوضاع، كيف كان هذا الرجل سينام مرتاح الضمير والجسد لو أن فتواه المتسرعة قد طبقت.. خاصة بعد أن قال أغلب رجال الدين آراء أخرى ليس بينها على الإطلاق إعدام هؤلاء.

لقد قلت له فى مقال نشر بروز اليوسف فى ٣ فبراير ١٩٩٧: لحظة هدوء من فضلك!

وأضفت: «إن هذا الضجيج يسعد أى صحفى، على اعتبار أنه صاحب الخبطة الصحفية، إلا أنه فى النهاية ضجيج مؤلم، لأن أحدا فى المجتمع لا يريد أن يناقش الظاهرة بهدوء كى يصل إلى نتيجة واضحة، ولأن الجميع يتحرك على طريقة أن «إصبعى إذا آلمنى أقطعه بدلاً من أن أعالجه».. وقد فوجئت بأن تصريحات المفتى الأخيرة تسير وفق هذا.. وفق نهج قطع الإصبع، حين طالب بتطبيق حد الشريعة على هؤلاء الشباب.

لعله قد فاتكم -والكلام موجه للمفتى- قبل الإدلاء بهذا التصريح أن تلتقى بهؤلاء الشباب وتسألهم عن أفكارهم أو على الأقل تقرأ النص الأصلى لتحقيقات النيابة معهم لتعرف ما الذى يؤمنون به ولتكتشف بنفسك جوانب الخطأ فى آرائهم قبل أن تقول الفتوى التى تعنى قتل هؤلاء إذا ما ثبت خروجهم عن صحيح الدين.

ولو أن فضيلتكم ناقشتم هؤلاء الشباب قبل هذا التصريح لتأكدت أنهم إذا فهموا معنى الردة عن الدين فإنهم لا يعرفون معنى كلمة الاستتابة. ولتأكدت أنهم من ضعاف الثقافة الدينية وأن سبب هذا هو أن المؤسسة الدينية التى تنتمى لها لم تصل إلى هؤلاء ولم تهتم بأمور عقيدتهم وتركتهم فى سن صغيرة لأفكار من نوع

«الشيطان أقوى لأنه القادر على الإيذاء»، ولعرفت أنه يمكن أن يطبق على هؤلاء قاعدة العذر بالجهل ولتريثت قليلاً فى إشهار سيف العقوبة قبل التوعية بما هو صحيح.

صاحب الفضيلة.. إننى لا أخلى مسئولية المؤسسة الدينية فيما حدث، وخير دليل على هذا أنكم اكتفيتم فقط بإبلاغ وزير الداخلية قبل نحو شهرين عن نوادى الشيطان باعتباركم لها أنها خطر يهدد الأمن القومى. ونحن نربأ بمفتى الديار المصرية عن أن يقف فقط موقف «الإبلاغ».. ثم لا يقوم هو بدوره فى اتجاه اللقاء مع هؤلاء وتوعيتهم وإقناعهم وتلقينهم التعاليم الدينية الأولية التى غابت عنهم.

لعلكم تلاحظون أن هذه المؤسسة الدينية مسئولة أيضا عن ترويج الأفكار الخاطئة بطريقة سلبية، حين راح العاملون فيها يطبعون الكتب وينشرون الآراء التى تجعل من الشيطان قوة خارقة لا تقاوم إلا بصعوبة.. ومن المؤكد أنك لاحظت أن هذه الكتب التى تتحدث كل يوم عن مملكة إبليس وقوة السحر وسيطرة العفاريت وتأثير الشيطان.. تلك الكتب التى توحى بأنها تحارب الشيطان.. هى فى الواقع تروج له.

إن لنا على فضيلتكم حق التريث، ولنا عليكم ألا تستجيبوا بسرعة للشهوة الصحفية فى الحصول على عنوان ساخن.. ولاسيما أننا لاحظنا أنكم خلال أسابيع قليلة قد خضتم فى موضوعات عديدة بداية من تنظيم الأسرة وحتى السفر إلى إسرائيل وعمل المرأة وفوائد البنوك وهى موضوعات نظن أنها بحاجة لوقت أطول فى الدراسة، خاصة إذا كان الأمر يتعلق بمصير بشر وحياة أفراد وحركة مجتمع وسياسة دولة.

لعلكم لم تأمروا بعد بإدراج صفحة خاصة لدار الإفتاء المصرية على شبكة الإنترنت، وأتمنى أن يكون شكى فى أنكم شخصيا لم تدخلوا على الإطلاق على هذه الشبكة غير صحيح. لكننى أظن أن هذا ضرورى قبل التسرع بالحكم على عقيدة هذا النوع من الشباب. ولو فعلت فضيلتكم هذا ودخلت على هذه الشبكة لوجدت عليها ملايين المعلومات عن كل شىء، بداية من الإسلام والمسيحية وحتى عبادة الشيطان..

وحين ذلك سوف تتأكد أن جيلا جديدا يتشكل، أمامه نوافذ مختلفة، وهو فى حاجة لتثقيف داخلى كى لا يتأثر بأى ومضة تنير أمامه فكرة براقة ظاهرها لفت الأنظار، وباطنها الخطورة.

ومن المؤكد أنك لن تتأثر بما على شبكة الإنترنت لأن ثقافتك الدينية قوية بعكس هؤلاء الشباب.. ومن المؤكد أن فضيلتكم لم يسمع موسيقى الروك وبالتالى لم يسمع الديث ميتال والبلاك ميتال وهى أنواع من الموسيقى يسمعها هؤلاء الشباب ويتأثرون بها. ولو سمعت فإنه يمكن أن تعرف لماذا يمكن أن يدفع الشباب دم قلبه كى يحصل على شريط من هذا النوع. ولعرفت كيف يمكن أن يصبح النموذج القدوة أمامهم هو النجم المطرب كينج دايموند وليس فضيلتكم.

إننى هنا أسأل فضيلتكم دون أن يكون هذا طلبا للفتوى: كيف يمكن أن نقنع هؤلاء الشباب بأنه يمكن أن يحققوا ذواتهم وكيف يمكن أن يلفتوا الأنظار إلى أنفسهم بدون أن يلجأوا إلى «لعبة دينية موسيقية» خطيرة.

أتصور أيضاً أنكم مطالبون فى هذا الجدل المثار بإعداد دراسة عن حدود الحرية فى الإسلام، وخاصة أن هؤلاء الشباب- بعضهم على الأقل- يرون أن ما يحدث منهم يدخل فى إطار حرية العقيدة وحرية الإيمان بالأفكار.. فى ظل مجتمع عالمى يؤمن بهذا.

وحتى يتم إعداد هذه الدراسة سوف ألفت نظر هؤلاء الشباب إلى أن العالم لا يؤمن بحرية العقيدة بشكل مطلق، وأن صدمتهم الأخيرة فى المجتمع المصرى ليس لها ما يبررها.. لأنهم لا يعرفون.. ولأنهم ضعاف الثقافة.. ولأنهم لم يقرأوا العهد الدولى لحقوق الإنسان الذى يسمح بحرية العقيدة، والذى وقعت عليه مصر.

هذا العهد، ينص فى الفقرة الثانية من المادة ١٨ منه على: لا يجوز إخضاع حرية الإنسان فى إظهار دينه أو معتقده إلى أشياء ضد السلامة العامة أو النظام العام أو الصحة والآداب العامة أو حقوق الآخرين وحريتهم الأساسية.

وإذا قرأ هؤلاء المادة ٢٠ من عهد حقوق الإنسان سيجدون أنه: تحظر أية دعوة

للكراهية القومية أو العنصرية أو الدينية، أو ماسوف يشكل تحريضاً على التمييز أو العداوة أو العنف.

ومن هنا كنا نقف ضد هذه الأفكار من البداية، وقبل أن ينتبه الآخرون، وقبل أن تنتبه إليها فضيلتكم، ومن هنا فإن هؤلاء لن يجدوا مساندة من منظمات حقوق الإنسان -لأن هذه المنظمات لا تدافع عن حرية إدمان المخدرات، أو حرية قلب الصليب، أو حرية احتقار الأديان.. كما قال عبدالله خليل المحامى عضو مجلس أمناء المنظمة العربية لحقوق الإنسان.

صاحب الفضيلة:

هناك جانب آخر فى هذه القضية من المؤكد أنه يتطلب دراسة منكم ومن غيركم، وهو أن هؤلاء الشباب اخترقتهم أفكار الخرافة والسحر الأسود.. ولعل هناك تناقضًا واضحاً بين شباب يؤمن بالشكل الغربى الحضارى للحياة ثم نفاجأ به يؤمن بالأفكار الميتافيزيقية، والآراء غير العلمية.

وربما لا يعرف فضيلتكم أن مفتاح كل هذه اللعبة يكمن فى قصة السحر الأسود، المترابطة تماماً مع أفكار عبادة الشيطان، وهنا تكمن الخطورة، لأن هؤلاء الذين يذبحون القطط والفئران الآن كان يمكن أن يصل بهم اللعب إلى حد قتل الإنسان، كما تنص على ذلك بنود هذه العقيدة الغبية.

ذلك أن قلب الصليب هو إحدى علامات السحر الأسود التى تعنى محاولة أكبر للتقرب من الشيطان كى يساعد المتقرب إليه فى تحقيق أغراضه، والنجمة الخماسية هى أحد الرموز الأساسية المستخدمة فى هذا النوع من السحر، وحين تجد شاباً من هؤلاء يسير دائماً وهو يحمل خنجراً فإن هذا يعنى أنه فى طريقه لهذا السحر، لأن هذه الأفكار تحرم الأسلحة النارية، وحين يتحدثون عن ابنة الشيطان فإن لهذا نفس المعنى.. ومن المؤكد أن هؤلاء الشباب لم يصلوا إلى هذه الأفكار إلا لأن المجتمع نفسه يؤمن بالخرافة، ولأن هناك عشرات من الكتب الدينية الإسلامية تهاجم هذا

السحر وتفيض فى شرح تفاصيله، بينما هى فى الواقع تروج له، ولأن عديداً من مشايخ عصرنا هذا أصدروا فتاوى يؤكدون بها وجود هذا السحر.. فلماذا نلوم هؤلاء إذن إذا كان رب البيت بالدف ضارباً.

ولعل رجال الدين المسيحى لن يفاجأوا حين يسمعون عن إيمان هؤلاء الشباب بالرقم «٦٦٦» على أنه رقم الشيطان، إذا ما راجعوا تفاسير موجودة فى الأسواق تؤكد هذا، وتشير إليه بوضوح، ومن هنا أخذها الشباب، وطوروها، وجعلوا منها فى بعض الأحيان رقم تليفون الشيطان.

لعلكم الآن قد اقتنعتم بأن هذه ليست مشكلة هؤلاء الشباب وحدهم، وإنما مشكلة الجميع.. ولعلكم تذكرون الآن ما حدث فى مصر فى بداية السبعينيات، حين كان فضيلتكم شاباً صغيراً، وكان رفاق جيله حديث المجتمع لأنهم يقلدون «الخنافس» ويؤمنون بأفكار الهيبز، ويقيمون حفلات موسيقية ماجنة، ويدقون الوشم ويمارسون تقاليع من نفس النوع الحالى.

وقتها يا فضيلة المفتى، كما تذكرون، لم تقبض أمن الدولة على الشباب، ولم يصدر المفتى تصريحاً صحفياً يطالب بتطبيق حد الردة عليهم، وإنما ناقشتهم الصحف، وجادلتهم، وردت عليهم، وانتهى الأمر بمضى الوقت.

ويؤكد الجميع، وتذكرون، أن المجتمع وقتها كان فى حالة حرب، وأن الشباب كان يعبر عن غضبه بطرق مختلفة، لكن الدولة ورجال الدين كانوا أهدأ.. وهو شيء أحق أن يتبع فى عصر السلام، وفى سنوات نتحدث فيها عن الحرية، ويمكن أن نمارس فيها النقاش بطريقة الأمن، ودون أن نلجأ إلى حد الردة، ثم نقطع الإصبع التى تؤلمنا بتصريح صحفى..

■ ■

ومن المثير فى الأمر أن المفتى نصر فريد واصل سرعان ما وجد نفسه وحيدا فى

هذا الخندق الذى اختاره.. خندق تطبيق حد الردة.. ذلك أن الكتاب الذين يعتبرون مؤيدين للتيار الدينى هاجموه.. ولامه فهمى هويدى فى مقال بالأهرام لأنه طالب بتطبيق الحد على هؤلاء. بل إن مصطفى مشهور المرشد العام للإخوان اعتبر أن المشكلة تربوية واجتماعية فى الأساس. وقال فى مقال نشر له بجريدة الشعب يوم ٤ فبراير ١٩٩٧ أن الأسرة تتحمل مسئولية كبيرة وكذلك الدولة التى زعم - أى مشهور- أنها تحارب الدين.. وأضاف: «المفروض أن يعكف أهل الاجتماع والتربية على دراسة الظاهرة». لكنه لم يطالب أبداً بتطبيق الحد عليهم.

من جانبه تعامل الإمام الأكبر الشيخ طنطاوى مع القصة برمتها بروح مختلفة.. روح سمحة.. وطالب بأن يؤدب هؤلاء الشباب..ليس بالسجن.. ولا بتطبيق الحد.. وإنما بأن يخشنوا.. «فهم اعتادوا حياة ناعمة.. واقترح أن يرسلوا إلى خدمة التجنيد فى الجيش».

رجل دين آخر، هو فقط الذى اختار أن يدخل نفس الخندق مع المفتى ولكن بطريقة خاصة.

ليسوا ضحايا

البابا شنودة الثالث، بطريرك الأقباط الأرثوذكس، كان فى هذه القضية حاداً وساخناً على غير عادته الهادئة فى القضايا العامة.. وراح يهاجم هؤلاء الشباب ويقول: إنهم يقولون أنهم ضحايا.. ضحية من.. إننى أطالب لهم بأشد العقاب.

لقد قال البابا فى حوار مع سناء السعيد يوم ٢٨ يناير بجريدة الوفد: «هذه ليست حرية وإنما هى عبودية الإنسان للأرواح الشريرة. وما حدث هونوع من محصلة الفساد والضياع بعد أن انتشر الإلحاد فى كثير من البلاد.. ولهذا رفع هؤلاء الملحدون «شعار» أن السماء لله وللعصافير أما الأرض فهى لنا».. وراح البابا أيضاً يغرق فى هجوم على الجنس الجماعى الذى تصور أنه يحدث فى مصر. وقال: إن الكثيرين فى

مصر وقعوا تحت عقوبات شديدة ولم يكن لهم نفس الجرم. وأضاف: إننى فى انتظار أن يصدر حكم القضاء ضد هؤلاء الشباب.

■ ■

لقد ارتكب البابا نفس خطأ المفتى ولم يلتمس للشباب أى مبرر ولم يحاول أن يفهم أسباب الظاهرة.. وربما كان سبب اندفاعه هو أن الكنيسة فى العالم كله تعانى من هؤلاء.. وأن المصدر الأصلى للفكرة الحالية مسيحى.. وربما شعر بأن المسيحية هى المستهدفة لاسيما أن شعار هؤلاء هو رفع الصليب مقلوباً.. وربما كان فى نفس الوقت يوجه رسالة إلى جماعات مسيحية منحرفة عديدة موجودة فى مصر تعانى منها الكنيسة. لكنه بدوره تجاوز فى تحذيره إلى أبعد مدى.. دون أن يدرك خطورة ما يقوله.. ولقد كان من الطبيعى أن تستفز هذه القضية المسيحيين، ومشاعرهم ولكن ما هى ارتباطات المسيحية بهذه الأفكار الغريبة؟.. ولماذا ذهب الجميع إلى الحديث عن بابا أسود وإنجيل أسود وكنيسة سوداء.. وما هى قصة هذا الرجل الذى يقدم نفسه بديلاً لكل رجل دين مسيحى فى العالم؟

الإنجيل الأسود

أنطون لافى هذا هو الذى سمى بالبابا الأسود وهو الذى وضع مجموعة الأشياء التى يطلق عليها اسم «الإنجيل الأسود» وهو عبارة عن وصايا وقواعد تحدد فكر هذه العبادة بدقة، وتؤكد فى الواقع أنه لا توجد ديانة إنما يوجد دستور للعنف والدعارة.

والجزء الأول يمثل دستور الديانة، وهو مكون من ٩ عبارات. نصها كما يلى:

١ - الشيطان يمثل الانغماس فى اللذة بدلا من التقشف.

٢- الشيطان يمثل الوجود الحيوى بدلاً من الأحلام الروحية المحدودة.

٣- الشيطان يمثل الحكمة غير الملوثة مقابل خداع النفس الزائف.

٤- الشيطان يمثل العطف على من يستحقه بدلاً من الحب الذى يمنح للجاحدين.

٥- الشيطان يمثل الانتقام بدلا من إدارة الخد الآخر للضارب.

٦- الشيطان يمثل المسئولية للمسئول بدلاً من الاهتمام بمصاصى الدماء.

٧- الشيطان يمثل الإنسان، مثل أى حيوان آخر، أحياناً يكون أفضل من الحيوانات، وأحياناً يكون أسوأ من التى تمشى على أربع، وذلك لأنه باهتمامه بالروحانيات الإلهية أصبح أكثر الحيوانات وحشية.

٨- الشيطان يمثل كل ما يسمى بالخطايا. حيث إنها تقود إلى الإشباع المادى والجسدى والمعنوى.

٩- الشيطان هو أفضل صديق للكنيسة، حيث إنه هو الذى جعلها تعمل طوال هذه السنوات.

هذه الجمل هى فكر عبادة الشيطان، وهى نقيض كامل لكافة الفضائل والنصائح الإنجيلية، وتمثل رداً عليها، يحض على العنف بدلاً من السلام، وعلى الانغماس فى المادية بدلاً من الروحية، وعلى الانتقام بدلاً من كظم الغيظ.. إنها باختصار نقيض أى مبدأ دينى وليس المسيحية وحدها.

وبشكل عام فإن أفكار هذا البابا الأسود وكنيسته الكلامية وإنجيله البديل تتضح أكثر إذا ما قرأنا بقية تعاليم «لافى» لأتباعه، وهى مكونة من ١١ نقطة نصها كما يلى:

١ - لا تعط رأياً أو نصيحة ما لم يطلبها منك أحد.

٢ - لا تحك مشاكلك للآخرين إلا إذا تأكدت أن الآخرين يريدون سماعها.

٣ - عندما تكون فى عرين إنسان آخر أظهر احترامك له، وإلا فلا تذهب له أصلا.

٤ - إذا ضايقك زائر فى بيتك فعامله بوحشية وبدون رحمة.

٥ - لا تقدم على ممارسات جنسية حتى تتلقى الإشارات.

٦ - لا تأخذ ما لا تملكه إلا إذا كان يثقل على شخص آخر وتوسل إليك أن تخلصه منه.

٧ - ستعرف قوة السحر جيداً إذا وظفتها بنجاح للحصول على رغباتك، ولكن إذا أنكرت هذه القوة السحرية بعد نجاحها معك سوف تفقد كل ما حصلت عليه.

٨ - لا تشك من أشياء تريد الحصول عليها للغير، لا لنفسك.

٩ - لا تؤذ الأطفال الصغار.

١٠- لا تقتل الحيوانات غير البشرية إلا إذا هاجمتك أو كنت تحتاج الطعام.

١١ - عندما تمشى فى منطقة ما لا تضايق أحدا، وإذا ضايقك شخص ما فاطلب منه أن يتوقف عن ذلك، وإذا لم يتوقف فعليك بتدميره.

إنها وصايا أنانية، انتهازية، تدعو للعزلة، والعنف، وتقول أن الإنسان حيوان، وتؤيد الخرافة، وتروج للسحر، وهى بالإجمال تؤكد المعنى الأول الذى أشرنا إليه وهو أنها نقيض أى دين.

ولكن الطريف هو أن «أنطون لافى» حاول أن يجعل منها دينا، ولأنه كان دائماً ما يسأل عما إذا كان لعابد الشيطان أى ذنوب فإنه اخترع مجموعة من البنود قال إنها «ذنوب» لا يجب على عابد الشيطان أن يرتكبها، وفيما يلى نصوص هذه الذنوب:

١ - الغباء يجب على كل أعضاء المجتمع الشيطانى أن يتجنبوه.

٢ - الادعاء، حيث يجب أن يتخلص الشيطانيون من الشخصيات الفارغة والجوفاء والأنا المتضخمة.

٣ - خداع النفس، لا يجب على الشيطانى أن يقع فيه.

٤ - يجب أن يخرج الشيطانى عن رغبات الجماعة، وأن يكون متفرداً، وألا ينساق للرغبات العامة.

٥ - يجب على أى شيطانى ألا يفقد اتجاهه وألا ينسى من هو وأين هو.

٦ - عدم نسيان الماضى التقليدى لأن الذكرى هى المفتاح لفصل رؤوس الناس حتى يتقبلوا أشياء مثل الجديد والمختلف الذى يقدمه لهم الشيطانيون.

٧ - يجب تجنب الغرور غير المنتج لأن الغرور شيء عظيم حتى نقطة معينة لكن إذا هو صوت في الركن وطلب منك الاعتذار أوتقديم بعض التنازلات فافعل ذلك.

٨ - الإحساس بالجمال شعور شخصي خالص، وانعكاس لطبيعة الشخص، إلا أن هناك متعاً وتوافقات كونية يجب على الإنسان ألا يتجاهلها على الإطلاق.

ملحوظة: «كل هذه التعاليم الملعونة مدونة على الإنترنت، وقد نقلت ترجمتها عن إيهاب الزلاقي في جريدة الدستور بتاريخ ٢٩/ ١/ ١٩٩٧».

عبادة الجنس

أنطون لافي، مرة أخرى، لم نزل معه، ذلك أننا تحدثنا عن أفكاره ولم نرصد قصته بعد.. لقد كان عمره ١٦ عاماً حين بدأ الدعوة لعبادة الجنس، وأتقن الشعوذة والسحر.. ثم أعلن تأسيس كنيسة الشيطان.. ومارس من خلالها كل طقوس الكنائس.. بداية من الزواج وحتى دفن الموتى.. على اسم الشيطان. وتحت صليب مقلوب يحاول من خلاله الإيحاء بانتكاسة المسيحية.

يقول لافي في كتابه «الشيطان» الصادر عام ١٩٦٩: «لقد رأيت الشر والظلم يعمان العالم فعلمت أن صانع العدل ليس موجودا، وأن الوجود لصانع الظلم وحده، ومن هنا أخذت أنظم عبادته وأدرس كيف نقيم معابد ليسبح الناس بحمده -صانع الظلم-، ويقدسوا صفاته ويلتمسوا بركته».

ولقد انفرد لافي بطقوس تسمى مرة القداس الأسود، ومرة تسمى القداس الأحمر، تقام في منتصف ليالٍ محددة، تقدم فيها الأجساد لبعضهم البعض.. حيث تتقدم إحدى العابدات التي توصف بالطهارة، وهي غارقة في روائح عطرية جميلة، وتستلقي على المذبح عارية، تمثل الأرض، الأم الأولى للإنسان، وتوضع على كل فخذ لها شمعة من دهن طفل.. ثم تطفأ أنوار المعبد وتضاء شمعتا المذبح.. ويمتنع المصلون عن الكلام والتدخين ويقرع الكاهن الجرس إشارة إلى الاستغاثة بإبليس. ثم

يلمس العضو التناسلى لأحد العابدين بصفته رمز الخصوبة والرجولة ليبارك بين أطراف الدنيا الأربعة.. ويقرأ الكاهن ما يؤجج الشهوات. «مثلا قصة شخص تعلق بغرام واستبد به هيام».

فى اللحظات التى باركها الشيطان إلى الجنس يتقدم القس لافى فيخلع ما تبقى من ثيابه ليلتمس البركة الكامنة بين شمعتى المذبح ويتبعه العابدون وما أن يتم التماس النور القابع بين الشمعتين، حتى يعلق القس على فضائل الجنس ويهاجم المتبتلين والمسترجلات، ويدعو للسحاق واللواط، ويبارك الأفعال الجنسية للعابد مع من يشاء ويرى أن تلك الأفعال هى أبرز مظاهر الرجولة.. ثم تطفأ شمعتا المذبح. ويعود نور الكهرباء.. ليستأنف القس حديثه: على الناس أن يمنحوا أجسادهم حقها من الشهوات فهى تكمل شخصيتهم وتدفع عنهم داء الكبت والتعقيد النفسى، فما أبهى الكون لو سادت فيه الحرية، فشبع سكانه وتحرروا ونجحوا فى أعمالهم..إذ لا يستطيع الفنان مثلاً إجادة وإتقانا إلا إذا أشبع جسده من حظوظه، لأن الشخصيات التى أشبعت شهواتها .. وأطاعت نزواتها هى وحدها البالغة قمة المجد.

ويضيف لافى: إننا نعتبر حرمان النفس ظلما، لأن القدرة على الجنس والتفوق فيه يعبدان طريق الظفر ويخلقان إنساناً ذكياً عاقلاً عبقرياً.. فالجنس محبوب لدى الشيطان، والأديان تحمل الناس على الموت شبابا فالقضاء على الشهوات قضاء على الحياة.. إن الشهوات غير المحدودة تطلق من سجن الأديان، وتمتع بأبهى الرياضات وتحرر الناس من مستنقعات الكبت والحرمان، وبها يدركون أن مبادىء رائدة تصعد بالمؤمن بها درجات الجنس ليبلغ بها حد الكمال، فالناجحون فى حياتهم هم الفائزون برضى الشيطان، وإن لم يعرف سواد الناس المحرومون من هذه الحقيقة!!!

ولا يكاد لافى ينهى حديثه حتى يمهد لحضور إله الجنس بنفسه، ليبارك الحفلة التى بلغت قمة الشبق!

وبعد استراحة قصيرة يردد فيها المصلون ابتهالات للشيطان يطرق القس جرس

المعبد إشارة إلى استئناف النشاط قائلاً: من المعلوم أن الشيطان صاد الإنسان الأول وزوجته بشباك الجنس، وما علينا إلا أن نتخذ عمله قدوة، ونتقرب له، لننقذ الناس من ظلمات الأديان، وبهذه الوسيلة نفسها، ولأن التيس هو أقوى الحيوانات على خوض معركة الحيوانات معركة الجنس فقد اختير رمزاً لإله الجنس.

ثم يتخيل العابدون حضور إلههم التيس ذى القرون الخمسة ليبارك القداس الأسود.

ويفسر لافى هذه الظاهرة بقوله: إن قرنين من قرون الإله التيس ضد الإنسانية.. أما القرون الثلاثة الباقية فهى ضد الثالوث.

ويقرأ لافى عليهم وصايا الشيطان: - اللعنة على عابدى الله. - اللعنة على من يفعل الخير للآخرين. - اللعنة على من يكف الشر عنهم. - اللعنة على المعرضين عن عبادة الشيطان. - اللعنة على من يرمون الناس بسهام الكبت. - اللعنة على من ينتظر حياة أبدية. - الأرض لعباد الشيطان يمتلكونها ويسودونها. - يجب الكفر بكل ما آمن به الناس. - يجب اجتناب الكذب الذى تغرسه الأمهات فى الأطفال. -الشرائع من الإنسان ويجب تدميرها.

ويبرر لافى مؤلف كتاب الشيطان موقفه هذا : الإله يتخيله الناس موصوفا بالرحمة والغفران وهذا ما يحملهم على عبادته واسترضائه، والواقع هو أنه راض دون استرضاء وليس من الضرورى أن نكلفه مشقة العفو [أستغفر الله العظيم] إذ ما على الناس -وهم من الأرض وإليها- إلا عبادة إله الأرض الشرير المحيط بهم المهيمن عليهم المتحكم بمصائرهم، إذ هو وحده يمنح عابديه حباً وعطفاً واطمئناناً. هو ملك الجحيم الأعلى وصاحب اسم الغضب، وسيد الكون، ورئيس العالم دون منازع، وما على الناس، كل الناس إلا أن يحذروا كيده ويخشوا نقمته ويكتسبوا صداقته، ليفوزوا بعطاياه.

ثم يتساءل لافى فى كتابه:

أين الله؟ وإن كان موجوداً فلماذا يسمح بالظلم؟ أمراض؟ زلازل؟ فيضانات؟ حيوانات مفترسة؟ مخلوقات مزعجة؟ لماذا يعذب قوما خلقهم وخلق الشر بيدهم؟ فالبلاء الذى يصيب الناس مصدره الله نفسه، ورغم ما يوجهه للناس من سهام وكوارث يصف نفسه برحيم غفور! يضر الناس مستترا بالرحمة، وما عليه إلا اتخاذ موقف محدد: إما إله يتمتع برحمة، تحول دون الأذى، أو إله يتصف بالغدر الصريح، وإذا كان رحيماً حقا فلاينبغى أن يغضب إذا تجاوز الناس وصاياه. والواقع أنه لا حاجة له، إذ هو ليس موجوداً فعلا، لكن الإنسان أوجده!

بهذا المنطق فازت عبادة الشيطان باعتراف فى شيكاغو وكاليفورنيا وألمانيا وبريطانيا وفرنسا.. وظهر يواخيم درسن الألمانى وأنشأ حزبا فى مدينة هامبورج سماه (حزب الجنس).

وجعل شعاره (حياة دون ممنوعات) واستخدم مجلته فى المطالبة بالحرية الجنسية وتدريسها للصغار ذكوراً وإناثاً كى ينشأوا على الزواج المشاعى (عدة رجال بعدة نساء مع التبادل) ثم أضاف الشذوذ بنوعيه اللواط والسحاق بل جاء بجديد وهو دفع النساء لممارسة الجنس مع حيوانات.. وبرر ذلك تبريراً أوسع وأشمل من تبرير لافى.. فقد رأى أن الألمان محرومون من مطالب الجسد وأن الكبت كان وراء الحرب العالمية الثانية.

■■

هذا هو الجانب المسيحى الذى روج للفكرة، وخلقها، ولكن ـ على جانب آخر ـ هناك أصل إسلامى، نابع من فكر جماعة اسمها اليزيدية،آلاف من أتباعها يعيشون الآن فى شمال العراق وشمال سوريا وجنوب تركيا.. أغلبهم أكراد.. يعبدون أيضا الشيطان.. ولكن ليس لديهم إنجيل أسود.. وإنما مصحف أسود.. اسمه «مصحف رش».. وهم يؤمنون بوجود ملاك اسمه ملك طاووس، يظنون أن الله تنازل له عن مسئولية إدارة الكون ـ أعوذ بالله ـ ولديهم فى هذا الإطار أفكار جاهلة متخلفة.. تبدأ

من رفض أكل الخس والكرنب ولحم الديك ولاتنتهى بالغرق فى إقامة علاقات جنسية إباحية.. لكن هؤلاء لم يكن لهم أدنى تأثير فى الأفكار الشيطانية التى ظهرت على الساحة فى نهاية القرن العشرين.. لأنهم بالفعل انقرضوا.. ولأن عددهم قليل.. ولأنهم لايجذبون الشباب.. ولأنهم لايروجون لأفكارهم فعلا.. ولأنهم لايجذبون الشباب.. ولأنهم لايروجون لأفكارهم بالموسيقى.. إنهم في الواقع جماعة منهية.

■ ■

هذا هو الأصل النابع من الثقافة الإسلامية للفكرة وبالتالى فإن مراجعة الأصلين الغربى والإسلامى يشير إلى أن ما حدث فى مصر كان صورة قشرية بعيدة كل البعد عن هذين الأصليين.. والواقع أننى أصر على أن الذى حدث فى مصر لم يكن عبادة الشيطان.. بقدر ما هو لعبة دينية موسيقية خطرة.. وبقدر ما هو غرق تام فى الغيبيات.. وبقدر ما هو اقتناع بالسحر الأسود قبل أن يكون إيماناً بعبادة الشيطان. لهذا سوف أروى قصة أخرى من أوربا، وتحديدا من بلجيكا، سوف نرى من خلالها عمق الارتباط الواضح بين هذه اللعبة الخطرة والقذرة، وبين هذا النوع السيئ من السحر.

فضيحة كبرى

«شبكة غامضة».. ذلك هو الوصف الذى أطلقته الصحافة المحلية فى بلجيكا، وانتقل إلى الصحافة العالمية، حول هؤلاء الذين خطفوا مجموعة من الأطفال، ومارسوا مجموعة من الطقوس الغريبة والمثيرة.. لقد أصاب الهلع البلجيكيين عندما اكتشفوا أن حوادث اختفاء الأطفال ما هى إلا جزء من فضيحة كبرى مرتبطة بطقوس شيطانية تجمع بين الشعوذة والقرابين البشرية. وراءها عصابة من سارقى وتجار الأطفال تعمل منذ سنوات، يخطفون هؤلاء الأطفال من أهاليهم.. أو يُصنعون وفق الطلب لدى عائلات يتم اختيارها بدقة، وتقوم ببيعهم فور ولادتهم إلى أتباع المذاهب الشيطانية.

هكذا سقط عشرات الضحايا فى شباك هذه المجموعة، ومات العديد منهم، وإن

كانت الشـرطة قد عثرت على ثـلاثة أطفال منهم أحـياء، أدلوا بشهادتهـم أمام جهات التحقيق كما قالت وكالة رويتر فى تقرير نشرته صحيفة «الأنوار» اللبنانية فى يوم ٣١ ديسمبر ١٩٩٦.. وقد أضافت: «إن أسماء هؤلاء تحاط بالكتمان، لاسيما بعد أن تلقوا تهديدات بـالقتل، وهى التـهديدات التى تلـقاها أيضاً المحقـقون وبعض الصحـفيين الذين فرضت عليهم أعمالهم أن يتعاملوا مع القصة المرعبة».

لقد قـال الأطفال للـمدعى العـام فى بلدة «نـوشاتو» أنهـم تعرضوا لأقـسى أنواع التعذيب والعنـف، من خلال طقوس سرية. وفى ضوء هذا تم تفتيـش مركز للسحر الشيطـانى اسمه «ابراساكـس» فى منطقة فـورشى لامارش.. وتمت مصادرة حـمولة ست شـاحنـات من المواد والمـعدات التـى شمـلت أدوات تسـتخدم فـى الطـقوس، وأجهزة كومبيوتر وجماجم بشرية وثلاجة تحتوى على أوعية مملوءة بالدماء البشرية.

التحـقيقات التـى تمت حول هذا كان خـيطها الأول عبـارة عن رسالة موجـهة إلى شخص فى العصـابة يطلب صاحبها منه التـفكير فى هدية إلى كبير الـكهنة.. وفضلاً عن هذا تم العثـور على وثيقة بها ١٨ تـاريخا للتقويم الـشيطانى.. وتقول الوثـيقة أنه: «يجب العثور علـى ثمانى ضحايا من الإناث تتراوح أعمـارهن بين سنة واحدة و٣٣ سنة، وتوفير ضحيـة بين ١٥ و ٣٣ سنة كى تقدم كقربان فى عيد مـن يسمى بالقديس وينبالد».

وقالت صحيـفة «لواسوار» البلجيكيـة أن كل الوقائع التى تم الكشف عـنها كانت معروفـة منذ فتـرة. نحو شهريـن قبل انفـجار الفضـيحة.. ولكن الـصحافة الـتزمت الصـمت لصـالح التـحقيـق.. وأضافت: «إن هـذا لم يـكن كابـوسا، ولكـن الحقيـقة المروعـة، تعرض خلالـها الأطفـال للاغتصـاب والتعـذيب والاغتـيال.. وأحياناً كان يحدث هذا أمام كاميرا تسجل الأحداث المرعبة».

أسبوع قتل الأطفال

جون أنكـر برج وجون ولدون.. بـاحثان أمريـكيان تنـاولا هذا الموضوع أيـضاً فى كتاب هام، ترجم فى مصر تحت اسم «الظلـمة الآتية على العالم»، وقد صدر عن دار لوجس لـلنشر. وهـو كتاب هام لـلغاية، نـفدت طبعـته الأولى بسـرعة فى بدايـة عام

۱۹۹۷، لكن الكثيرين لم يعرفوا عنه شيئاً.. لأنه كتاب اقتصر توزيعه على الكنائس ودور النشر والتوزيع المسيحية، خاصة أن التى أصدرته دار نشر من هذا النوع الذى يهتم بالثقافة المسيحية.

والكتاب يروى تفاصيل عديدة عن جماعات عبادة الشيطان فى الولايات المتحدة، لا سيما فى فصله الخامس «عبادة الشيطان فى الغرب». وفى هذا السياق اختار المؤلفان أن يتصدر هذا الفصل نص مفقود عن شاهد عيان لعبادة الشيطان فى مدينة «كاهانير». حيث سأل الشاهد رئيس كهنة عبادة الشيطان فى هذه المدينة: هل تقدمون ذبائح آدمية؟.. فأجابه: نعم.. معظمها من الأطفال. وسأله مرة أخرى: أين تقدم الذبائح؟ فأجاب بدوره: فى البيوت.. والغابات.. وهناك ثلاث مجموعات من الحراس. الأولى توقف الناس الذين يقتربون من هذه البيوت ويقولون لهم أنهم فى ممتلكات خاصة لا يجب عليهم السير فيها. والمجموعة الثانية تطلق النار على الذين يقتربون من هذه البيوت لترويعهم ولتجعلهم يهربون من هذا المكان. وأما المجموعة الثالثة فهى تقتلهم إذا اقتربوا من البيوت رغم كل هذه التحذيرات.

ويروى المؤلفان فى كتابهما «الظلمة الآتية على العالم» معلومات عن كتاب تم تهريبه من سجن أمريكى لشخص اسمه «بيتر هاينزج» عنوانه «التركيب البنيوى للسحر» فيه معلومات أخرى عن الذبائح الآدمية.. تقول: «منذ سنوات عديدة مضت كان هنا شخص اسمه بيكوت عمل عهداً مع الشيطان بأن ذبح طفلاً ثم أكل قلبه. ومن عام مضى وفى نفس المدينة أراد ساحر اسمه دايان أن يحصل على خدمات من الشيطان فذبح له طفلاً عمره سبع سنوات، ثم امتص دمه من مكان الذبح مباشرة.

ويقول المؤلفان: اليوم توجد عشرات الكتب التى تقدم الدليل على أن عبادة الشيطان أحكمت قبضتها على أمريكا. ومنها كتاب جيرى جونسون: «نشأة عبادة الشيطان فى أمريكا الشمالية ـ ۱۹۸۹». وكتاب مارك بويك: «الصحوة الشيطانية ـ ۱۹۹۱». وكتاب «آرثر ليونز»: «الشيطان يريدك ـ ۱۹۸۸». وكتاب بوب لاسون: «عبادة الشيطان ـ ۱۹۸۹».

والكتاب قبل الأخير تردد اسمه بين بعض الشباب فى مصر قبل أن يلقى القبض عليهم.

ويقول الدكتور «كارل راشكن » من جامعة هارفارد. وهو متخصص فى الأديان الوثنية وهو أيضا مؤلف كتاب «القصة الحقيقية لعبادة الشيطان»: «هذه العبادة تزدهر فى الوقت الحاضر فى كل مدينة أمريكية وفى أوربا أيضا، وتأوى الولايات المتحدة المنظمة التى تنشر عبادة الشيطان فى العالم».

إن المؤلفين بعد هذا يرصدان نقلاً عن أحد أفراد البوليس السرى فى لوس أنجلوس، العلاقة الوطيدة بين أسبوع عيد القيامة وجرائم عبادات الشيطان، فمن يوم أحد السعف حتى يوم عيد القيامة يكون ذلك هو أسبوع قتل الأطفال الصغار. «فقد قالت لنا إحدى السيدات أنها رأت فى هذا الأسبوع ستة أطفال صغار مقتولين». ويضيف المؤلفان : هذه الجماعات لا تخطف الأطفال لتقديمهم ذبائح للشيطان فحسب، وإنما تلجأ أيضا لحيلة أخرى عن طريق أطباء أمراض النساء الذين يولدون الأمهات ثم لا يكتبون شهادات ميلاد للأطفال، ولذلك فإنهم حين يقدمون هؤلاء الأطفال للشيطان يقتلون أطفالا غير مقيدين فى سجلات الحكومة.

ولكن لماذا يقدم هؤلاء الذبائح الآدمية؟

الإجابة على لسان مؤلف كتاب فنون السحر الأسود الذى يقول: إن تقديم كائن بشرى كذبيحة يكون له تأثير أكبر بسبب المقاومة الكبيرة التى تحدث. ومع أن هذا النوع من الذبائح غير مرغوب فيه إلا أن هناك عرفا يقول أن أكثر الذبائح أثرا على الشيطان هى الذبائح البشرية.

وفى كثير من الأحيان لا يجد هؤلاء ذبائح آدمية ليقدموها، ومن هنا فإنهم يلجأون لتقديم الذبائح الحيوانية. أو أن يجرح أحد هؤلاء نفسه أو أحد مساعديه. وإذا ارتبط تقديم الذبيحة بإطلاق الطاقة الجنسية عند هزة الجماع فإن هذا يضاعف من قوة الساحر.

«سوف نلحظ أهمية هذا الكلام حين نراجع مجددا ما قاله أحد المتابعين لهذه الجماعات فى مصر حيث رصد فى موضع متقدم من هذا الكتاب قيام بعضهم بجرح كفوف أيديهم أثناء ما سمى بصلاة الشيطان فى صحراء سقارة. ملحوظة للمؤلف».

إذا عدنا للكتاب مرة أخرى ـ «كتاب الظلمة الآتية على العالم» ـ سوف نجد أن المؤلفين يتحدثان عن أن هناك أسبابا مختلفة لتقديم الذبائح الآدمية فى عبادة الشيطان، فهى تكسب هؤلاء قوة متزايدة من الحصول على أجزاء بعينهـا من الجسم البشري.. إنهم يعتقدون أن الرأس يحتوى على الروح. ويعتقد البعض أنه إذا نام عدة أسابيع مع هذا الرأس فإنه يمتص قوة هذه الروح. ويظنون أن القلب يحتوى على النفس فيأكلونه كى يحصلوا على القوة. ويؤمنون بأن الشمعة التى تصنع من دهن طفل رضيع غير معمد لها قيمة كبيرة.. فى هذا السياق يتحدث الكتاب عن وقائع مختلفة فى أماكن عديدة من العالم.. يتحدث عن «لوريان فيثفور» الأسترالية التى كانت تنتمى لجماعة من هذا النوع ، وروت لصحيفة «مبلورن أوبزرفر» قصتها، وكيف كان فى بيتها لوحات وكتب عن الشيطان، وكيف أدمنت الماريجوانا، وكيف كانت تظن أنها ابنة الشيطان، وكيف اشتركت فى الطقوس الغريبة ، وكيف كان هدف الطقوس دائما إحداث الضرر بالآخرين.. وكيف أن قصة هروب هذه الفتاة من تلك الجماعات قد انتهت بأن حاولت الانتحار مراراً، ثم نجحت فى المرة العاشرة حين تعاطت كمية رهيبة من أقراص المخدرات.

إن الكتاب أيضا يتحدث عن صحفى إنجليزى اسمه سيرجى كان يعد كتابا مصوراً عن السحر الأسود، وجد نفسه هو وزوجته فى غرفة تقام بها طقوس للشيطان، حيث قيل لهما أن يركعا ويقسما أن يكونا من أتباع الشيطان إلى الأبد، ووقعا بالفعل على عقد مع الشيطان مكتوب بدمائهما. وبعدها رحب رئيس كهنة الشيطان بهما رسميا ومنحهما بركته بأن وضع يده على أعضائهما التناسلية.

إن سيرجى روى فى كتابه ـ نقلا عن كتاب «الظلمة الآتية على العالم» ـ كيف تم إحضار تمثال من الشمع لرجل أعمال معروف، ثم تم طعن التمثال بسكين فتدفق سائل أحمر منه على جسد فتاة عارية ممددة على المذبح. وكيف رأى أعضاء الجماعات يشربون دم طائر مذبوح.. ثم كيف عرف فيما بعد أن هذا الرجل ـ صاحب التمثال ـ قد مات بطريقة غريبة.

ويحكى الكتاب قصة عابد آخر للشيطان تكشف عن الأسباب التى تدفع هؤلاء لمثل هذه العبادة.. إذ قال: «إن هدفى هو الحصول على القوة، وعلى كل شىء يتمشى مع هذه القوة، مثل النساء والمخدرات والمال والعنف».

ويروى كيف اعترف شاب بأنه قتل أباه وحاول قتل أمه عندما كان فى السابعة عشرة من عمره. وأن حكايته مع هذه العبادة بدأت حين كان فى الصف الرابع الابتدائى.

إنه أيضا ـ أى الكتاب الذى ننقل عنه ـ يروى حكاية المدرس جوى تشايلدرس الذى كان عضوا فى هذه الجماعات منذ صغره، وحتى بلغ الحادية والعشرين من عمره. وكانت كل عائلته من هؤلاء. وكيف اشترك فى طقوس اغتصاب الفتيات وطقوس تقديم ذبائح من الأطفال ومن الكلاب وطقوس أكل لحم البشر والبراز والقىء والبول وطقوس شرب دم الإنسان والحيوانات. وكيف اشترك فى طقوس الحصول على القوة من خلال الرعب الذى ينتاب طفلاً عندما يموت جوعا أو رعبا من جراء عملية اغتصاب. وكيف كان الطفل يقتل بالطعن بسكين فى قلبه حين كان يغتصبه أحد أفراد الجماعة. والغرض هو الوصول إلى ذروة الاتصال الجنسى فى وقت القتل من أجل القوة.

فى سياق آخر ينتقل الكتاب إلى الحديث عن أن هناك أنواعاً مختلفة من عبادة الشيطان: كل طائفة وكل جماعة تختلف عن الأخرى.. وهناك أنماط مختلفة من هذه العبادة.. بعضهم متحمس وبعضهم متعصب وبعضهم هواة.. ولكل جماعة درجة معينة من السرية.. ولكنهم جميعا يتفقون فى ثلاث نقاط.. هى:

ـ كل فرد من أعضاء هذه الجماعات اختار لنفسه أن يكون حاقدا على المجتمع، ومنحرفاً وشريراً.

ـ كل منهم يتورط فى الشر والضلال.

ـ كل منهم يرفض الله ، ويتملق الشيطان ويعبده.

إن تلك هى بعض ملامح الصورة كما رسمها كتاب أمريكى هام.

الطقوس السوداء

محمد فهيم، إنه الشخص الذى نعود معه مجدداً إلى أحداث مصر، شاب في منتصف العقد الرابع من عمره، جاءنى بنفسه، تصحبه سيدة عجوز، بعد أن قرأ ما كتبته عن الظاهرة فى مصر.. وقتها عرف نفسه بأنه فنى تبريد، ولكنه مهتم بهذه الأمور.

لماذا؟

«لأننى تعلمت السحر حين كنت فى نيجيريا، فى رحاب قبيلة بدائية، وحين عدت إلى مصر قرأت كتبا كثيرة حول هذا الموضوع.. ومن هنا أدرك أن ما تكتب عنه ليس عبادة للشيطان.. وإنما هو سحر أسود».

هنا أخرج محمد فهيم قلما وأخذ ورقة، ومضى يرسم ما يؤكد معنى كلامه.. وقال: «أليست هذه هى النجمة الخماسية التى تقول أنهم يستخدمونها.. إنها ليست مجرد نجمة عادية.. ولكنها نجمة تستخدم فى السحر الأسود.. لكل رأس من رؤوسها معنى.. ولكل رأس اسم حبه.. وكل رأس يعبر عن يوم محدد لممارسة الطقوس. والذى أكد لى هذا المعنى ما رويته أنت عن حادثة الإسماعيلية عن الأبن الذى ضرب أمه».

لقد حدثنى أيضا محمد فهيم عن طقوس خاصة، وتكلم معى عن كتاب «الشيطان يريد أن يراك».. وازدادت عصبيته حين تحدث عن بشر أشرار ترجموا هذا الكتاب.. لكنه أصر على ألا يحضر نسخة من الكتاب.. وقال: «بعد أن قرأته مزقته .. إنه شر.. لا يجب أن يصل إلى يد أحد».

كان معنى كلامه أنه يؤمن بإمكانية تحقيق أفعال السحر، ومن هنا سألته: لماذا إذن لا تتم أفعال السحر إذا كان هؤلاء الصبية قد مارسوا ؟ فقال : لأن التعاويذ والطقوس لها شروط واضحة.. ولا يمكن لأحد غير محترف أن ينفذها.. فغياب خط واحد فى الرسوم يؤدى إلى انهيار الطقس كله.

وربما يكون كلام محمد فهيم صحيحا، وربما كان هذا تأكيدا جديدا على آن هناك ارتباطا من نوع مـا بين هذه اللعبة التى جرت فـى مصر فى التسعينيـات وبين السحر الأسود.. وقد بـحثت فى تفـاصيل هذا، ووجدت تـشابها كـبيرا بين ما يـحدث وما حدث فى لعبة عبادة الشيطان وما ورد فى كتب السحر.

وإليكم ما قرأته، ويثبت هذا التشابه.

إبليس يطلب عونا !

محـمد جعفـر، اسم مؤلـف مصرى، صدرلـه منذ سـنوات عن مـكتبة «الأنجلو المصرية» كتاب السحر .. وفيه تحدث عن أشياء عديدة ، لكن ما لفت نظرى فى كتابه، ووجدته ذا علاقة بموضوعنا هذا حديثه عن الـشروط التى يجب توافرها فى الشخص كى يكون لائقا بالسحر.

هذه الشروط هى:

ـ أن يبيع فى حياتـه وبعد مماته نفسه وكل ما يملك مـن مال وعقار وديار وذرية الى الشيطان.

ـ أن يكون لـه من قوة العـناد والإصرار والمكاره مـا لا يمكن زعزعته عن عقـيدته الشيطانية حتى لو قاسى فى سبيلها أشد وأقصى أنواع وألوان التعذيب والإهانة.

ـ أن يكون صفيقا عديم الحياء والضمير والإحساس لا يعترف بالرحمة والحنان أو العطف وغيرها من الأحاسيس البشرية النبيلة.

ـ أن لا ترتـعد فرائصـه عند ظهـور سيده «إبـليس» أو أحد أتـباعه فى أيـة صورة مفزعة.. أو عندما يقابل المقصلة أو حبل المشنقة أو أتون الحريق.

ـ ألا يتذمر إذا مـاطلب إبليس مـساعدته، وعليه أن يـلح بكل قوته فـى طلب هذه المساعدة وعليه ألا يتأفف أو يتململ إذا طـلب منه الإتيان بأى عمل يتنافى مع الأديان والأعراف والقوانين.

ـ أن يجتهد بكل قوتـه فى أعماله السحرية أو يثابر ويواظب عـلى دراستها والقيام

بما تتطلبه من طقوس شيطانية وحفلات إبليسية غير عابئ بما يصيبه أو يناله من النتائج بسبب هذه الأعمال والحفلات.

- أن يكون جاهلا جهلا تاما - إما عن طبيعة أو بالاكتساب - بكل ما هو جميل وحميد.

- أن يعتقد اعتقادا راسخا فى قوة الشيطان ومقدرته ومقدرة أعوانه من الأرواح الشريرة الخبيثة مطيعا لأوامرها خاضعا لشروطها وقوانينها.

- أن يكون عدوا لدودا لجميع الأديان، وعليه أن يظهر سخطه عليها واستهزاءه بها فى كل مناسبة وألا يدخل مكانا أو محلا للعبادة إلا بقصد سرقته وتدنيسه أو تلويث معداته وأن يتبرأ من دينه ومن جميع الكتب المنزلة مع تمزيقها وحرقها واستعمالها فى أغراض دنيئة.

- أن يكون مستعدا لارتكاب أية جريمة خلقية وكل معصية ورذيلة مع الانغماس الكلى فى الفجور والإباحية.

- أن يكون مثالا للقذارة، ودناءة النفس كما تشهد بذلك ملابسه وطرق معيشته وأن يحرم استعمال الماء والصابون تحريما أبديا حتى يكتسب جسمه وملابسه ومسكنه رائحة نتنة كريهة تلتصق به طوال حياته يعرف بها بين زملائه.

- أن يقضى معظم وقته أو كله - إن أمكن - منزويا منطويا على نفسه بعيدا عن الناس لا يعاملهم ولا يتصل بهم إلا إذا طلب منه ذلك لأعمال السحر وإلحاق الضرر بالناس.

■■

هذه هى الشروط الواجب توافرها فى الساحر.

وربما لم يكن ممارسو لعبة عبادة الشيطان فى مصر يحاولون أن تنطبق عليهم هذه الشروط. ولكن المؤكد أن عديدا من هذه المظاهر كانت بادية على تصرفاتهم وسلوكهم.. والأدلة على هذا كثيرة.

لقد حدثنى - مثلا - شاب عمره ١٩ سنة ، من سكان جاردن سيتى، عن أنه قابل

شخصا طلب منه أن يكون معهم، كى يضمن النجاح بتفوق فى الثانوية العامة. وحين سأله عن الطريقة التى يمكن أن يكون بها معهم.. تحدث معه عن أهمية النجاسة . والسير فوق الكتب المقدسة. إن لم يكن التبول عليها.. معاذ الله.

وبخلاف هذا فإن هناك حرصا عند البعض على البقاء فترة طويلة بدون استحمام، وهناك من ينظم الحفلات التى يعلن فيها ولاءه للشيطان عن طريق هز الرؤوس واختطاف قطع من صليب مقلوب.. وبالإضافة إلى ذلك فإن ذبح القطط والفئران يعنى أيضا محاولة الاقتراب من حالة خاصة تتجرأ فيها الروح على القتل وارتكاب الإثم. وفضلا عن هذا فإن كثيرا ممن قابلتهم كانوا فى حالة انطواء وانزواء وبعد عن الحياة.

■ ■

إن هناك علاقة أيضا بين لعبة عبادة الشيطان والسحر الأسود يمكن رصدها من خلال التعرف على الطرق التى يمارسها السحرة للاقتراب من الشيطان.. وهى طرق يوجد تشابه غريب بينها وبين ما كان يحدث فى مصر. تشابه يدفع إلى الاعتقاد بأن هناك من يحاول الترويج لهذه الأفكار الغريبة، دون أن يدرى ممارسو اللعبة أنهم يفعلون ذلك.

فى هذا السياق نحن لم نزل مع كتاب السحر لمؤلفه محمد جعفر.. الذى كتب تحت عنوان «كيف يجند الساحر الشيطان».. يقول: «على الساحر أن يخرج فى ليلة مقمرة بعيدا عن العمران عند منتصف الليل أو قبله بقليل ويختار أحد القصور المهجورة أو الخرائب، ويختار بقعة قريبة منه بحيث تكون موحشة.. ثم يرسم دائرة كبيرة وينقش داخلها وخارجها وبجوار محيطها الأشكال والرموز والطلاسم وأسماء الأرواح والشياطين كما قرأها».

لاحظ هنا حكاية الدائرة وما بها من رسوم، وهو أمر ظهر فى لعبة عبادة الشيطان فى مصر.. لاحظ أيضا فكرة «القصور المهجورة» وتذكر ما روى عن أحداث غريبة قام بها الشباب هاوى الموسيقى فى قصر البارون ومقابر الكومنولث.

إذا ما عدنا إلى كتاب السحر سنجد أشياء أخرى.

يقـول محمد جـعفر: «يـوقد شمعـتين ويسـرق إناء فضيـا ويشوه مـنظره ويلـوثه ويضعه وسط الدائرة وبه حـبوب نباتات معينة، فينحنى ويقـفز داخل الدائرة كالقرود وهو قابض على الشمعتين بكلتا يديه وينشد أناشيد الشياطين ويتلو التعاويذ حتى يبلغ غاية النصب فيجلس القرفصاء داخل الدائرة وهو يقرأ أو يتلو التعاويذ وينشد ويلوح للشيطان فى الفضاء بالعقد، ويقرأ نصـوصه ويجتهد ويلوح ويكثر من القفز والقراءة والتلاوة ويكمل بقية الطريقة».

لاحظ هنا كذلك قصة الشموع.. وهى كثيرا ما تظهر فى ألعاب مصر.

إن محمد جعفر يـتحدث أيضا عن طريقة أخرى.. «بعد أن يـحفظ راغب العمل فى السحر جميع الـتعاليم والإرشادات يقصد فى ليلة قمريـة دارا مهجورة بعيدا عن العـمران ويصـحب مـعه حيـوانات معـينـة ويجلـس عاريا كـما ولـدته أمه ويـذبح الحيوانات بترتيبها المذكور فى الكتب وهو يتلو التعاويذ والأناشيد الخاصة أثناء الذبح ويجمع دماءها فى زجاجة قذرة ثم يلقى بهـا مع جدى ذبحه معها فى الخلاء قريبا من المكان كهدية الشيطـان.. ثم يستكمل ويلح فى عبادة الشيطان حتـى يظهر له.. ويسلمه العقد، وينبه عليه بمقابلة عمدة السحرة فى المنطقة كى يحدد يوم التعبد».

هنا أيضا لاحظ ما ذكر عن ذبح الحيوانات. وعن زجاجة الدم.

وإذا ما تجمعت الملاحظات بجانب بعضـها يمكن رصد الترابط الواضح بين عبادة الشيطان وأعمال السـحر الأسود. ويمكن الانتباه إلى خطورة اللعبـة التى كان يمارسها شباب مصر ورصدتها أنا ونبهت إلى خطورتها.

■ ■

إنهم فـى تقديرى كانوا يـلعبون. ولكن الـلعبة وصلـت إلى حد خطير فـى بعض الأحيان .. ومثال ذلك ما روته لى أم عما حدث لابنـها فى الإسماعيلية، والتى أدعوك لقراءة قصتها مرة أخرى فى صفحات سابقة من هذا الكتاب.

لكـن الظاهرة مـن جانب آخـر كان لها تـفسيـر مختلـف وبالذات عـلى الصعـيد

المسيحى ذلك أن هناك قساوسة مسيحيين مصريين كانت لهم أبحاث فى هذا المجال.. مجال عبادة الشيطان .. لكن أبحاثهم تلك كانت دوماً تتعلق بظواهر يرونها أساسا منتشرة فى الغرب.. فى أوروبا.. وليس فى مصر. ومن هنا فإنهم حين كتبوا لم يكونوا يعالجون موضوعا مصريا، وإنما موضوعا خارجيا.. وكأنهم يحاربون انحرافا مسيحيا فى مجتمع آخر.. دون أن يدروا أن هذا يمكن أن يحدث فى مصر أيضا.

الوثنية الجديدة

من بين هؤلاء القساوسة المصريين الأب دانيال البراموسي.. وهو قس كان معارضا للبابا شنودة الثالث.. بسبب خلافات فكرية.. انتهت به إلى أن ترك الكنيسة الأرثوذكسية.. وأصبح خارجا عليها.. هذا الخلاف لا يهمنا هنا.. لكن الذى يهمنا هو الإنتاج الفكرى الذى قدمه دانيال البراموسى فى كتابه «الفخ انكسر».. حول موضوع كتابنا هذا، وفى فصل خاص يحمل اسم «عبادة الشيطان والسحر» .. صدره بعبارة إنجيلية تقول: «البسوا سلاح الله الكامل لكى تقدروا أن تثبتوا ضد مكايد إبليس».

إن دانيال البراموسى يربط هذه الظاهرة وانتشارها فى الغرب بتأثير الديانات الشرقية ـ الآسيوية ـ على عقائد الأوروبيين. يقول: «إن الوثائق تذكر أن قيام كثير من الضلالات والانحرافات بما فى ذلك تقديم ذبائح آدمية فى ممارسة السحر وعبادة الشيطان إنما هى مستمدة من تقاليد عبادات شرقية مثل الهندوسية والبوذية وكل العبادات الوثنية عموما».

وينقل دانيال البراموسى عن ميرين إلياد وهو عالم أنثربولوجى فى جامعة شيكاغو قوله: كل ممارسات السحرة الأوروبيين تتشابه مع ممارسات هؤلاء الذين يمارسون اليوجا فى التبت، ومع ممارسات السحرة الهنود.. إنهم يطيرون فى الهواء ويخفون أنفسهم ويقتلون الناس عن بعد ويسيطرون على الشياطين والأشباح. وعلاوة على ذلك فإن بعض الهنود المتعصبين والغريبى الأطوار يتفاخرون بأن فى استطاعتهم ممارسة كل ما هو غريب ومحظور دينيا «يقدمون ذبائح آدمية ويأكلون لحوم البشر ويؤدون كل أنواع الطقوس الغريبة، بما فيها جماع ذوى القربى، ويأكلون البراز والأجساد الميتة.. وهذا هو ما يفعله السحرة الأوروبيون».

أضاف البراموسي: إن اليستر كراولى، وهو واحد من عباد الشيطان ذوى السمعة الرديئة تأثر بأفكار الديانات الشرقية، ولقد أدار كراولى ظهره للعالم، وبدأ فى استخدام طقوس الممارسات الجنسية زاعما أن هذا من الأهداف الروحية ، وأصبحت جماعته المعروفة باسم «المعبد الشرقى» فرعا من فروع عبادة التأنترا الغريب.

وعن كتاب «إلهنا المتوحش» الصادر فى عام ١٩٧٤ ينقل دانيال البراموسى قول مؤلف الكتاب: إن تشارلز مانسون زعيم الهيبز ـ أوصل فلسفة كراولى إلى نهايتها المنطقية.. حين قال مانسون: إذا كان الله والشيطان هما الخير والشر والحياة والموت، وإذا كان يمكن أن تسمو فوق الوجود المادى بالانحراف الجنسى الذى يتلذذ فيه المرء بإنزال العذاب بالطرف الآخر أثناء الاتصال الجنسى.. فإن هذا الإسراف الجنسى ليس كافيا.. وعليك أن تسمو فوق الحياة والموت إما بأن تقتل أو بأن تُقتل!

وقد كان مانسون هذا مدانا بتسع جرائم قتل وحشية.. مادية .. ولكنه أيضا ارتكب جرائم قتل أكثر من هذا بكثير.. إذ كان قد طعن خمسة أشخاص ثم أطلق عليهم الرصاص لكى يموتوا.. من بينهم الممثلة شارون تات التى أخذت تسترحمه من أجل الطفل الموجود فى أحشائها فتركها.. لكنه تركها حتى النهاية.. حتى ترى المذبحة كاملة .. ثم قطعها فى النهاية إربا.

«فى موقع آخر من الكتاب يمكن أن تقرأ قصة تشارلز مانسون كاملة. ـ المؤلف».

لكننا نبقى هنا مع تحليل دانيال البراموسى لأفكار تشارلز مانسون الشيطانية وتأثرها بالأفكار الشرقية التى يقول البراموسى أنها اخترقت الغرب.

يقول البراموسى: تأثر مانسون بالأفكار الهندوسية التى استلهمت أفكارها من الديانات الشرقية ـ أى من ديانات آسيوية أخرى ـ .. مثل جماعة «المعبد الشرقى» و «التقدم» و «ينبوع العالم» ومن هذه المصادر أخذ نظرية تناسخ الأرواح. وحصل مانسون على ما يسميه البوذيون تنويرا.. هذه الاستنارة فى رأيهم تحطم حاجز الزمن.. ومن خلالها يولد الإنسان مرة أخرى فى الأبدية.. حيث لا يوجد زمن .. ولا يوجد موت وتنصهر كل الكيانات فى كيان واحد.. وحيث لا يوجد تنوع أو اختلاف..

ويسمو الإنسان فوق مستوى الخير والشر.. ويكون حرا.. وعن طريق عديد من الرهبان البوذيين اكتشف مانسون أن النقطة النهائية التى يصل إليها الإنسان هى الاستغراق فى الموت. وفى هذا السياق يقول مانسون: بما أننا كلنا سوف نكون واحدا فإن قتل أى شخص يكون مثل قطع قطعة من الكعكة.

كان مانسون يريد أن ينتقل إلى شكل من أشكال الوجود يتجاوز فيه حدود الزمان والمكان.. ويكون الإنسان فيها ميتا بالنسبة للعالم، ولكنه يكون حيا فى أبدية لا تنتهي.. وقد علم أتباعه وتلاميذه أنهم يجب أن يقتلوا أنفسهم بهذه الطريقة، كى يقتلوا الآخرين بلا ندم.. وقال لهم: إنك تستطيع أن تقتل وتقتل.. وإذا كنت راغبا فى أن تقتل عليك أن تكون راغبا فى أن تقتل.

ويقول دانيال البراموسى: لقد اتهم مانسون بالجنون. ولكن كانت له قدرة شيطانية على أتباعه. وكان يستخدم الجنس كسلاح يحتفظ بهذه القبضة عليهم. وكانت له قدرة على تنويمهم مغناطيسيا. وكان هناك شخص شيطانى آخر اسمه ساندى جود يعلق: «لقد وصلت فى النهاية إلى درجة أننى أستطيع أن أقتل والدى». وكان هناك جون سيموندس الذى كان ينوم أتباعه مغناطيسيا إلى الدرجة التى يكونون فيها مستعدين أن يقتلوا أنفسهم وأطفالهم.

ويخلص دانيال البراموسى عند هذه النقطة إلى نتيجة تقول: إذا كان الشيطان اليوم يستطيع أن يقود المئات إلى أن يقتلوا أنفسهم، فإننا لا نندهش أنه فى الأزمنة القديمة كان الناس مستعدين بل راغبين فى تقديم أنفسهم كذبيحة على مذبح الآلهة عندما تطلب منهم التقاليد الدينية هذا».

الذبائح الآدمية

الدكتور نايجل دايفز ، عالم آثار، وعالم فى علم الإنسان، فى عام ١٩٨١ أصدر كتابه الهام « الذبائح الآدمية عبر التاريخ واليوم».. انتهى فيه إلى أن ظاهرة الذبائح الدموية لم تكن أبدا شاذة عبر التاريخ، فهى أحد مكونات الديانات الوثنية، وهى شائعة جدا بدرجة لا يتصورها أى إنسان.

والذبـائح الآدمـية جـزء من تـاريخ الـبشـرية، وكـانت عـمليا مـوجودة فـى كل المجتمـعات وكل العصـور.. فى الشعوب البـدائية والشعـوب الحديثة.. وقد دعـمها المنطق المنحرف فـى العبادات الوثنية وفى عبادة الشيطـان. وفى أغلب الأحوال كانت هذه الذبائح تتم بمنطق التقوى. لإنقـاذ الناس من الكوارث.. والهدف دائما هو حفظ الحياة.

هكذا يـكون القتـل بدوافع روحيـة ودينية ، مـصحوبا بـبعض الطـقوس لإرضاء الآلهة والحصول على مزيد من مساعدتها.. ويـقول نايجل دايفز ـ الذى ننقل ما يقوله من كـتاب القس المـصرى الأب دانيال الـبراموسـى «الفخ انكـسر» : إن الآلهة قـديما كانت تتوقع تقـديم اللحم والدم لها من خلال طقوس خاصة، بـدونها لا يكون لهذا التقديم أى معـنى.. ولقد تم تقديم جمع غفـير من الناس كذبائح للآلـهة على مدى آلاف السنين، وفى المقابل فإن الناس كانوا يتوقعون دائما من هذه الآلهة أن تقيهم من المجاعات والأمراض الخـطيرة.. وأن تحرس بيوتهم.. وأن تـعتنى بهم أثنـاء أسفارهم. وأن تعطيهم محصولا وفيرا، وأن تجعلهم ينتصرون فى الحروب.

ويربط دايـفز بين هذه الـقرابين وبين الـشيطان فـيقول : لقـد كانوا يقـدمون هذه الذبائـح لتقديس المـبانى الجديدة. وقـد كان هناك نوع شـائع من طقس دفـن الأطفال أحياء فى أساسات المبانى الجديدة وتحت أبواب المدن والكبارى. كانوا يعتبرون أن أى مبـنى جديـد إنما هو شـكل من أشـكال التـعدى عـلى ممتـلكات الـشيطـان. وأن هذه الشياطين سيثور غضـبها بسبب هذا التعدى. ولذا كانوا يسترضـونهم بدفن طفل حى تحت الأساس.. ومـورست هذه الطـقوس فى آسيا وأوربـا.. بل وفعلهـا كهنة إنجليز قدماء أيضا.

وكذلـك فإن الحصول عـلى محاصـيل وغيـره وحصول الإنسـان على نسـل كان يتطلـب قتل إنسان برىء... وكانت المحـاصيل الوفيرة تتطـلب رش دم ادمي. آو دفن جزء من جسم إنسان فى الحقل قبل بذر البذور.. وقد ظلت هذه الممارسات موجودة بين قبائل معينة فى الهند حتى القرن التاسع عشر.

أيضا كـان علاج العقم يـتم بتقديم ذبـائح من الأطفـال للآلهة. وكان الأطـفال من العبـيد يستخـدمون فى هذا الغرض. وفـى بعض الأماكن فـى الهند كانـت الأم التى لديـها طفل واحـد وتريد مزيـدا من الاطفال تـقدم هذا الابن كـقربان.. بل إن نـساء بعض قبائل الاستراليين الأصليين كن يأكلن هذا الطفل.

وفى حالة طوائف وثنية آخرى، منها طوائف الـتانتريك كانت تقدم الذبائح الادمية بهدف الحصول على اتحاد غامض مع الالهة.

إن المثير فـى هذا العرض التاريـخى هو ما انتهـى إليه الدكتور دايـفز الذى اصدر كتابه فى العصر الحـديث، ولكن يبدو انه تاثر بالافكار التى كتـب عنها بحثه. إذ قال: «علـى ضوء الولـع الشديد فـى الوقت الحـاضر لقـتل النـاس بسبب الـغيرة والحـقد والغضب والمال فإننـى اقترح أن نعدو إلى ذبح الإنسان بالطرق الطـقسية القديمة.. إن هذا سوف يساعـد على إبدال نوع من الذبح والـقتل بنوع آخر.. يمكن أن يـقلل عدد ضحايا القتل.. ويساعد على إحداث توازن فى مجتمع يحتاج لهذا التوازن».

أضاف : لقد جعلنا القمار والإجهاض أمرا مشروعا، فلماذا لا يكون القتل الدينى مشروعا أيضاً. لمـاذا نطالب بالعودة إلى القيـم المسيحية ولا نعود إلى القـيم الوثنية. إن تقديم الذبائح الدينية سيكون على الأقل شكلاً من أشكال القتل المقيد.

هنا انتهت اقتراحات د . دايفز العجيبة، وهى تكشف عن أن جرائم القتل لأسباب لها عـلاقة بعبادة الشـيطان فى الغـرب لها فلسفـة، وأن البعض يمـنطقها ويجعـل لها مبررات وأيدلوجية. وقـد عقب دانيال البراموسى على هذا فى مصـر قائلا: لقد أنشأ الشيطان فكرة الذبائح الآدمية ليسخر من الله، وحرف فكرته - أى الله - فى تقديم ابنه كذبيحة إلهية واحـدة «ذبح المسيح على الصليب» لضمان رفـاهية الإنسان وخلاصه. ومن هـذا المنطلـق فإن تقـديم الذبائح قـتل شيـطانى حسـب طقوس عـبادة الشيـطان والديـانات الوثـنية، ساخرا مـن تقديم يسـوع نفسه كـذبيحة إلـهية تدل عـلى محبـته للبشرية!

وهذا التفسـير الأخير نحن نختـلف معه وفقا للعـقيدة الإسلامية، التى نـؤمن بها، والتى ترى أن الله لـم يطلب أية ذبائح، بـل إن المسيح فى الإسلام لم يـصلب أصلا...

لكن هذا الشرح يوضح لنا من آين ولماذا تلجأ عبادة الشيطان إلى القتل كنوع من الطقوس الدينية.. على أساس آن العابد للشيطان حين يقتل إنما يسخر من الله - معاذ الله - ويتجاوز فكرة الذبيحة الواحدة إلى ما هو آكثر.

■■

لماذا نورد كل هذا هنا؟

لأن التفسيرات المختلفة كلها تصب فى اتجاه واحد.. وهو أن هناك أفكارا غريبة محورها الشذوذ والجنس والوثنية.. ولقد تحولت هذه الأفكار إلى جماعات.. وصار للمحترفين فى هذا المجال صناعة ومؤسسات وأرباح.. وإليكم الدليل الأخير على هذا.

سوبر ماركت أسود.

حسين عبدالواحد صحفى فى أخبار اليوم، كتب فى جريدة «أخبار الحوادث» مقالا عن السحر الأسود.. تحت عنوان «الخرافة فى بلاد الحضارة» (٦/ ٢/ ١٩٩٧م).. وقال: «إن السؤال الذى يطرح نفسه الآن بقوة هو: لماذا هذا الردة الحمقاء إلى عصور الظلام؟». وفى معرض إجابته عن السؤال روى تفاصيل مختلفة عن السحر الأسود فى الغرب، تبدو هامة هنا، لاسيما أن مفردات اللعبة الغربية التى شغلت مصر فى عام ١٩٩٧ كانت لها علاقة وطيدة بالسحر الأسود.

فى الصحف الأمريكية الأوربية ظهرت منذ سنوات إعلانات عن محال للسوبر ماركت تباع فيها لوازم السحر الأسود بأسعار محددة.. فالشمعة السوداء ثمنها ثلاثة دولارات، وكيس النجوم بخمسة دولارات. والخرزة الزرقاء بدولارين.. وبوسع أى زبون أن يشترى الخفافيش المحنطة وتراب المقابر وأسنان الفئران وشعر القردة وأرجل الماعز. والأكثر من ذلك أن هناك مكتبة أمريكية تبيع نشرات وكتب تحضير الأرواح وهناك طرق بدائية يستخدمها المشعوذون لاستحضار الشيطان.

ومن أطرف هذه الكتيبات نشرة توضح كيفية استخدام السحر الأسود فى قتل شخص آخر. وتقول الوصفة إن المطلوب هو سبع شمعات سوداء اللون فى سبع

دقائق محددة خلال ليال متتالية وتوضع تحت الشموع السوداء صورة للشخص المطلوب التخلص منه وتحتها اسمه مكتوب بالأحمر على ورقة سوداء وبسقوط قطرات الشمع المنصهر على الصورة كل ليلة ومع ترديد بعض الكلمات السحرية الغريبة فى الظلام يتصاعد ألم وعذاب الشخص المطلوب إصابته بالأذى حتى تنتهى حياته على احتراق الشمعة السابعة. وتكون النهاية حادثا غامضا أو انتحارا أو سكتة قلبية(!).

وفى سوق هارلم بمدينة نيويورك يستطيع أى إنسان أن يشترى دماء وطواط يتيم، أو رأس سلحفاة عذراء، أو جمجمة كلب أجرب، وتباع يد الغور يللا فى باريس بألف فرنك ورأس الغراب بـ٣٠٠ فرنك وتباع جثث الخفافيش المحنطة بالكيلو.

وفى أستراليا يقول الدكتور هربرت بابيدو أنه شاهد بنفسه عملية قتل بالسحر الأسود وكان الضحية شابا قوى البنية أشار له أحد خصومه بعظمة ونظر إليه الشاب فى ذهول ثم رفع يديه وكأنه يحاول الدفاع عن نفسه من خطر ما، ثم تحجرت عيناه وصار وجهه أبيض اللون وتحشرجت أنفاسه.. وتكرر السيناريو عدة أيام حتى مات.

ويقول العلماء فى تفسير هذا أن بعض الضحايا يضعفون أنفسهم ويساعد خصومهم بلا وعى على إلحاق الضرر بهم، فالإنسان ضعيف الشخصية ينهار لمجر شكه فى أنه يتعرض لسحر ما.. وبالتالى يبدأ فى التوتر ويفقد شهيته للطعام ويؤثر هذا بالسلب على جهازه العصبى وربما أصيب بصدمة عصبية تؤدى للوفاة.

ولكن لماذا انجرف الغرب إلى هذه الخرافات؟

الإجابة من نفس المقال: لقد أدى اليأس إلى تحول قطاعات عريضة من الشباب إلى رفض الحياة، مما أدى إلى ارتفاع معدلات الانتحار، والتجمع فى طوائف غامضة منها عبدة الشيطان والحقيقة المطلقة - فى اليابان- وغيرها.. وهى ظاهرة أطلق عليها الباحثون اسم «مخاوف نهاية القرن» التى بناء عليها يفترضون انتشار مشاعر القلق والاكتئاب بين البشر عند حلول نهاية كل قرن.

هذا هو التبرير الذى قدم فى ذلك المقال، ولكن الواقع يؤكد أن هذه الجماعات منتشرة منذ زمن طويل.. وقبل أن تقترب نهاية القرن بعقود. ومن المؤكد أن لديها

أسبابا أخرى. غير أن الذى يهمنا هنا هو أن نشير إلى أن الأمر ليس قاصرا على شباب الغرب، والدليل علـى ذلك أننى قابلت شابا قال لى أن هناك من وعـده بمجموع كبير فى الثانوية العامـة، بشرط أن ينضم إليهم.. أما من هم.. فتلـك قصة أخرى تقودنا إلى قصة رمسيس.

تحضير الشيطانة

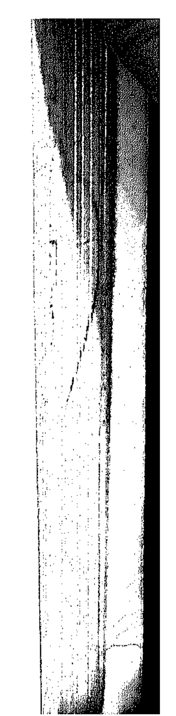
إن رمسيس، هو ابن عائـلة ميسـورة فى الإسكندريـة، طالب فى الـثانوية الـعامة، وصلتنى قصته بـالصدفة، وبطريقة غير مباشرة.. إذ دخل إلـى محل كاسيت معروف، أعرف صـاحبه، وطـلب أحد شـرائط الكـاسيت التـى تحمل أغـانى فرق شيطانـية.. وبسرعة تمكن صاحب المحل من استدراج رمسيس ومعرفة قصته.

لقد رسب فى الصف الأول الـثانوى، وابتعد عنه رفاق فصله بحكـم انتقالهم إلى صف أعلـى، وما كان من أسـرته إلا أن قررت عقـابه بتركـه وحيدا فى الـبيت، بيـنما سافروا جـميعا إلى فـيللا خاصـة فى الساحل الـشمالى.. علـى أن يقضى هـو أجازته منفردا مع كتبه ودروسه.. لكن العقاب لـم يأت بالنتيجة المرجوة.. إذ سرعان ما وجد رمسيـس نفسه غارقـا فى أفكار الـسحر الأسود التـى تعرف عليـها عن طريـق شباب عرفهم بالصدفة..

هكذا دفعته الوحدة والاكتئاب إلى تطبيق الأفـكار الغامضة التى يتحدثون عنها..، وبينما هو فى غرفته وجد نفسه يدخل ا...ام ويتلو تعاويذ أمام مرآة كى تظهر له ابنة الشيطان ويمارس معها الجنس.. تعاويذ صعبة، ربما يصاب رمسيس بالإغماء من فرط الإعياء قبل أن يكملها.

ومن المؤكـد أن لا أحد يعرف كيـف تعامل رمسـيس مع ابنة الـشيطان الوهـمية.. لكننى حين سمعت هذه القصة عن السحر الأسود والجنس.. وصلت إلى نتيجتين.

الأولى خاصـة برمسيس.. وهـى أنه بسبب الـعزلة وكرد فـعل على هذا الـعقاب الأسرى انخرط فيما يمكن وصفه بأنه نـوع من العادة السرية السوداء.. عادة سرية مع ابنة الشيطان.



أما النتيجة الثانية فهى أكثر عمومية، ذلك أننى لاحظت أن كثيرا من هؤلاء الشباب الذين سقطوا فى شراك اللعبة كانوا دائما ما يتحدثون عن هذه الابنة الغامضة للشيطان.. يدقونها على شكل وشم.. ويرسمونها بقرون وبشدى نافر فى بوستر الدعاية للحفلات.. وهو ما أكد لى أن القصة برمتها ليست قاصرة على عبادة الشيطان، وإنما أيضا تمتد إلى السحر الأسود. لاسيما أن هذه الابنة الوهمية لم أصل إلى أى ذكر عنها سوى فى كتب السحر الأسود الغبية.. والتى - للأسف - نجدها موجودة ومنتشرة فى الأسواق المصرية، وتجد من يشتريها.

■■

علامات ارتباط القصة برمتها بالسحر الأسود لاتقتصر فقط على ابنة الشيطان هذه.. وإنما تشمل أحاديث فى مصر عن شمع أسود، وعن تعليق مصاحف فى الأقدام، وعن تدنيس أناجيل، وعن خرافات لها علاقة برقم غامض وجدته يكتب كثيرا على الشرائط وعلى الـ تى شيرتات وعلى البوسترات.. فأثارنى، وكان يجب أن أبحث عن سر انتشاره.. إنه رقم «٦٦٦».

وذات يوم فوجئت بإحدى زميلاتى فى روز اليوسف تؤكد لى أن ابنتها وبعض صديقاتها فى مدرسة إعدادية تحاول فعلا أن تطلب رقم تليفون الشيطان.

فى البداية تعجبت، لأننى كتبت هذا على أساس أنه طرفة، وأنه إحدى خرافات هذه الديانة الوهمية، وأنه نتاج لإدمان المخدرات، لكن ما لفت نظرى بعد ذلك هو أن هناك أسطوانات لموسيقى فرقة الروك دون عليها هذا الرقم.. واتضح لى فيما بعد أن فكرة هذا الرقم العجيب لها أصل هى الأخرى فى الديانة المسيحية، ومن هنا فهى مقلوبة بشكل آخر فى عبادة الشيطان.

رقم تليفون الشيطان

لقد وجدت التفسير فى كتاب دينى مسيحى.. صاحبه هو القمص عبد المسيح

تاوفليس النخيلى، يعمل فى كنيسة مار مرقس بمصر الجديدة، وأستاذ اللاهوت فى الكلية الإكليريكية، وقد أصدر كتابه هذا «وضوح الرؤية السماوية» فى عام ١٩٧١، ثم طبعه مرة أخرى عام ١٩٧٨.. وخصصه لشرح سفر «الرؤيا».. وفيه وجدت سر الرقم «٦٦٦».

يقول: إن الأعداد فى الكتاب المقدس لها رموزها.. فالسبعة رمز الراحة والكمال. والستة كانت دائما رمز التعب. فقد خلق الله السموات والأرض فى ستة أيام واستراح فى اليوم السابع. وتعبير استراح حين جاء فى الكتاب المقدس يعنى أن الله «تعب» فى الأيام التى قبل ذلك. والله لا يتعب كما الإنسان الذى يحس بالعناء والضعف ويميل للراحة، ولكنه يكلمنا بالأسلوب الذى درجنا على استخدامه.

أضاف: لقد صلب السيد المسيح فى اليوم السادس والساعة السادسة ليحتمل فى شخصه ماتستحقه البشرية من عناء ليهبها الراحة والكرامة والسعادة إلى الأبد. وقد كان لصاحب عرس قانا الجليل ستة أجران من الخمر فلم تكف المدعوين وتعرض صاحبها للخجل والحرج لولا تدخل الرب وتحويله الماء خمراً فأعاد للرجل راحته النفسية وأبقى على كرامته أمام المدعوين.

وبهذا فإن الثلاث ستات ٦٦٦ تعنى منتهى التعب الذى تتعرض لها الكنيسة فى ذلك الوقت.. فهو رمز لوحش، من أقوى ما أبرزه الشيطان من سلاح لمقاومه الله.

ووفق نفس المصدر الذى نستعين به الآن فإن القمص عبد المسيح يشرح ما يرمز إليه هذا الرقم، وما يعنيه فى الإنجيل.. حين يتحدث عما جاء فى الإصحاح الثالث عشر «وحش طالع من الأرض له قرنان شبه خروف يعمل بكل سلطان الوحش الأول، يضل الساكنين على الأرض ويقتل الذين لا يسجدون للوحش الأول.. عدو الوحش «٦٦٦». وقد جاء فى نفس الإصحاح قبل هذا حديث عن الوحش الأول: «وحش طالع من البحر له سبعة رؤوس وعشرة قرون وعشرة تيجان. أعطى فماً يتكلم بعظائم وتجاديف وسلطان ٤٢ شهرا وقد فتح فمه بالتجديف على الله».

ويقول القمص عبد المسيح: الوحش الطالع من البحر يعنى شخصية قاسية شرسة كالوحش تطلع من هذا العالم، وهي خطر متقلب، لها نفوذ كبير. وهذا الوحش على

اسمه الإلحاد، ينكر سلطان الكنيسة، وينكر الحياة الأبدية. أما الوحش الثانى فهو يشير إلى نبى كذاب يتقدم الوحش الأول، ويستحث الناس على الإيمان به. وكما كان يوحنا المعمدان يمهد الطريق أمام السيد المسيح فإن هذا الوحش سيفتح الطريق أمام الوحش الأكبر الذى سيدعى أنه المسيح.

وسوف تكون لهذا الوحش - حسب ذلك التفسير - قدرة رهيبة يسيطر بها على الدنيا.. ويقول الإصحاح الثالث عشر فى هذا «وأن لايقدر أحد أن يشترى أويبيع إلا من له السمة أو اسم الوحش أو عدد اسمه».. ويقول الشرح الذى نستعين به هنا: «إن المؤمنين الذين لن يوافقوا الدجال ولا ينضمون إلى ركبه سوف ينبذون ويحتقرون فلا تقضى لهم مصالح ولاتيسر لهم أمور وسيحرمون من امتيازات دنيوية كثيرة». ويقول النص المسيحى الدينى فى تأكيد صفات هذا الوحش: «هنا الحكمة، من له فهم فليحسب عدد الوحش فإنه عدد إنسان وعدده ستمائة وستة وستون».

يقول القمص عبد المسيح: «لقد انشغل المفسرون كثيرا: بأسباب الاسم ٦٦٦ وأجهدوا أنفسهم دون جدوى، وكلما ظهرت شخصية طاغية تضطهد المؤمنين بدأوا يحسبون عدد اسمه، ويحاولون أن يجعلوا النتيجة ٦٦٦، والقريب إلى الصواب هو أن يكون الحساب باللغة اليونانية التى كتبت بها هذه الرؤيا وأن تتضمن فى هذه الشخصية الأوصاف المختلفة التى ذكرها الكتاب له..

هذه الصفات هى:

- مجيئه بعمل الشيطان.
- جلوسه فى هيكل الله.
- ذو قدرة عظيمة ويكون قاسيا كالدب متكبراً كالأسد متلوناً كالنمر.
- يعطيه الشيطان كل سلطانه.
- يخدع الناس بالعجائب الكاذبة.
- يحارب القديسين ويغلبهم.

ـ يتقدمه النبى الكذاب.

ـ يقتل كل من لايسجد لصورة الوحش.

ـ يملك ثلاث سنين ونصف

ـ حروف اسمه ١١١ .

ـ يدعى الألوهية ويسجد له سكان الأرض.

ـ مقر ملكة أورشليم».

■■

ولا ينتهى أمر الخرافة عند هذا الحد..إنه كما لاحظت ينطلق إلى مساحات شكلية أخرى.. وجدت الصبية فى مصر يلعبون بها.. وأبرزها هنا هو«الوشم» الذى اعتبره الكثيرون إحدى علامات هذه العبادة.. لكن تحقيقى فى قصته - قصة الوشم فى مصر - أظهر ما هو أبعد من ذلك.. إنه كما سترى الآن تعبير عن أزمة حقيقية.. وعن ضعف نفسى.. وعن تعذيب للذات.. وفوق كل هذا هو تجارة وصناعة.

رسوم على ثدى أنثى

شيرين سيتن، أو شيرين الشيطانية، لا تختلف كثيرا عن منى.. لكن لن أتحدث عن منى الآن، وإنما عن الأولى، والتى ظل اسمها يتردد أمامى عشرات المرات خلال تحقيق هذه القصة منذ بداية شتاء ١٩٩٦.. إنها فتاة تجاوزت سن المراهقة بالكاد، صغيره الحجم، لون بشرتها أقرب إلى الخمرى، راسبة فى الثانوية العامة، من سكان مصر الجديدة، أمها مغربية الأصل وأبوها مصرى، يتحدث عنها هؤلاء الشباب باعتبارها نموذجا من نماذجهم الحقيقية الغارقة فى «الروشنة».. كثيرون للغاية يعرفون حكاياتها، ويرددون الكثير عن ولعها بهذه اللعبة الخطرة ـ لعبة عبادة الشيطان - يتحدثون عن زيارتها لقصر البارون، وعن زياراتها لمقابر الكومنولث، وعن الأوقات الطويلة التى كانت تقضيها ليلا فى أحد الكازينوهات بالزمالك.

ولكن أهم مالفت نظرى فى قصتها هو حكاية الوشم الذى دقته على صدرها.. للدقة على أحد ثدييها، إمعانا منها فى الاستغراق فى التقليعة.. وللأسف فإننى حين كنت أرصد تفاصيل هذه القصة لم أتمكن من إجراء اتصال مع هذه الشيطانة الصغيرة، لاسيما أن هاتفها ظل مرفوعا من الخدمة عدة أشهر.. لكن المحررة «ريهام جلال» فى روز اليوسف - والتى كنت قد كلفتها بإجراء تحقيق عن «الوشم» استطاعت أن تقابل نموذجا مماثلا لنموذج شيرين.. لا يختلف كثيرا.. سوى فى أن صاحبته تحمل اسم «منى».

حين قابلت «منى» كانت قد عرفت من بعض زملائها أنها دقت وشماً على بطنها.. وقد كتبت عنها تقول فى عدد ١٠ فبراير ١٩٩٧: إن منى عمرها ٢٢ سنة، وهى طالبة فى كلية التجارة بجامعة عين شمس، وهى تداوم على حضور الحفلات التى تمتد حتى الفجر، قال بعض أصدقائها أنها دقت على بطنها صورة فتاة وفتى متعانقين، وقد عرفوا هذا حين رأوها فى الحفلات وهى ترتدى ملابس تظهر هذا..

أضافت: إنها تعيش مع أختها التى تكبرها بعامين فى شقة بالمعادى.. لأن والديها يعملان فى إحدى دول الخليج منذ ربع قرن.. وعندما حان موعد التحاقهما بالجامعة أرسلاهما الواحدة تلو الأخرى إلى القاهرة.. وداوما على إرسال مبالغ مالية كبيرة لهما من هناك، ولا يلتقيان بهما إلا شهراً واحداً فى كل عام.

عندما تحدثت المحررة إلى منى، كانت الثانية تتكلم معها بازدراء شديد، ولامبالاة أشد، وحين طلبت الأولى من الثانية أن تنتقل معها إلى مكان خفى كى ترى الوشم الذى دقته على بطنها، ما كان من «منى» إلا أن رفعت ملابسها كاشفة عن هذا فى الشارع أمام السور الخارجى للجامعة..

إن شيرين، كما قلنا مثل منى، والاثنتان لاتختلفان كثيرا عن عشرات غيرهما، بنين وبنات، وقد أثار الوشم الذى دقه هؤلاء على أماكن متفرقة من الجسم انتباه عديدين.. خاصة أن الوشم ارتبط باللعبة الخطرة.. ومن هنا لم يكن غريبا أن يحرص معدو

ومقدمو برامج التليفزيون عن هذه القضية على إظهار أكتاف وأذرع المتهمين الشباب وقد دقت عليها هذه الرسوم.

فى هذا السياق، سياق الوشم الذى أقبل عليه هؤلاء، عرفت اسم شاهى، الشاب الأرمنى المصرى، الطالب فى جامعة خاصة، والذى احترف دق الوشم على الجسم بسعر يبدأ من مائة جنيه كحد أدنى، ويصل إلى عشرة آلاف جنيه كحد أقصى حين يطلب أحدهم دق الوشم على جسده كله.

إن شاهى يقيم فى الزمالك، ولكنه يمارس لعبته تلك فى شقة فى حى المهندسين، حيث يحتفظ هناك بكتالوجات رسوم الوشم، والماكينة الخاصة بدق الوشم التى تشبه القلم الكبير، والأحبار التى تستورد غالبا من الخارج.

لقد عرفت أيضا اسم عبدالله الطالب فى المعهد العالى للحاسب الآلى فى مساكن شيراتون، والذى تعلم دق الوشم من بعض أصدقائه، ثم احترفه.. ولقد قال: «أهم رسمة أقوم بدقها هى تلك التى تمثل الخير والشر.. ثعبان أبيض وآخر أسود..» .. وهذا له فلسفته : «نحن الآن نرسم بطريقة حديثة، فالماكينة لها إبرة سمكها لايزيد على واحد ملليمتر، تغمس فى الحبر ثم تخترق طبقتين فقط من الجلد بدلا من سبع طبقات كما كان يحدث فى العادات القديمة.. وهى طريقة لو لم يتم تنفيذها بدقة لتسرب الحبر إلى الجسم ومنه إلى الدم وقد يسبب جلطة فى القلب. أو سرطانا فى الدم.

هذا الظاهرة لفتت أنظار أناس كثيرين، وكانت الصحف حين تناقش هذا القضية خلال موضوع عبادة الشيطان تورد آراء مثل: «إن البعض يرى فيه قيمة جمالية خاصة، لكنه فى الغالب يؤدى لإشباع حاجة نفسية لدى الشخص الذى يقوم به.. فالذى يفتقر للقوة يرسم شخصا مفتول العضلات».

إلا أننى وجدت فى الوشم، وعلاقته بعبادة الشيطان والسحر الأسود ما هو أبعد، وسوف أسجل هنا بعض الملاحظات الشخصية على هذا الأمر قبل أن نتعرض لبحث علمى هام حول «الكتابة على الجسد» يوضح الكثير من أمور هذا الموضوع.

إننى أرى فى لجوء هؤلاء «للوشم».. نوعا من التقليد لظاهرة أجنبية كاملة بكل مفرداتها.. من تقليد نوع الموسيقى.. إلى تقليد نوع قصة الشعر.. إلى تقليد نوع الملابس.. وهو تقليد خارجى لظاهرة لها عقيدة.. ولأن العقيدة صعبة فقد اختار هؤلاء المقلدون الدخول إلى هذه المساحة من خلال النقطة الأسهل.. بدون التورط فيما هو أعنف وأصعب وأكثر تعقيدا.. وهو القتل والدم.. كما يحدث فى جماعات عبادة الشيطان فى الخارج.

اختيار هؤلاء أن يقلدوا الشكل يعنى من جانب آخر أنهم يحاولون البحث عن انتماء ما.. فهم بلا انتماء.. لايرتبطون بالبيت ولا بالوطن.. اختاروا أن يجعلوا من أنفسهم جماعة خاصة من نوع مميز.. له روابط فى الداخل والخارج.. وهو انتماء يحقق رغبة هؤلاء فى لفت الأنظار والصراخ عن طريق إعلاء صوت الجسد.. وهم بدلا من أن يرفعوا شعارا سياسيا فى مظاهرة قد يقمعها الأمن.. وبدلا من أن يرتبطوا بجماعة سياسية خاصة قد تدخلهم السجن.. اختاروا رفع الشعار السياسى على الجسد.. فهو أمر يحقق ما يريدون بدون أن يصل بهم إلى صدام حتمى مع الأمن.

فى نفس الوقت هم اختاروا لإعلان تميزهم وسيلة معذبة، ومؤلمة، وهى الدق بالإبر السامة على الجسد.. وهو ما يعكس نوعا من الرغبة فى إيذاء النفس وعدم الرضا عنها.. والاكتئاب.. الذى لو مضينا معه حتى نهايته لأدركنا أنه نوع من رفض الحياة، خاصة إذا أدركنا حجم ونوع الأمراض التى يمكن أن يسببها دق الوشم.

دق الوشم أيضا فيه اتجاه واضح للعنف، من جانب هذا التعذيب الذاتى، وهو عنف مرتبط بالخوف من الصدام مع الأطراف الأخرى فى المجتمع.. ومن هنا فهو موجه إلى الذات.. والذات هى الشىء الوحيد الذى يملك هؤلاء اتخاذ قرار يمكن أن ينفذوه عليها.. فهم لا يستطيعون حسم أمور كثيرة فى المجتمع .. على أى صعيد.. وليس أمامهم سوى أنفسهم كى يفعلوا بها ما يريدون.

دق الوشم الذى لا يقبل الإزالة، والذى يتسم بأنه أبدى، يعكس كذلك الرغبة فى

اتخاذ قرار لارجعة عنه.. قرار نهائى بالانتمـاء إلى فئة يعرفون أنها مرفوضة.. وهو ما يشير إلى إصرار واضح وحاد ومتطرف على موقف بعينه.. ومن هنا تتزايد احتمالات رغبة هؤلاء فى الانعزال الكامل عن المجتمع.

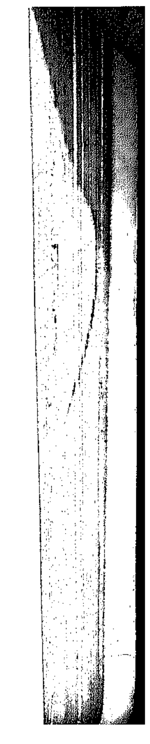
من جانب آخر، وليس أخيرا، يعبر دق الوشم عن نوع من الإيمان بـأفكار خرافية، قديمة، فى ضوء أن دق الوشم كان دائما مرتبطا بجماعات السحر والإيمان بالمعتقدات الميتـافيزيقية.. وهو ما يضـعنا أمام إشـارة جديدة لمدى انعـزال هؤلاء، ليس فـقط عن المجتمع .. ولكن عن العصر برمته.. رغم أنهم يحاولون الحرص على إعلان انتمائهم لثقافة الغرب عن طريق أحدث أنواع الموسيقى.

فى هـذا السيـاق يمكـن أن نقرأ دراسـة الدكتـور محمـد حافـظ دياب، التى كان عنـوانها: «الـكتـابة علـى الجسد - الـهوية والـسؤال الـسـوسيـولوجى». وهـى دراسة حصلت على نسخة مخطوطة منها عن طريق الزميلة الصحفية د. فاطمة سيد أحمد.

يقـول: فى المجتمـعات البـدائية كانـت ولاتزال تطبـع علامات خـاصة على جـباه أفرادها الـذين ينتـقلون من سـن المراهقة إلـى سن الرشد. هـذه العلامات عـبارة عن جروح وندوب يتعذر مـحوها، وهى تلعب دور الذاكرة الاجتماعـية، وتجعل كل فرد لاينـسى دوره ووضعه كـعضو ينـتمى إلى جـماعة عـمرية بعـينها. لـكن المجتمـعات المتحضرة لاتلجأ إلى هذا الآن.

يقول: ولفن الكتابة على الجسد تاريخ ممتد، يحوى تنويعات تشكيلية متعددة، تأخذ أحيانا شكل التلويـن أو الوشم أو التصليب أو التدوين. والكتابة مثـلت عند البدائيين شكلا من أشكال العرافة، باعتباره قوة عينية ذات أثر فعال.

يقول : ولـلكتابة عـلى الجسد عنـد المرأة تراث قديم، باعـتبارها كائـنا مختلـفا فى مجتـمع ذكورى، تحرص عـلى إظهار جسدها بشكـل مغاير، ولـكى تغرى، تـعجب وتؤسس علاقة مع الآخر تتخذ الصورة التى تحمـلها عن ذاتها مكانة أكبر من جسدها الحقيـقى.. فهى تـعطى العـالم قناعـا لكى ترتـب للجسـد مسافة مـا. هكذا تقـوم هى بأساليب التمويه التى تلصقها بجسدها حـين تكتب مباشرة عليه.. فتعطى عناية خاصة لفتحات وجهها «العين والفم» وللأظافر والشعر.



يقول: لقد تحدث عنه - أى عن الوشم - كتاب «الجفر» الذى يعتبر عمدة المؤلفات العربية فى السحر باعتباره من وسائل استحضار المندل والخدمات الروحانية.. واعتبره أبوحيان التوحيدى «هندسة روحانية بآلة جسمانية.. وتكلم الجبرتى عن البسملة التى كانت توشم على فروج عاهرات القاهرة فى أيامه.

يقول: سوف نتناول هنا حالات من التدوين الخطى تم جمعها من أربعة من ممارسى الوشم فى كفر شكر بالقليوبية.. فى النص الأول الذى كتب على صدر أحدهم كان الهدف أن يخدمه فى قضاء حوائج له تتصل بأمور المعيشة. النص الثانى كتب لشخص آخر على بطن الكف اليمنى لعلاج الصرع. النص الثالث كتب تحت الإبط الأيسر قريبا من القلب وهدفه إيقاع إحدى الفتيات فى حب من تم دق الوشم له. النص الرابع وكتب على الظهر هدفه الدعوة على ظالم.

هذه النصوص التى استخدمت فيها رموز سريانية وكلمات غريبة، هدفها تحقيق امور مختلفة. وقد اشترط محترفو دق الوشم على زبائنهم قبلها قتل الشهوة والامتناع عن المحرمات وممارسة بعض الأعمال كالتأمل والانقطاع فى الخلوة وتلاوة بعض التعازيم والآيات القرآنية واستعمال البخور والتعطر والامتناع عن تناول بعض الاطعمة.. وذلك كله - كما قالت كتب السحر - بهدف: «تقوية الهمة والإعانة على التخلص من غواشى الطبع»..

ويقول : غير أن أهم شيء هنا هو إيحاء محترفى دق الوشم للزبائن أنهم يجندون الكائنات التى تساعدهم على أداء هذا الطقس.

ويقول: ويتم الوشم، بتخطيط الرسم على الجسد أولا بالقلم، ثم وضع المسلة أو الإبرة على النار حتى تحمر، ثم يضع الممارس أستك فوق الإبرة المحماة على خطوط الرسم، فيذوب الاستك ويحفر علاماته، وينتهى العمل بغسل الجروح بالماء الممزوج بالملح السلطانى.

ويقول: إن الكتابة على الجسد مرتبطة بمصالح شخصية.. لقضاء حاجة أو تقديم

علاج. الذى يدق له الوشم يستسلم تماما لمن يفعل هذا. بل إنه مع اشتداد الألم أثناء دق الرسم بالإبرة يتخدج مثقلا بمحمولات تعبر عن نوازع التصديق اللاواعية على الرغم من جهله بمغزى هذا الطقس. والغريب أن معظمهم من الشباب وبعضهم يحمل شهادات علمية. وعلى رأس مطالبهم تغطية فشل عاطفى أو جنسى بعد فقدانهم الأمل فى تغطيته بوسائل أخرى.

ولكن الدكتور محمد حافظ دياب يجيب فى النهاية عن سؤال هام فى هذا الموضوع برمته، حين يقول: هل هذا سلوك فردى؟.. ورغم أن السؤال طرح قبل أن تفرض لعبة عبادة الشيطان نفسها على الساحة فى مصر.. إلا أن إجابته لم تكن بعيدة عن الحدث الذى جاء فيما بعد.. حين قال: هذه ظاهرة اجتماعية، تفرضها شروط تتخذ غالبا شكل الأزمة الفكرية.. حين تكون إجابات الواقع على أسئلة الأفراد بدون فعالية، فيكون اللجوء إلى التراث.. بما يمتلك من سطوة راسخة.. ومن خلال هذه الظاهرة يمكن فهم علاقة جماعات بعينها فى مصر بالقوى الخارقة أو تلك التى تعتقد أنها مسئولة عن القدر وعن أفعال الخير والشر.

انتهت قراءتنا فى الدراسة.

ولكن هل كان هؤلاء الصغار الذين يلعبون بالسحر الأسود من خلال حكاية عبادة الشيطان يدركون كل هذا الكلام الكبير؟ .. أشك .. ولكن المؤكد أنه يعبر عنهم.. وعن إيمانهم بالخرافة ورغبتهم فى التميز .. إن لم يكن الاغتراب. ومن خلال طريق شاذ يؤدى إلى تعذيب النفس.

■ ■

هذا الوشم كان يعبر أيضا عن بيئة خرافية تنمو فيها الأفكار فى مصر.. ومن هذه البيئة الغامضة نعود إلى القضية التى ثارت فى منتصف رمضان .

فقد تحولت القضية إلى وسيلة لتفجير المشاعر الدينية الكاذبة عن جماعات عديدة

ومختلفة، حتى بعد أن انتهت القضية تماما.. والدليل.. مثلا.. منشور أصدره ما يسمى بالتيار الإسلامى فى جامعة القاهرة تحت عنوان: «الطريق إلى عبادة الشيطان».. هذا المنشور رأى فى عمل فنى عادى أنه نوع من «عبادة الشيطان».. وأخذوا فى ذلك نموذج إعلان غريب على باب كلية التجارة يقول: إذا كنت تبحث عن حاجة باردة لتلطف بها الترم، نحن نمنحك الفرفشة .. تعال استمتع بموسيقى الروك والبوب على مسرح الكلية.. فقط بثلاثة جنيهات سوف ترى الجانب المضئ فى الكلية.. تذكر حفلتنا فى الترم الأول واستمتع بمزيد من المرح والإثارة فى هذه الحفلة»..

لقد وجد« التيار الإسلامى» فى هذا الإعلان طريقا لعبادة الشيطان.. ووجد فى هذه الحفلة وتلك الموسيقى نوعا من الاقتراب الجديد من تلك العبادة. وكان هذا بسبب الخلط الغبى والجاهل بين هذه العبادة وبين الموسيقى المختلفة والجديدة.

لكن الأمر لم يقتصر على هذا الحدث الذى استغله هؤلاء كى يعلنوا أنهم الأقرب إلى الله، وأنهم - كما يدعون - الأكثر حرصا على تعاليم الدين.. إذ سرعان ما استغل شيخ اسمه محمد حسان الجدل المثار حول القضية كى يطبع شريطا عليه خطبة عصماء له حول عبادة الشيطان.. روج فيها لمعلومات خاطئة وأكاذيب بلهاء عن أوهام زعم لمن يسمعونه أنها تحدث فى مصر.. بل ووجد الجرأة كى يؤكد أن هذا هو ما نشر فى الصحف وجاء فى تقارير الأمن.

لقد زعم محمد حسان هذا أن عبادة الشيطان لها طقوس تبدأ بالرقص العارى وسط الأمواج الصاخبة وتقدم فتاة عذراء على خشبة، عارية، وتغطى بالحبر الأحمر، ويغطى الكاهن وجهه بغطاء أسود.. ثم تتقدم عاهرات بملابس حمراء فى قداس أسود، ويضع كأسا مليئة بالدماء بين ثدييها - أى الفتاة العارية.. وبعد أن يشرب يمارسون الجنس مع هذه الفتاة.

وزعم هذا الشخص الغريب ـ أى الشيخ محمد حسان - أن كل هذا حدث فى مصر.

قد لا يبدو هـذا مهمًا، بل إنه يـبدو متوقعًا من جـماعات وجدت فى قضية عبادة الشيطان فرصة لـتزايد على عقائد الناس فى مصر.. لـكن الأخطر والأهم هو أن هذه الخرافات لم تقف عنـد هذه الجماعات، بل امتدت إلى شخصيـات من المفترض أنها مثقفة..

والدليل هو ذلك المقال الذى أثار ضجة أكبر فى مصر.

نكاح الشياطين

اسمه أحمد صـلاح الدين بدور، رئيس محكـمة أمن الدولة العليـا، وضع صفته تلك عـلى مقال نشر فـى صفحة الرأى فـى الأهرام خلال شهر فبـراير ١٩٩٧، تحت عنـوان: «الشـياطين الـصغار».. قـال فيـه كلاما غـريبـا وغامضـا ومثيـرا حول نـكاح الشياطين.. أفضل أنا هنا أن أنقله بالنص:

يوجب الإسلام على المرء قبل أن يؤمن بالشىء أن يفكر فيه ويعقله ولا يجيز له أن يقول مقالا إلا بعد أن يعرضه على العقل ويقـبله مصداقا لقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثـنى وفرادى ثم تتفكروا﴾ (سبأ: ٤٦) ولما كان كثير من الـناس لايعرف شيئا عن الشيـطان أكثر من كونه رمزًا للشـر، فقد رأيت من واجبى دينيا توضيح بعض الجوانب الخفية من حياة هذا المخلوق. فالشيطان هو نفسه إبليس وهـو من الجن وليس من المـلائكة، وقد أكد ذلك قـول الحق سبحانه وتـعالى: ﴿وإذ قلنا لـلملائكة اسجـدوا لآدم فسجدوا إلا إبليـس كان من الجن ففسـق عن أمر ربه﴾ (الكهف :٥٠).

وقد ورد لفظ الشيطان والشياطين فى القرآن ثمانى وثمانين مرة. والشيطان كلمة أصلها عبرى ومعنـاها العدو. و إبليس كلمة مشتقة من كلـمة «الإبلاس» ومعناها فى اللغة اليأس النهائى من رحمة الله، فقد قال له الحق سبحانه، تعالى: ﴿قال فاخرج منها فإنك رجيم. وإن عليك لعنتـى إلى يوم الدين﴾ (سورة: ص ـ الآيتان ٧٧،٧٨) ويعبر الناس عـن ذلك بالمثـل الشعبى الـقائل «عشـم إبليس فى الجـنة». وإذا كان إبليـس قد رفض الأمر الإلهى بـالسجود لآدم متصورا بغبـائه أن النار التى خلقه الله مـنها أفضل

من الطين الذى خلق منه آدم، وأنه لايجوز للأفضل أن يسجد للمفضول فقد نسى هذا الجاهل أن العكس هو الصحيح فالنار ترمز إلى الهلاك والدمار والطين يرمز إلى النبت والازدهار. وقد خلق الله سبحانه وتعالى الشيطان قبل الإنس، ويؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون والجان خلقناه من قبل من نار السموم﴾ (الحجر: ٢٦، ٢٧) والشيطان يتزوج ويتناسل مثل البشر تماما، وهذا ما يؤكده الحق فى قوله تعالى: ﴿أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو﴾ (الكهف: ٥٠). وذرية الشيطان.. أى الشياطين الصغار- تموت مثل باقى المخلوقات مصداقا لقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿كل من عليها فان. ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ (الرحمن: ٢٦،٢٧) ولكن الله سبحانه سيطيل فى عمر إبليس الكبير - أى الشيطان الأب - إلى يوم القيامة، ويؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿قال أنظرنى إلى يوم يبعثون. قال إنك من المنظرين﴾ (الأعراف: ١٤،١٥).

وقد يتزوج الشيطان من نساء الإنس وهى حقيقة، لامراء فيها ولا جدال، ويؤكدها قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وشاركهم فى الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا ﴾ (الإسراء: ٦٤)، وكثيرا ما ينكح الشيطان المرأة من الإنس، ويكون ذلك إذا أتاها زوجها وهى حائض، فقد قال ابن عباس: إن الشيطان يسبقه إليها فتحمل منه، ولهذا نهى الحق سبحانه الرجل من مباشرة امرأته وهى فى هذه الحالة، فقد قال تعالى: ﴿فاعتزلوا النساء فى المحيض﴾ (البقرة: ٢٢٢) وكذلك ينكحها الشيطان إذا أتاها زوجها دون غطاء يستر عورتهما، كما ينكحها إذا أتاها زوجها قبل أن يستعيذ بالله، فقد قال الرسول الكريم: «إذا جامع الرجل زوجته ولم يسم انطوى الشيطان إلى إحليله فجامع معه» والمولود فى كل هذه الحالات هو فى حقيقته ابن الشيطان، وليس ابن هذا الزوج المخدوع الذى تسمى باسمه فى شهادة الميلاد زورا وبهتاناً. وكثيرا ما نسمع بعض العامة وهم يقولون «دول ولاد أبالسة». أو «ولاد شياطين» وهى عبارة لها أساسها العلمى الصحيح. وأولاد الشيطان من نساء الإنس هم المخنثون أى الشواذ جنسيا، كما قال ابن عباس، ولهذا فإنه ليس غريبا أو مستغربا أن يميل هؤلاء المخنثون إلى والدهم الحقيقى وهو الشيطان فيحبونه إلى درجة التقديس

ويعتبرونـه القدوة والمثل الأعلى لهـم فى تصرفاته المهيـنة وسلوكياته المشـينة، لأنه من الطبيعى أن يحب الابن أباه ويقلده ويترسم خطاه ومن شابه أباه فما ظلم.

■ ■

هذا المقال الذى روج فيه رئيس محكمة أمن الدولة العليا لفكرة أن هناك شيطانا يمكـن أن يضاجـع إنسـانا، بل يـنجب مـنه، أعـتبره نـوعا من الإيمـان بأفـكار السـحر الأسود.. وأظـنه أيضا تـعبيرا عـن إيمان أشخـاص كثيريـن - ذوى أهلية - بـقدرات الشيطان.. فما بالنا بالأطفال الصغار..

إن الفريقين متسـاويان. فقط الصغار يفعلون هذا مع الموسـيقى، وفى إطار موضة وروشنة، والكبار يعلنون هذا فـى إطار أفكار يظنون أنـها دينية.. رغـم أنهـا غارقة فى الجهل.

ولقد كـانت خطورة هـذا المقال فى أنه أوحـى بأفكار شاض كان يمكن أن يـحاكم هؤلاء الأطـفال لو أن الـقضيـة أحيلـت إلى محـكمة أمـن الدولة.. والـذى حدث - والحمد لله - هـو أنها لم تُحـل.. وإلا لكان هذا القاضـى أصدر أمرا بإعدام الشباب الصغار باعتبار أنهم أبناء شياطين.

وقد رد على هذا المقال كثيرون، لكننى أختار هنا أبرز وأهم رد.

الرد على المصيبة

الدكتور أحمد صبـحى منصور، عالم أزهرى قرآنى.. كلفته روز الـيوسف بكتابة رد علـى هذا المقال المـصيبة، ونـشرت رده هذا فـى يوم ٣ مارس ١٩٩٧.. وقد كـتب يقول : ونحن نثـرثر بأهمية التأهب العلـمى والفكرى للحاق بالقـرن القادم، ومواكبة ثورة المعلومات والاتـصالات والأرقام، فاجأتنا قضية «عـبدة الشيطان» لتقوم بتـعريتنا دينيا وفكريا واجتماعيا.. فقد أثبتت لنا أننا تقدمنا إلى الخلف مائة عام بالضبط.. أى أننا كنا فى أواخر القرن التـاسع عشر مؤهلين فعلا لأن نلحق بالقرن العـشرين، فأصبحنا فى أواخر القرن العشرين غير مؤهلين لأن نلحق بالقرن التاسع عشر.

وبالطبع هذا كلام نظرى يستوجب الدليل.. وإليكم الدليل فى صورة عرض تاريخى فكرى سريع.

فى أواخر القرن التاسع عشر كتب الإمام محمد عبده فى تفسير سورة البقرة، ينفى عن النبى محمد ﷺ العلم بالغيب، ويؤكد ذلك من خلال الآيات القرآنية التى تعلن وتؤكد أن النبى ﷺ لا يعلم الغيب، ومعنى ذلك أن كل الأحاديث المنسوبة للنبى ﷺ فى الكلام عن غيوب المستقبل والآخرة وأحوالها، وعن عوالم الجن والشياطين والملائكة، كلها لم يقلها النبى ﷺ.. لأنه لا يعلم الغيب.

وماكتبه الإمام محمد عبده فى تفسيره «المنار»، يتفق مع منهجه الفكرى فى اعتبار كل الأحاديث مجرد أحاديث آحاد تفيد الظن. ولا تفيد اليقين، ولا يؤخذ بها فى أمور الاعتقاد، ومنها السمعيات أو الغيبيات، وهو منهج أكثرية المحققين فى الحديث، خصوصا فى عصور الاجتهاد، وكانت حركة الإمام محمد عبده فى أواخر القرن الماضى عودة بالفكر الإسلامى إلى عصر الاجتهاد، ليواكب التقدم العلمى المتزايد «وقتها»!!

ولكن حركة الاجتهاد التى قام بها محمد عبده صادرها وأجهضها تلميذه رشيد رضا، إذ حولها إلى حركة فكرية سلفية، ثم تحولت الحركة الفكرية السلفية إلى حركة سلفية سياسية تطمح للوصول إلى الحكم، وذلك على يد الشيخ حسن البنا تلميذ الشيخ رشيد رضا، والدليل على تنكر رشيد رضا وخيانته لفكر أستاذه الإمام محمد عبده نراه فى تفسير المنار نفسه، فالشيخ رشيد رضا يؤكد فى مقدمة تفسير المنار أن الإمام محمد عبده توقف فى التفسير عندالآية (١٢٦) من سورة النساء، فقام رشيد رضا باستكمال الكتاب، وهنا نجد التناقض بين تفسير الإمام، وتفسير تلميذه، خصوصا فى موضوع علم النبى ﷺ بالغيب، ذلك الذى ينفيه محمد عبده مستدلاً بآيات القرآن، ثم يؤكده رشيد رضا مستدلاً بأحاديث كاذبة، وكل ذلك فى نفس الكتاب.

وفى سياق دعوة الشيخ حسن البنا السياسية وانتشارها، انتشر فى إطارها الفكر

السلفى، وجاءت الثورة فأجهضت حركة الإخوان سياسيا، ولكن تسامحت مع أيدلوجيتها الدينية السلفية، ومع ذلك فإن بصيصا من مدرسة الإمام محمد عبده انطلق يضىء جنبات الأزهر خلال مشيخة الإمام محمود شلتوت فى عهد عبدالناصر، وفيما يخص موضوعنا، فقد كتب الشيخ شلتوت فى مقدمة كتاب الفتاوى المنشور سنة ١٩٥٩ عن موضوع الجن والشياطين بمنهج تقدمى عقلانى، وإن كان أقل وضوحا من الإمام محمد عبده، الذى سبقه بأكثر من نصف قرن.. (لاحظوا التقدم إلى الخلف).

فقد قال الشيخ شلتوت إن صلة الجن والشياطين بالإنسان لا تتعدى الوسوسة والتزيين للشر، أما ماعدا ذلك فكله أوهام، وجعل من الأوهام ظهورهم للإنسان العادى بصورتهم الأصلية أو بغيرها، ودخولهم جسم الإنسان، والتزاوج بينهم وبين الإنسان، واستخدامهم فى جلب الخير أو دفع الشر.. وأكد الشيخ شلتوت على أن هذه الأوهام خارج المصادر الشرعية القطعية اليقينية.

وباستحياء شديد يناسب التراجع أو التقدم للخلف أشار الشيخ شلتوت إلى الأحاديث التى تثبت هذه الأوهام عن رؤية الجن والشياطين والتعامل معهم، فقال أنها حكايات جعل منها الفقهاء مادة للتدريب على تطبيق الأحكام الفقهية، ولايصح أن تكون دليلا أو شبه دليل على الوقوع والتحقق، ثم قال: «فلنتركهم على سنتهم يفترضون، ومردنا إلى القرآن الكريم».

وكان المفترض أن يبنى الشيخ شلتوت على فكر أستاذه محمد عبده، ولكن المناخ تراجع، وعلا الصوت السلفى، فاضطر الشيخ شلتوت، وهو شيخ الأزهر أن يعالج الموضوع بدبلوماسية، ولم يضع النقاط على الحروف، وعذره أنه كانت له تجربة سابقة فى المعاناة مع الشيوخ، أجاركم الله!!.

ولكن هذا البصيص الضئيل من الاستنارة أطاح به النفوذ السلفى الذى عاد فى عصر السادات، وانتشر عبر قطار النفط السريع إلى عقول وقلوب الناس، فأصبح الفكر السلفى هو الممثل للإسلام مع أنه كان فى عصور الاجتهاد يسمى بالحشوية، أى

الذين يحشون عقولـهم بأوهام وخرافات لا تصمد أمام العقل، فيضـطرون لصياغتها فى أحاديث حتى تتحصن من النقد والانتقاد.

وفى عصر الفكر السلفى فوجئنا بعبـادة الشيطان، أو عبدة الشيطان، وكتب كثيرون فى الموضوع، ولكن أبرز ما يعـبر عن مأساتنا الفكرية السلفية هـو ما كتبه قاض فاضل فى صحـيفة قومـية كبرى، يـقول فى لهـجة الواثق: «وقـد يتزوج الشـيطان من نـساء الإنس، وهى حـقيقة لامـراء فيها، ولا جدال، ويـؤكدها قول الحق سبـحانه وتـعالى: ﴿وشاركهم فى الأموال والأولاد﴾.. الإسراء: ٦٤، وكثيرا ما ينكح الشيطان المرأة من الإنس، ويكون ذلـك إذا أتاها زوجها وهى حائـض، فقد قال ابن عباس: إن الـشيطان يسبقه إليـها فتحمل منه، ولهذا نهـى الحق سبحانه الرجل من مبـاشرة امرأته وهى فى هذه الحالة، فـقال ﴿فاعتزلوا الـنساء فى المحيض﴾ .. الـبقرة: ٢٢٢، وكذلك ينـكحها الشيطان إذا أتاها زوجهـا دون غطاء يستر عورتهما، كما ينكحـها إذا أتاها زوجها قبل أن يسـتعيذ بـالله، فقد قال الـرسول الكـريم ﷺ: «إذا جامع الرجـل زوجته ولم يُسمِّ انطوى الشيطان إلى إحليله فجامع معه»، والمولود فى كل هذه الحالات هو فى حقيقته ابن الشيطان، وليس ابن هـذا الزوج المخدوع، الذى تسمـى باسمه فى شهـادة الميلاد زورا وبهتانا .. وأولاد الشيـطان من نساء الإنس هم المخنثون، أي الشواذ جـنسيا، كما قال ابن عباس.. ولهذا فإنه ليس غريبا أو مستغربا أن يميل هؤلاء المخنثون إلى والدهم الحقيقى وهو الشيـطان، فيحبونه إلى درجة التقديس، ويعتبـرونه القدوة والمثل الأعلى لهم.. ومن شابه أباه فما ظلم..» .

وهكذا تـقدمنا أو تـراجعنا إلـى الخلف مائـة عام.. وحاولنـا بتفسـيرات مغلـوطة، وأحاديث كـاذبة لم يقلهـا النبى ﷺ أن نثبـت أوهاما لا أصل لها فـى الإسلام، ولا فى القرآن، ولـم يعرفها عصر النبى ﷺ، وضاع كـل الاجتهاد الذى ساد فى القرنين الثانى والثـالث.. كـما ضاع اجـتهـاد محـمد عبـده ، ومحـمود شلـتوت، وكـل عام وأنـتم بخير!!..

إن ما قاله القاضى الفاضل عن علاقة الشيطان بالإنس يستند إلى أحاديث فيها أن النبى ﷺ يتكلم فى الغيب، وذلك يخالف القرآن الذى يؤكد على أن النبى لا يعلم الغيب، وليس له أن يتحدث فيه، كما استند إلى آيات قرآنية تتحدث فى سياق آخر، فقد استدل على زواج الشيطان بالنساء بآية: ﴿وشاركهم فى الأموال والأولاد﴾، وجعل المشاركة زواجا، ولو اتبع نهج القرآن ومفاهيمه ومصطلحاته، لأدرك أن علاقة الشيطان بالإنسان تدور فى إطار الوسوسة والهمز والتزين والنزغ، أى الإضلال والإيقاع فى الشر بالتأثير على الإنسان ونفسه.. دون جسده.

أما على المستوى الجسدى المادى، فليست هناك أدنى علاقة بين الإنسان والشيطان، فالله تعالى يقول لنا: ﴿إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم﴾ «الأعراف ٢٧»، أى هو يرانا ونحن لا نراه، وذلك يعنى اختلاف المستوى الوجودى بيننا وبينه، وهذا يعنى أنه من عالم الغيب، أى العالم الذى يغيب عن عالمنا المادى وحواسنا الجسدية، وبالتالى فأى اتصال جسدى مستحيل بين العالمين، وكل ماهناك هو غواية يقوم بها على المستوى النفسى والنفس كائن برزخى ينتمى إلى نفس عالم الغيب، ومن الممكن النجاة من كيد الشيطان ووسوسته وشروره بالاستعاذة بالله تعالى منه.. وكفى الله المؤمنين القتال!!.. لذلك فإن الله تعالى يقول عن كيد الشيطان: ﴿إن كيد الشيطان كان ضعيفا﴾ «النساء ٧٦».

ونعود إلى الكاتب الذى يستدل بتحريم القرآن مباشرة الزوجة فى الحيض، وهو يربط هذا بنكاح الشيطان المشترك مع الزوج لزوجته حين الحيض، ويؤسس تحريم القرآن للمباشرة فى الحيض على هذا السبب، وهذا لا يتفق مع منطق الآية وسياقها، ومقصدها التشريعى، وذلك يبدو من قوله تعالى: ﴿ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن﴾.

فالتحريم لأن المحيض أذى، ويجب امتناع المباشرة وقت نزول هذا الأذى، وحلوله بالمرأة، فأين موقع الشيطان هنا؟.. كما نتذكر أن السياق القرآنى فى الحديث عن الشيطان قد حوى كل شيء يخص الشيطان وعلاقاته بالبشر، وغير البشر، سواء

فى القصص القرآنى أو فى التشريع القرآنى، وذلك فى إطار أن علاقته بنا لا تتعدى الإضلال النفسى، وأنه لا يمكن أن نراه، وأن كيده بنا ضعيف، ويمكن النجاة منه بالاستعاذة بالله تعالى مباشرة، وغير ذلك أوهام لا وجود لها إلا فى خيالات بعض الناس وتراثهم، وهذا يدخل بنا على رؤية قرآنية وسسيولوجية لقضية عبدة الشيطان.

ونعطى أمثلة لبعض أنشطة الشيطان المسيطرة على حياتنا الدينية:

١- فالضريح المقدس هو مجرد بناء من تراب وطين وأسمنت وزجاج ورمل وأخشاب، وتحته رفات ميت، ومواد البناء هذه ندوسها بأقدامنا، ومع ذلك تصبح مقدسة نركع أمامها ونخشع.. والسبب أنها تقوم فوق رفات رجل صالح، أو يقال أنه كذلك.. مع أننا لو فوجئنا برفات ذلك الرجل ينتصب أمامنا من الضريح لولينا الفرار.. إذن فأين عقولنا حين نقف خاشعين عابدين أمام الضريح المقدس؟ الإجابة أن الشيطان هو الذى أقنعنا بالأوهام والأساطير.. إذن فتلك الأضرحة التى لا تختلف عن أى بناء آخر إنما هى من صنع الشيطان، هو بالطبع لم يصنع مواد البناء، ولم يقم بالبناء، وإنما هو الذى اقنعنا بأن تلك المواد الطينية والخشبية تستحق التأليه والتقديس.. كل ذلك يوجزه قوله تعالى لنا: ﴿ ياأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾ «المائدة :٩٠»، فالأنصاب هى القبور المنصوبة للتقديس أى الأضرحة.. والله تعالى يحذر المؤمنين من عبادتها، ويأمر باجتنابها.. ومع ذلك فالمؤمنون عليها يعكفون.. ولا يزالون .. أليس هذا عبادة للشيطان؟

٢- وهذه الأحاديث التى لم يقلها النبى ﷺ، والتى تخالف القرآن، وسنة الله تعالى ورسوله، من الذى وسوس للناس بها؟ القرآن يسميها وحيا شيطانيا «الشعراء: ٢٢١»، والله تعالى يجعل أصحاب تلك الأحاديث أعداء للنبى، ويصف فى دقة بالغة أولئك الناس، ويدعو للاحتكام للقرآن فى شأنهم «الأنعام ١١٢ : ١١٦» ومع ذلك فإن أكثرية الناس يتبعون تلك الأحاديث المخالفة للقرآن.. وهم على ذلك قائمون.. أليس هذا عبادة للشيطان؟

٣- ويتعاظم دور الشيطان فى الإضلال عندما يسود الاحتراف الدينى والتدين المظهرى السطحى، خصوصا فى عصور الإحباط السياسى والاجتماعى، حينئذ ترى علامات التدين منتشرة على الوجوه فى اللحى والنقاب والجلباب والمساجد والقباب، وتجد فى نفس الوقت مظاهر الفساد والانحلال والشعور بالتفوق الدينى والاستعلاء العقائدى، وكل ذلك يرتبط بالتفكير والتعصب والجمود والتقليد.

حينئذ يبحث الناس عن فتوى لكل بدهية، وعن استدلال دينى لكل تحرك وتصرف.. وتتقافز فتاوى التحريم، لتحرم ما أحل الله، وعن طريق الترهيب والتكفير يرتدى الوعاظ زى الاجتهاد ، ويفتون بكل شىء بدءا من نقل الأعضاء إلى الطب والتداوى.

هنا تتربع سيطرة الشيطان، وهنا أيضا يتحول المفهوم القرآنى عن «المس الشيطانى» من معنى الغواية والإضلال إلى حكاية أخرى مؤداها أن الشيطان يلبس الأجساد، فيحدث بها المرض، أو يتزوج النساء وينجب أطفالا من العفاريت.. وهنا أخيرا.. تسود الخرافة بعد أن ارتدت زى الدين، وتتم عبادة الشيطان الكاملة، فإذا سقط بعض الشباب فى تقليد الغرب فى مجونه الغربى جاءت التحليلات من نفس الثقافة تسمى ذلك تزاوجا بإبليس، وإنجابا منه، وامتزاجا عضويا به، مع أنه لا فارق نوعيا بين المس الشيطانى فى مفهوم أهل الاحتراف الدينى، وبين عبادة الشيطان لدى أهل الغرب العلمانى، اللهم إلا أن الغرب العلمانى أكثر صراحة وأقل نفاقا.

٤- ولكن ما الذى أوجد لدينا هذا التنوع فى عبادة الشيطان؟ هنا ندخل على الظروف الاجتماعية والاقتصادية.. فى عصرنا الراهن أصبح واحد فى المائة من المصريين يملكون ٩٩٪ من الثروة، وبدأت الطبقة الوسطى فى التآكل والتلاشى، والتعليم الذى كان فى عهد عبد الناصر طريقا لصعود الطبقة الدنيا إلى الطبقة المتوسطة، ومن الطبقة المتوسطة للعليا، انتهى دوره الآن فى تذويب الفوارق بين الطبقات، لأن الوصول للطبقة العليا أصبح محكوما بالعلاقات بين الثروة والسلطة، ومانتج عن ذلك من فساد إدارى وسياسى واقتصادى، نتج عنه اختلال المعايير وارتفاع الأسوار أمام الطامحين للارتقاء، إلا من خلال ثقوب يصنعها الفساد بمعرفته وقوانينه.

وهذه الفجوة الهائلة بين أغلبية عظمى لا تملك، وأقلية ضئيلة تملك وتحكم أدى إلى اتجاه الشباب اليائس المقهور إلى التطرف والتدين المغلوط، خصوصا مع استشراء الفكر السلفى، وقيامه ممثلا للإسلام خلال أجهزة الدولة، ولهذا أصيبت الأغلبية بثقافة المس الشيطانى، وخرافات الجن والعفاريت.

أما الشباب الآخر، فقد كانت له معاناته المختلفة، فالآباء مشغولون باقتناص كل ما يمكن اقتناصه، وبالتناحر والتفاخر، وليس لديهم وقت لرعاية الأبناء، ويعوضون هذا القصور بالإغداق عليهم بالأموال، وحتى لو أعطوا الأولاد اهتماما، فأولئك الآباء ليسوا قدوة صالحة للأبناء، وليس المال الذى يرتع فيه الأبناء مالاً حلالاً يثمر فى هداية الذرية، ثم هذا الشباب الذى يعانى من الوفرة وتوافر كماليات الكماليات... ويعانى من الفراغ والملل من ممارسة كل المتع ولا يقلق على مستقبل هذا الشباب الذى يعانى من الانفصام التام بينه وبين مجتمعه الكبير ووطنه.. بل وأسرته الغائبة عنه لابد له من مجال يدفن فيه معاناته، ومن الطبيعى أن تتكفل الحضارة الغربية ومنجزاتها بتوفير الوسائل التى تمتص وقته وحياته.. وتصل به إلى نوع آخر من الانتحار النفسى والجسدى، لا يختلف كثيرا عن صرعى المس الشيطانى... إذن تتجمع الخطوط فى النهاية إلى تأدية طقوس واحدة هي عبادة الشيطان، إما بصورة ضمنية يمارسها أصحابها وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا (الكهف ١٠٤)، وإما بصورة واضحة صريحة لا تختلف هى الأخرى عن أقاويل بعض الصوفية فى تمجيد إبليس، ولا تختلف عن طريق اليزيدية فى عبادته.

وحتى تكتمل الصورة فإننا نختم بالقرآن، وهو يحذرنا بعد أن حكى قصة هبوط آدم، ويقول تعالى لنا: ﴿يابنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لاترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون﴾. «الأعراف ٢٧»، أى هناك موالاة بين الشيطان والذين لا يتبعون المنهج الإلهى، ويوم القيامة سيقول لنا رب العزة : ﴿ألم أعهد إليكم يابنى آدم أن لاتعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين. وأن اعبدونى هذا صراط مستقيم . ولقد أضل منكم جبلا كثيرا أفلم تكونوا تعقلون﴾ «يس ٦٠: ٦٢»، أى أن عبادة

الشيطان مستمرة فى كل جيل.. وذلك من خلال تقديس الأحجار والبشر، ومن خلال الافتراء على الله تعالى ورسوله.. والعاصم من ذلك هو كتاب الله تعالى المنزه عن كيد الشيطان فى التحريف والتحوير.

ولعلها تكون لحظة صدق نراجع فيها أنفسنا وعقائدنا.

إنتهى الرد على المصيبة.

■ ■

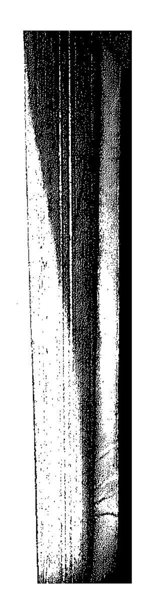
حين تفاعلت القضية وردت فيها أسماء كثيرة.. أغلبها لأفراد من عائلات مشهورة.. ومن عائلات ثرية.. كل هؤلاء طليق الآن.. لكن الصحف التى كانت ماكيناتها تبحث عن أى شيء تلتهمه.. أى شيء... لم تترك أحدا فى حاله.. وضعت اسم ابنة ممثلة.. وابنة موسيقى معروف.. وابن محافظ.. وغيرهم.. ضمن المتهمين فى القضية..

والواقع أن كل واحد من هؤلاء كانت له علاقة بشكل أو آخر بالموضوع.. إما عن طريق الموسيقى.. أو عن طريق الإيمان بالخرافة وأفكار السحر الأسود.. وبالطبع هناك فرق واضح بين الاثنين ... لكن الضجة أصابت كل هؤلاء بالكثير.. بشروخ متفرعة فى النفس. وبالتالى فإننى ها أرصد تجربة أحد آباء هؤلاء وما حدث له.

زمن طيور الظلام

لاداعى لذكر اسمه، يكفى أن نقول أنه سيناريست معروف، ومنتج سينمائى بارز، متزوج من ناقدة شهيرة ، قبطى.. والصفة الأخيرة هامة هنا.. لأنه اعتبر أن ما يجرى كان يوظف فى اتجاه الفتنة الطائفية.. وقد كان هذا إلى حد بعيد صحيحا. لكنه رغم هذا كتب تلك الرسالة بصيغه المسلم كى لا يلفت الأنظار إلى شخصيته الحقيقية. لكننى - في إطار أوسع - أفسح المساحة التالية لما قاله وعبر فيه عن آلامه فى الليالى السوداء التى عاشها مع ابنه حين انفجرت القضية.. يقول:

أكتب إليكم هذه الرسالة ولا أخفى عليكم مدى خوفى مما يمكن أن تسببه لى، أو بالأحرى لابنى من إمكانية إعادة القبض عليه، رغم قرار نيابة أمن الدولة بالإفراج عنه



بعد أربع وعشرين ساعة فقط من الزج به ضمن كشوف من أسموهم «عبدة الشيطان»، بعد ماثبت لها عبر تحقيقها معه بطلان كل ماجاء فى محضر تحريات مباحث أمن الدولة عن هؤلاء المقبوض عليهم، وحيث خرج دون كفالة أو ضامن أو حتى إجراء «فيش وتشبيه» له.

ومبعث خوفى أن يعتبروا ما سأكتبه بمثابة تحد لهم فيتم عقابى بإعادة القبض عليه، كذلك ما أفادنى به المحامون أنه عملاً بهذا الإفراج أصبح خارج دائرة الاشتباه لكن قانوناً لا.. فالتحقيق مازال مفتوحاً، ويمكن أن يجد أى جديد يجعلهم يأخذونه مرة أخرى، وضع تحت «أى جديد» هذه مائة خط.. لكنى وبعد كثير من التفكير قررت أن أتشجع وأسلم أمرى لله العلى القدير، مسطراً إياها إليكم، حتى أثبت لهذا الابن الذى كم تحليت بصفات الثقة بالنفس والشجاعة والإعتداد بالكرامة أمامه طوال عمره أننى أهل لكل ماقلت، ولا يرهبنى أمام الحق أى قوة مهما بلغ جبروتها، وحتى أعيد إليه ثقته بنفسه وكرامته التى أهدرت فى لحظة واحدة بعد مامورس عليه فيما يشبه كابوس.

بل قل كابوس واقعى.. لأنه لا ينتهى بالاستيقاظ، وتأخذ ابنك فى حضنك ويسعد أيما سعادة لما تبين له ذلك، إنما هو مستمر بآثاره حتى الآن، ولا يعلم إلا الله مدى الشرخ الذى أصابه، وحتى لو داويناه بمثل هذه الرسالة أى ندوب ستظل بارزة فيه، أو ما قد يحدث له بعد سنوات، فالشرخ كثيراً مايعود تأكيداً لمثلنا الشعبى الذى يقول: «اللى ينكسر عمره ما يتصلح»، خاصة إذا كان المكسور رقيقاً رهيفاً محباً للحياة.. محباً للموسيقى والشعر والفن.

إنها إذن يا صاحبى قضية مزدوجة فى علاقة الأب بابنه، وعلاقة هذا الابن بنفسه الذى سأرحل يوماً لا محالة وأتركه يواجه هذا الزمن العجيب الذى يعيشه بمفرده، زمن طيور الظلام والفساد والإرهاب وسقوط ناطحات السحاب ونهب البنوك.. زمن ارتدى فيه الباطل ثوب الحق ، وتوارى الحق خائفاً مذعوراً.

فى الساعة الرابعة فجر الأربعاء ٢٢ يناير ١٩٩٧.. الموافق ١٣ رمضان ١٤١٧هـ.. سيارة شرطة تتوقف أمام سكنى، يخرج منها عدد من الضباط يحملون الأسلحة الأتوماتيكية، يطرقون باب بيتى، كنت للتو نائماً بعد تناول السحور، أفتح لهم.. يسألون عن ابنى الطالب بالجامعة، ولم يبلغ بعد العشرين.. لماذا؟!.. نريده ليجيب عن بضعة أسئلة بشأن موضوع، ومعنا أمر نيابة بذلك والتفتيش.

ويستيقظ أهل البيت زوجتى والأبناء، وهو من بينهم، وكلنا على رؤوسنا الطير.. والصدمة والخوف يعقدان ألسنتنا. وأقدمه لهم رغم فرائصى التى بدأت ترتعد، هذا هو الابن المطلوب، ويبدو عليه التعجب: ماذا فعل.. فيحاولون بكل ما يتمتع به بعضهم من كياسة ووعى بالقضية القادمين بشأنها التخفيف عنه وعنا، أنها مسألة بسيطة، بينما تفضح عيون البعض الآخر حالة من الاستنفار الذى يعكس شيئا من نفاد الصبر، فهم أمام مهمة مفروض أن يؤدوها بآلية تعودوا عليها عبر سنين من مواجهة الإرهاب، ومن ثم هى شكة دبوس، فما الجديد المختلف هنا، وكان هذا هو التناقض الأساسى، لكن ما أنهى الأمر هو بساطة تقبل ابنى لما عرض عليه، ربما متصوراً أنهم سيسألونه عن شىء لا علاقة له به، وسينفيه، أو فى أقصى الأحوال حادثة وقعت سيدلى بشهادته حولها.

وفى إطار براءة الابن الواضحة فى عينيه تقبلنا جميعاً، لكن مابعث فجأة على الشك هذا الطلب الغريب من الكيسين إلقاء نظرة فاحصة على حجرته، وهكذا أسرعوا إليها، مقلبين فى كل أوراقه وكتبه، وحيث لم يجدوا شيئا ذا بال، وحينما ارتدينا ملابسنا للخروج معه ومرافقته رفضوا موضحين أن الأمر لن يتعدى ساعة وسيعود إلينا، هنا بدأت الشكوك تتجمع، ووجدت نفسى بلا وعى أرفض القبول، حيث بدأت أتذكر القصص والأفلام التى عالجت مثل هذه المواقف وأن الأمر ربما يحمل فى طياته ما هو أخطر، وهكذا فى كياسة ثانية وافقوا على ذهابى خلفهم بسيارتى وكل جسدى أصبح يرتعد دون إرادة.

وفى مكان خلف كازينو مشهور بين مدينة نصر ومصر الجديدة.. هذا الكازينو كم ذهبت إليه مع العائلة لقضاء أوقات لطيفة كرجل من الطبقة الوسطى لا يستطيع التوجه إلى فنادق الخمس نجوم، هذا المكان الجديد الاكتشاف هو مبنى تابع لجهة أمنية خطيرة هى (مباحث أمن الدولة)، ومع وصولنا بدأت تتضح لى الحقيقة المرعبة، عديد من سيارات الشرطة أتت وتأتى بشباب مشابهين تماماً لابنى.. وبسرعة البرق يزج بهم للداخل.. وآباء وأمهات وأخوات عديدون متجمعون وآتون يهرولون بسياراتهم مثلى وزوجتى، خلف أبنائهم حتى وصلنا جميعاً فجأة إلى حائط صد من كل ما يمكن تخيله.. من أشكال وملابس ورتب الشرطة تحول دون اقترابنا من مدخل المبنى. ونظرات حادة وسلوك صارم يصل إلى الفظاظة موضحاً أنه انتهى عهدكم بأولادكم عن ضناك .. أو بالأحرى الذى أصبح متهماً الآن، هكذا صرحوا بها هذه المرة بكل ثقة، فى الوقت الذى تحذر عيونهم أنك إذا أردت المقاومة، فليتك تستعيد خزين ذكرياتك إذا كان لديك تجارب سابقة، وتفكر جيداً أنك ستعرض نفسك للأذى (فاشترى نفسك) بالبلدى، وهكذا وجدت الذين لديهم خبرة بمثل هذه الأماكن يتراجعون، أما الذين ليس لديهم ومنهم أنا فنتراجع معهم لا شعوريا، وبعد أن بدأوا فى تحذيرنا أننا جميعاً من الآن أصبحنا متفرجين أمام شيء خطير مجهول يعرفونه هم، وإن كان تطوع أحد الأهالى بقوله: أنه نجح أن ينتزع من أحد الضباط أن الأمر يتعلق بشيء مثير وهو «عبادة الشيطان».

شيء أعجب من الخيال.. ابنى يضع المصحف على الكومودينو بجوار فراشه، وآخر يصرخ وابنى يضع الإنجيل تحت وسادته، لكن تلك هى الحقيقة.. وذلك هو مايعصف بأبنائكم هذه اللحظة.. وكلمة واحدة من حائط الصد اذهبوا إلى بيوتكم وعودوا حينما ينتصف النهار.

عدنا فى الثانية عشرة، بينما أبى آخرون إلا البقاء لكن الذين ذهبوا أو بقوا وضحت عليهم بداية علامات الانهيار خصوصاً بعدما بدأوا يستشيرون محامين، واستطاعوا عبر ضباط أقارب كبار فى نفس الجهاز معرفة الحقيقة كاملة، تضارب الآراء ما بين التهوين أن الأمر كله لن يتعدى شد آذان هؤلاء الشباب باعتبارهم

انخرطوا فى أشياء شاذة.. وبين أن الأمر جد خطير، وأن ثبوت شكل تنظيمى عليهم يعنى .. قضية وسجنا.. وانتهى الأمر بترحيل ٢٦ من المقبوض عليهم إلى نيابة أمن الدولة فرع مصر الجديدة (محطة المحكمة)، وكان ابنى من بينهم. والسبب أنه من بين الذين لم يضبط معهم أى شىء.

وكعادة المحامين هونوا أكثر (لا تخافوا إذن لأنه لا دليل عليهم)، ماهى الأدلة والمضبوطات؟ صور لمطربين أجانب.. أفيش لحفل صور بالفيديو لمكان يدعى نايل جرين أقيم فيه حفل مارسوا فيه عبادة الشيطان، وماذا أيضا؟ شرائط كاسيت لموسيقى تدعى (هيفى ميتال ... وبلاك ميتال).. صرخ أحد الآباء، أستاذ بكلية الهندسة، هذه الأغانى والموسيقى تذاع عبر القنوات الموسيقية فى الدش، مثل (M.T.V) . (M.C.M)، بل إن سلسلة شبكة C.N.E المصرية تتضمن قناة M. T. V، هذا هو ما سيتضح لما يعرضوا على النيابة.. وإن شاء الله خير.

أمام نيابة أمن الدولة، انقسم الجمع الكبير، انضممت إلى أهل الشباب الستة والعشرين الموجودين أمامها، وقفت وسط حائط الصد إياه.. الآن أصبحنا بالنهار... والدنيا كلها تشاهد هؤلاء ذوى الملابس النظيفة، فجأة سمعته يصرخ علىّ - ابنى - تلفت بجنون، اكتشفت وجهه خلف طاقة حديدية فى سيارة ترحيل كبيرة، وبوجهه البرىء يقول لى أن يديه فى الحديد.. مع آخر.. لقد عصبوا عيوننا.. لقد جلسنا على البلاط.. طلبت منه التحلى بالهدوء، وإن شاء الله خير.

بدأ التحقيق من الواحدة إلا الربع ظهرا، وانتهى قبل الإفطار بقليل، وكان المحامون قد دخلوا معهم.. كحق قانونى أمام النيابة، لكن ما لفت نظرنا جميعا أننا اكتشفنا أنه فى نفس التوقيت كان يجرى تحقيق مع تنظيم إرهابى، وذووهم أيضا واقفون، وفجأة شعرت بالأرض تميد بى، ها قد تساوينا.. من يحملون السلاح، ويقتلون الأبرياء، وبين من يحملون الآلات الموسيقية ويعزفون عليها لإسعاد الآخرين، ويالها من مفارقة أن يبدأ عام ١٩٩٧ فى حياتى بأن تجرم الموسيقى فجأة.. أو

يتضح من بينها ما هو جريمة.. هذا الطبيب الواقف دموعه على خده طوال الوقت، يقول كنت أسمعها معه.. ونعتبرها موضة، ويوم الجمعة نذهب للصلاة، بل ابنى يؤدى الفرض بفرضه، ورجل أعمال يقول: ابن أختى عمره أربعة وعشرون عاما، عضو مجلس إدارة معى بالشركة، لأنه نابغة، وخريج الجامعة الأمريكية، وبالطبع بحكم سنه يحب سماع الموسيقى الصاخبة إلى جوار الناعمة، إنه يحب كل أنواع الغناء، من الشبابية حتى أم كلثوم، أم تنتقل بين الجماعات، تحاول الثقة بنفسها، على فمها كلمة واحدة: زوجى مريض بالمستشفى .. لم يعلم حتى الآن.. ربما لو علم سيموت.. إن ثقته فى ابنه بلا حدود.

خرج بعض المحامين بعد أن نجحوا فى إقناع النيابة بإدخال بعض الأطعمة للأولاد حتى يفطروا.. نعم «عبدة الشيطان» يصومون رمضان!! المسيحيون أبوا أن يتناولوا طعاما أمام زملائهم المسلمين مراعاة لمشاعرهم.. أفطروا جميعا فى النيابة التى أنهت التحقيق معهم قبل الإفطار مباشرة.. أكد المحامون أن تلك المجموعة من المؤكد سيفرج عنها لعدم ثبوت أى شىء من التحريات والاتهامات الموجهة إليهم.. لكن لن يتم ذلك إلا بعد الانتهاء من التحقيق مع باقى المقبوض عليهم، وعددهم طبقًا للكشوف التى رآها البعض ٨٢ شابا.

الساعة العاشرة مساء عادت الدفعة الأولى، وذهبت الدفعة الثانية من نقطة مباحث أمن الدولة بألماظة، ولكن هذه المرة سمحوا لنا لأول مرة بمقابلتهم، وشراء أطعمة لهم، والإتيان بملابس لهم، ربما بعد تأكدهم من براءتهم، ولاقيناهم، وياله من لقاء.. كان عبارة عن فقدان صواب من الجميع..كلٌ عاجز عن التعبير عما يجيش بداخله من مشاعر الإحباط والهزيمة والصدمة.. ملابسهم التى اتسخت، أجسادهم المرتعدة من برودة البلاط الذى جلسوا عليه طويلا.. الضغط النفسى والعصبى الذى مورس عليهم.. والخشونة، مع مفارقة أنهم جميعا لم يتعاملوا مع البوليس إلا مرة واحدة منذ ميلادهم يوم دخلوا لاستصدار بطاقاتهم الشخصية.

- الواحدة ظهر الخميس صدر قرار الإفراج عن هذه المجموعة، لكن المفاجأة أنه

تم ترحيلهم إلى مباحث أمن الدولة.. لماذا؟.. إجراء رسمى وضرورى لابد منه.. قالوا اطمئنوا سيكون قبل الإفطار.. ذهبنا.. فوجئنا أنه لن يكون قبل التاسعة مساء.. لماذا؟ ستعقد لهم ندوة بحضور بعض رجال الدين لنصحهم وإرشادهم.. عدنا فى التاسعة بقينا فى الاستراحة الخارجية حتى الثانية من صباح الجمعة، ولعلها أسوأ اللحظات التي مررت بها فى حياتى.. لأنه كلما نسأل يقولون: «لسه شوية»، كانت كل ثانية بمثابة كابوس فى ذاتها، ربما الخوف من أن يحدث شيء يجعلهم يغيرون رأيهم.. حتى جاء الفرج حيث قادونا إلى داخل المبنى لنقابل بعض كبار جهاز مباحث أمن الدولة.. ليسلمونى ابنى فى الثانية والنصف من صباح الجمعة ٢٤ يناير ١٩٩٧م، الموافق ١٥ رمضان ١٤١٧هـ.

بعد محاضرة من مسئول كبير كشفت شخصيته عن قدر من الأمنية الشديدة.. لكن ربما تلحظ فيه قدرا من الأبوة الدفينة، جزء من هذه المحاضرة ترهيب.. وهو: إياكم أن تصدقوا أن قرار إفراج نيابة أمن الدولة عنهم يعنى براءتهم.. لأن لدينا شرائط مصورة تثبت انغماسهم بشكل ما فى هذه التيارات، لكن واضحا أنه لم يؤخذ بها، ويمكنكم المجيء لمشاهدتها.. أما الجزء الآخر فهو ترغيب.. أبعدوا أولادكم عن هذه التجمعات.. لا تدعوهم يرتادون «ماكدونالدز» الميرغنى.. لا تجعلوهم يسمعون هذه الموسيقى.. أو يعزفونها.. وهذه المرة لم يعقب أحد منا، فقد كان كل همنا أن نأخذ أولادنا ونهرب من هذا المكان بأقصى ما نملك، ربما قبل أن يموت فيه بعضنا من حجم صدمتنا، وما عشناه من مهانة.

والآن.. دعنى أتوجه إليك بسؤال.. آملا طرحه على الذين وضعونا فى هذا الموقف العصيب.. آثار الكابوس بدأت تطبق على ابنى .. من أول رعبه من الخروج من البيت.. إلى رفضه محادثة أحد معه تليفونيا من أصدقائه.. أو حتى محادثتنا.. إلى حبسه لنفسه فى حجرته.. إلى شعوره باليأس.. ولأول مرة يفاتحنى فى السفر إلى الخارج، أو الهجرة من هذا الوطن.

لقد عبرت رسالته تلك عن معاناة فادحة

ولم يكن وحده الذى عانى..

كان هناك كثيرون غيره.. رصدت قصصهم وحكاياتهم. ومنها قصه تلك الأم السكندرية

الشريط فى أمن الدولة

اسمها ليلى، عمرها يقترب من الخمسين، حين علمت أنها فى انتظاري بمكتب استعلامات روزاليوسف.. طلبت من صلاح ـ الموظف المسئول ـ أن يأخذ بياناتها كاملة، وخاصة أننى تلقيت تهديدات من بعض أهالى المتهمين.. تهديدات تثير القلق وبدأت أعد نفسى لنقاش حاد وطويل مع هذه السيدة.. فهى ليست أم أحد المتهمين.. إنها أم اثنين. شقيقان .. ليس لها غيرهما فى الحياة.. ومن المؤكد أنها سوف تعبر عن هذا بعصبية إن لم يكن بعنف.

ثم.. هالنى هدوؤها. هالنى تعاملها العادى مع الموقف بل احتفاؤها بى فى مقابل احتفائى بها.. وأدهشنى هذا.. لكنى سرعان ما أدركت أن هذا هدوء من نوع خاص، هدوء مملوء بالألم المكبوت، والدموع التى كانت تحاول من حين لآخر أن تحصل على إفراج من عينيها المتعبتين، لكنها كانت فورا تصدر لهما قرار اعتقال بابتسامة مصطنعة.

إن ليلى من أسرة سكندرية ميسورة الحال، أو كانت كذلك، أبوها كان قاضيا، لكنه رحل منذ زمن ، وتركها لزوج سورى وعدة إخوة، سرعان ما تفرقت بهم السبل وسافر بعضهم إلى الولايات المتحدة، وبقى آخرهم فى القاهرة.

لقد كانت موظفة فى النيابة حين حصلت على إجازة بدون مرتب وسافرت مع هذا الزوج إلى الإمارات. وأنجبت طفلين وهناك كانت تعمل فى مدرسة.. لكن الحياة لم تمض فى الطريق الذى كانت تتمناه.. إذ تزوج زوجها عليها.. وسافر أخوها للإصلاح فيما بينهما .. فوعد الزوج بالانفصال عن الزوجة الأخرى والعودة إلى أم

الولدين.. لكنه لم يفعل.. ومضت حياته مع الأخرى فى إتجاه الاستقرار وأنجب منها ثلاث بنات. وكان هذا الاستقرار على حساب ليلى وابنيها.. فانفصلت عنه فى عام ١٩٨٠، ثم طلقت منه قبل أن تعود إلى مصر فى عام ١٩٨٧.

هكذا صارت لديها مشكلة معقدة «ورقة طلاق» وابنان لا يحملان الجنسية المصرية، فهما سوريان ، بحكم جنسية الأب، ولا يمكن لهما أن يعيشا حياة مستقرة فى مصر بسبب هذه الجنسية رغم أنه من المفروض أن يبقيا هنا لأن أمهما مصرية ولأن الأب لا يسأل أبداً عنهما.

وعلى عكس كثيرين غيرهما، وبمضى الوقت، صار حلم الطفلين فى المستقبل هو أن يتحولا إلى موسيقيين معروفين، يحترفان الفن الغربي، ومن خلاله كما تصورا كانا يحلمان بأن يهاجرا إلى الولايات المتحدة حيث أقاربهما، وحيث يمكن ـ كما كانا يظنان ـ أن يكون المستقبل عن طريق الموسيقى.

لقد بدأ هذا الحلم فى فندق سياج بيراميدز حين حضر الابنان حفلة روك نظمها «الغول» الذى أشرنا له فى بداية الكتاب، وقد تعرفا عليه وأعطاهما الأمل، وقال لهما كونا فرقة وادخلا مسابقة وسوف تنجحان.. وكبر الأمل حين أذاع اسميهما فى برنامجه المعروف.. لكن الأم التى تعيش على معاش والدها (٢٤٠ جنيها) لم تتمكن من شراء جيتار لهما، فما كان من خالتهما فى الولايات المتحدة إلا أن أرسلت لهما واحدا يبلغ ثمنه فى مصر ستة آلاف جنيه.

إن رأيها فى ابنيها أنهما قليلا الخبرة، يمكن أن يضحك عليهما أى أحد .. والدليل أن شخصا أوهم الأصغر أنه سيقضى وقتا فى شقة خاله، فأعطاه المفتاح وحولها الأول إلى ماخور والدليل أيضا أن الأكبر منح مفتاح شقة الأسرة فى ميامى لأحد أصدقائه فسرق ذهب الأم. لكنها كانت تحلم معهما ذلك الحلم الخاص بالموسيقى وسعدت كثيرا حين نجحت فرقتهما فى حفل أقيم فى منطقة المنتزه. وتركت ابنها الأكبر يطيل شعره وهو ذو لون أحمر.. لأنه يشبه النجم المعروف «بون جوش».

ولأنها كانت تعتقد أن ابنيها يمكن خداعهما ببساطة كانت تذهب معهما إلى

الحفلات التى يطلب منهما الاشتراك فيها فى القاهرة.. «إن أحدهم يمكن أن يسرق أجهزتهم»... وهكذا سافرت معهما إلى حفل قصر فرساى فى الزمالك، بعد أن وعد خالد منظم الحفل بـ ٢٠٠ جنيه .. لكنه لم يعطهما شيئاً.. وهو أيضا الذى يمنحهما نصف الأجر عن حفل أقيم فى كازينو رومانتيكا.

فى هذا الحفل رأت الأم ما قلب الدنيا فيما بعد.

إنها تروى.

كان ولداى يعزفان حين رفع أحدهم صليبا مقلوبا، وراح يرقص له، ثم أشعل أحدهم صواريخ فى جردل وظل يتقافز عليه.. ابنى الأصغر ضرب، هذا الذى رفع الصليب بالشلوت.. لكن هذه الحادثة أثارت شابا مسيحيا جاء معنا من الإسكندرية إلى الحفل.. وكتب خطابا لك يروى فيه القصة.

فيما بعد ، وإثر إلقاء القبض على من اتهموا بعبادة الشيطان، قابلت الأم زميلا صحفيا فى مجلة أسبوعية وروت له أن ابنها ليس صاحب الخطاب الذى أرسل لعبد الله كمال فى مجلة روزاليوسف، وأن هذا ـ كما يزعم ابناها ـ خطاب مزور ورغم أن الأم منحت هذا الزميل فيلما مصورا للحفل ورغم أنه نشر الصور التى تثبت حادثة الصليب إلا أنه طلب منها صورة من الخطاب الأصلى كى يفضح هذا الصحفى ـ الذى هو أنا ـ دون أن يدقق فيما تقول، ودون حتى أن يرى الصور التى بين يديه، والتى نشرها بدون تعليق يؤكد أنه يفهم ما بين يديه، وراح يكتب عن وجود مؤامرة دولية وراء عبادة الشيطان فى مصر دون أن يوضح ما هو دليله.

المهم أن الابنين فوجئا بالخطاب ينشر، ومعه معلومات أخرى حصلت عليها، وكان فيها أنهما متورطان بشكل ما فى الظاهرة اللعبة.. ولأن الذين قرأوا كانوا يبحثون عن مندبة للطم، لم يدققوا فى المعلومات التى نشرت وصار جيران وزملاء الابنين يعاملونهما على أنهما من عباد الشيطان.

وكان أن لجأ الابنان إلى مباحث أمن الدولة فى الإسكندرية، خاصة أن الابن الأصغر تعرض لواقعة غريبة حين حاول ملتحٍ أن يعتدى عليه، وطلب مديرمدرسته

من الأم منع ابنها من الحضور إلى الفصل حتى تهدأ الأوضاع ولا تهمك نسبة الغياب.

وكان أن سلم الابنان شريط حفل الزمالك إلى ضابط فى مباحث أمن الدولة، فأعاده لهما، وكان رأيه أن هذا ليس به شيء، لكن هذا لم يمنعه من طلبهما بين حين وآخر ليعرف ما لديهما من معلومات.. مع نصيحة للابن الأكبر بأن يمتنع عن الذهاب إلى كليته -الحقوق جامعة الإسكندرية- حتى لا يصطدم بالمتطرفين.

وذات مرة أرسل الابن الأكبر خطابا لى يدافع فيه عن نفسه، ويطلب منى أن أدين على لسانه هذه الظاهرة، وكان أن أرسل عنوانه لى لأول مرة، فأرسلت له تليغرافا أطلب لقاءه، ووصل التليغراف إليه فى يوم ١٢ رمضان ١٤١٧.. أى قبل ساعات من بدء الأمن إلقاء القبض على هؤلاء الشباب،ففرح بالبرقية للغاية، خاصة أنه كان يواجه صعوبة فى الاتصال بى، وكان أن ذهب بالبرقية لأمن الدولة كى يعطيهم خبراً عنها، كما قالت الأم .. لكنه لم يعد. لقد كانت الأم تعرف هذا، وحين تأخر ابناها لم تترك بيتها حتى لا يعودا فلا يجدانها.. ولكنها فى وقت متأخر ذهبت تبحث عنهما دون جدوى.. ثم عادت إلى البيت، حيث بقيت بعض الوقت قبل أن تطرق الشرطة بابها.

تقول الأم: رأيت اثنين فى العين السحرية، ثم فوجئت بهم أكثر من ثمانية أشخاص يقتحمون الشقة. وكنت متألمة للغاية، قلت لهم انتظروا.. إن الشقة غير مرتبة.. فأنا مريضة.. أعانى من آلام فى العمود الفقرى وأشعر بدوخة «!!».

ولم تدرك بالطبع أن الشرطة لا تهتم بما إذا كانت سوف تدخل شقة مرتبة أم لا.

■ ■

إن بقية القصة معروفة إلى حد كبير، فقد ألقى القبض على الابنين وظلا يجدد لهما الحبس، وظلت هى تراهما بين حين وآخر، وترصد ما يتعرضان له، وكيف يضربان لأنهما من «الكفرة ولاد الكلب». ولكن المهم هنا أننى رويت قضيتهما كى يعرف القارىء بعض ظروف من ألقى القبض عليهم. وملابسات هذا.. مع الانتباه

إلى أن شريط الحفل كان لدى أمن الدولة منذ فترة طويلة.. ومع الانتباه إلى أن الأحلام الصغيرة لبعض الشباب يمكن أن تدمر كما فعلت مع هذين الابنين، اللذين كانا سبباً فى تفجير القضية كلها فى مصر عن طريقى.

إن سذاجة هذه الأم تعبر عن جزء من «أسباب الأزمة» ولكن هناك قوما آخرين ساذجون.. تحدثت عنهم من قبل.. وأتحدث عنهم الآن فى هذه المساحة الأخيرة.. من الكتاب.

ندوة فى أمن الدولة

إنه الشيخ محمد زيدان، مدير عام الإرشاد الدينى فى وزارة الأوقاف قابلته شخصياً فى لقاء تليفزيونى نظمه برنامج «يا هلا» الذى تقدمه هالة سرحان المذيعة المتألقة فى راديو وتلفزيون العرب.. المحطة الفضائية المعروفة باسم «إيه. آر.تى».

لقد هالنى وفاجأنى أن يكون أول لقاء بينه وبين هذه النوعية من الشباب فى مقر مباحث أمن الدولة، حيث عقدت ندوة لهؤلاء الذين تقرر الإفراج عنهم فى الأيام الأولى للتحقيق فى القضية. ولهذا هاجمته.. وقلت فى ذلك اللقاء: ما هذا الشىء المزعج.. إن الشيخ يتحدث عن أن هناك شابا قابله فى الندوة وقال له: لو كنت سمعت كلامك من قبل ما كنت الآن هنا.

لقد كان مع الشيخ زيدان فى هذه الندوة شيخ آخر هو الدكتور عبدالله النجار الأستاذ بجامعة الأزهر، وكان عدد الشباب الحاضرين ٢٧ شخصا، وقد دارت مناقشات عديدة بدأها الشيخان، كما قال لى محمد زيدان بالحديث الواضح عن أن العبادة لله وحده دون غيره، وتحدثا كذلك عن عدم قدرة الشيطان على فعل أى شىء وأنه ليست له أية قوة خارقة.

وحسب ما ذكره المحرر سمير عمر فى جريدة الدستور، يوم ٢٩/ ١/ ١٩٩٧ والذى ننقل نحن هنا عنه نص الندوة، فإن الشيخ زيدان بدأ الحوار قائلاً: إنكم تقولون أن الشيطان مظلوم. وهذا خطأ. لأن الشيطان مملوك لله، وعندما يأمر المالك مملوكة بأمر يجب أن يطيع، إلا أن الشيطان رفض وتفلسف على الله تعالى فكيف يكون مظلوماً من أبى تنفيذ أمر الله تعالى.

ثم إن الشيطان لم يتب ولم يظهر رغبة فى التوبة، وإنما ما طلبه من الله سبحانه وتعالى هو الخلود للإغواء حيث ﴿قال أنظرنى إلى يوم يبعثون﴾ وبرغم ذلك فقد استجاب سبحانه وتعالى لدعائه ورد عليه قائلاً: ﴿إنك من المنظرين﴾ فكيف يكون مظلوماً إذاً؟.. واستشهد الشيخ زيدان برواية تقول: إن إبليس التقى بسيدنا موسى ذات مرة فطلب منه أن يدعو له ربه فى أن يغفر له خطأه فى رفضه السجود لآدم. ولما سأل موسى ربه فى ذلك، قال له ليذهب إبليس إلى قبر آدم ويسجد له فإن فعل فإنى أتوب عليه.. وحين عاد موسى إلى إبليس وأخبره بما أمره به الله قال: كيف أسجد له ميتاً وكنت قد رفضت السجود له حياً؟ وهو بذلك عاص بل ويصر على المعصية ويدعو الناس إليها وهذا ما يجرنا إلى الدعوى الثانية التى يقول بها دعاة عبادة الشيطان إذ يقولون إنه مستحق للعبادة لأنه صاحب قوة خارقة. وفى رد الشيخ زيدان على ذلك قال: إن المستحق للعبادة هو الخالق وليس المخلوق والشيطان مخلوق. والله تعالى يقول ﴿أفمن يخلق كمن لا يخلق﴾، كما أن الشيطان هو العدو اللدود للإنسان، فهو لا يريد له الخير منذ بدء الخليقة حين حسد آدم وحقد عليه. فالله تعالى قد شهد وهو خير الشاهدين أن الشيطان عدو للإنسان حيث يقول:﴿إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير﴾ فالله تعالى حذرنا منه وهو العليم الخبير.

أما بالنسبة لقدرة الشيطان فهى قدرة مكتسبة وليست أصيلة فيه وهى تتلخص فيما ذكرته الآية:

﴿إنه يراكم وقبيله من حيث لا ترونهم﴾ وهذه صورة من قدرته حيث يرانا ولا نراه ولكن نشعر به من خلال الوسوسة إلا أن هذه القدرة التى تزعمون أنها خارقة تتلاشى نهائياً عندما يستعيذ الإنسان بالله منه بآية صغيرة مثل: ﴿وقل ربِّ أعوذ بك من همزات الشياطين. وأعوذ بك ربِّ أن يحضرون﴾. وعند استعاذة الإنسان من الشيطان يفر من أمامه ولا تؤثر فى الإنسان وسوسته والله تعالى يقول: ﴿إن كيد الشيطان كان ضعيفا﴾.

وبهذا يتضح لنا أن كيد الشيطان ضعيف وأن قوته ليست خارقة كما تدعون.

أما الدعوى الثالثة التى فندها الشيخ زيدان فكانت هى دعوى أن الشيطان شجاع لأنه صادر على الله أمره وأنهم -أى أعضاء الجماعة- يعبدونه لهذه الشجاعة ويتوددون إليه بفعل الموبقات . ورد الشيخ زيدان على هذه الدعوى حيث قال: إن الشيطان ليس شجاعاً وليس أدل على ذلك من أنه يتبرأ ممن يتبعونه أمام الله سبحانه وتعالى حيث يقول عز من قائل ﴿وقال الشيطان لما قضى الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخى إنى كفرت بما أشركتمون من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم﴾ الآية ٢٢ من سورة إبراهيم. فكيف يكون شجاعاً من يتنصل من أتباعه؟

وفى كلمته ركز د. عبدالله النجار على الحديث عن يوم القيامة وكيف أن الشيطان يتبرأ من أتباعه وأن من يكفر ويتبع الشيطان سوف يلقى جزاءه، كما ركز د. النجار على تفنيد دعوى عبدة الشيطان تفنيداً عقلياً بعيداً عن النصوص القرآنية حيث قال إن الشيطان لا يملك أى ميزة فهو يدعونا إلى كل شر فمثلاً يدعونا إلى إدمان المخدرات وهى مدمرة للإنسان ومعطلة للإمكانيات والطاقات وما يترتب على ذلك من ضياع المجتمع وتخلفه.

كما أن الشيطان يأمركم بالزنا والإباحية وما فى هذا من اختلاط للأنساب بالإضافة إلى ما يترتب عليه من أمراض مثل الإيدز والسيلان والزهرى وكل هذه أمراض تعصف بالإنسان وتهدمه.

وبعد انتهاء الكلمة التى ألقاها كل من د. النجار والشيخ زيدان انتقلت الكلمات إلى الشباب الذين بدأوا فى شرح الدوافع التى دفعتهم للانغماس فى هذه الجماعة وعن حقوقهم الشخصية فى اعتناق ما يشاءون. وقد كشفت تلك المناقشات عن سطحية شديدة لدى هؤلاء الشباب حتى أن أحدهم قال فى كلمته أن هذه هى أول مرة يسمع فيها هذا الكلام ولو كان سمع هذا من قبل لما دخل فى هذه الجماعة.

ومن أهم الأسئلة التى قيلت وركزت على أن للشباب الحرية الشخصية فيما يفعلون، سؤال طرحه أحد الشباب حيث قال: «أنتم تتهموننا اتهامات غريبة..فمثلاً أين الحرام فى أننا نرسم نجمة أثناء الرقص أو نعلق النجمة فى أعناقنا - إيه الحرام فى ده» !

رد د.النجار قائلاً: إن النجمة فى حد ذاتها ليست محرمة، فلترسم ما شئت ولتعلق ما شئت ولكن حين تشير هذه العلامات إلى دلائل أخرى تكون هنا قد دخلت فى نطاق التحريم لأن من تشبه بقوم حشر معهم. وفى رواية أخرى «فهو منهم» وأنتم حين تتشبهون بعباد الشيطان تكونون منهم حتى لو لم تؤمنوا بما يؤمنون به.

وبنفس الطريقة رد الدكتور النجار على ارتدائهم الملابس السوداء حيث قال: إن الأصل فى كل شىء هو الإباحة وجميع الألوان مباحة للإنسان ولكن أيضاً حين تعتبر علامة على الانتماء لجماعة منحرفة فهنا يبدأ التحريم.

وأسخن الأسئلة التى وجهها الشباب للشيخين كان عن إطالة الشعر، وأن النبى كان يطيل شعره حيث ذكر أحد الشباب أنه سمع أن الإمام على كان يضفر شعره ضفيرتين فكيف تنكرون علينا إطالة الشعر؟ وتولى الشيخ زيدان الرد على هذا السؤال حيث قال: الأمر هنا متوقف على النية، فهل أنتم تقومون بإطالة شعركم على اعتبار أنها سنة عن الرسول ﷺ أم أنكم تفعلونها تشبهاً بالنساء ومن أجل الإتيان بما هو غير مألوف؟ فهنا نكون قد دخلنا فى التحريم -إلا أن الشيخ زيدان تراجع قائلاً: ولو كنت يا سيدى عاوز تطول شعرك.. طوله لكن عليك الالتزام بتعاليم الدين سواء كنت مسلماً أو مسيحياً.

وفى سؤال يكشف عن ضحالة ثقافة هؤلاء الشباب الدينية.. سأل أحد الشباب قائلاً: «كيف سيوزع الله الناس يوم القيامة يعنى مين «حيدخل الجنة؟ وليه؟».. و«مين حيدخل النار؟ وليه؟».. فرد د. زيدان قائلاً: على أساس العمل ﴿ولكل درجات مما عملوا﴾ فالله تعالى خلق الإنسان واختبره بالتكاليف الشرعية لينظر كيف يعمل فمن

يستجب لأوامر الله فهؤلاء هم أهل الجنة ومن يتمرد ويرفض تأدية التكاليف الشرعية فهؤلاء هم أهل النار، حيث يقول سبحانه وتعالى ﴿للذين استجابوا لربهم الحسنى والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم ما فى الأرض جميعاً ومثله معه لافتدوا به أولئك لهم سوء الحساب ومأواهم جهنم وبئس المهاد﴾ وعلى أى الأحوال فإن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم. وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له﴾. فالله يفرح بالعبد حين يعود إليه بعد المعصية.

وإبليس نفسه فى إحدى الروايات يقول إن الناس بالنسبة له مقسمون إلى ثلاثة أنواع: القسم الأول هو من تسهل غوايته ويستجيب له بسرعة، وهذا أمره سهل. أما القسم الثانى فهو العابد الذى تصعب غوايته وهذا أيضاً أمره سهل. بينما القسم الثالث هو القسم الذى أستطيع غوايته وينغمس فى المعصية ثم يتوب عن معصيته فيغفر له الله وهذا ما يحزننى كثيراً. فعليكم بالتوبة والعودة إلى الله لأن ذلك يغيظ الشيطان ويجعله يبكى على ما ضاع من مجهود كبير فى غوايتكم وستجدون الله إن شاء الله فرحاً بعودتكم إلى حظيرة الإيمان وما عليكم إلا أن تنطقوا بالشهادتين والاغتسال وسيغفر لكم إن شاء الله.

وعندما كانت الساعة تقترب من الثانية والنصف من صباح الجمعة الماضية وأوشك اللقاء على الانتهاء أجمع الحاضرون من الشباب على فرحتهم بهذا الحوار الذى لم يسمعوه من قبل، سواء من أسرهم أو داخل مدارسهم وخرج جميع الشباب مع الشيخ محمد زيدان والدكتور عبدالله النجار وهم يقسمون على التوبة وعدم العودة لمثل هذه الممارسات مرة أخرى.. هكذا قالت الدستور.

■ ■

إن فى القصة جوانب أخرى عديدة. ولكن.. آن لهذا الكتاب أن ينتهى الآن.. فالإضافة لن تقدم معلومة جديدة للقارئ.

والكتاب إذ يصل إلى صفحاته الأخيرة يبدو وكأنه قد وضع أمامك كما هائلا من

المعلومات عن جماعات غريبة وفئات مختلفة وظاهرة شدت المجتمع المصرى نحو مناقشتها فى بداية عام ١٩٩٧، ولكن هذا الزخم لم يكن قصده كما اتضح من الصفحات أن يدلف بك إلى رحلة فى عالم مثير بقدر ما كان هدفه مناقشة ظاهرة تورط فيها بعض الشباب فى مصر، ومناقشة طريقة تعامل المجتمع مع مثل هذه الأمور حين تفاجئه.

والخلاصة التى نود الوصول إليها هنا من المؤكد أنك رصدت عديدا من ملامحها عبرهذه الرحلة الطويلة فى صفحات الكتاب التى حاولت قدر الإمكان، وعبر تجربتى الشخصية مع هؤلاء الشباب، أن أنقلها بتفاصيلها الدقيقة وبكل ما تمكنت من الحصول على وثائقه.

إننا أمام ظاهرة، أطلقنا عليها وصف اللعبة الموسيقية الدينية، بعض أطرافها تورط بالفعل فيما اعتقد أنه عبادة للشيطان، وبعض أطرافها غرق فيما يمكن وصفه بأنه إيمان بالخرافات والسحر الأسود، وكثير منهم وجد نفسه يقلد، أو ـ على أقل تقدير ـ أخذ بالشبهات.

ولم تكن هذه الظاهرة قاصرة على هؤلاء الذين دفعت بهم الشرطة إلى واجهة الأحداث، عن طريق قضية فى نيابة أمن الدولة، وإنما امتدت إلى فئات عريضة من الشباب التائه الضائع الذى لم يتهم. هذه الفئات رغم أنها انتمت إلى طبقات مختلفة، إلا أن أغلب عناصرها كانت تنتمى إلى أبناء الأغنياء وأبناء أفراد الطبقة الوسطى العليا.. وحول هؤلاء كان هناك من يرتزقون ومن يقلدون.

لقد وجد هؤلاء الطريق إلى اللعبة لأسباب مختلفة. وربما كان السبب الرئيسى هو شعورهم الدائم بأنهم غير مسموعى الصوت، وبأن أسرهم لا تنتبه إليهم.. فكان عليهم أن يُعرفوا وأن يرفعوا من أصواتهم بأى شكل كى يثيروا انتباه الأسر والمجتمع بأسره. ومن هنا غرق هؤلاء فى تقاليع مزرية، وانخرطوا فى أوهام خاصة، ولما لم يحقق هذا التحرك ما رغبوا فيه -وهو لفت الأنظار- كانت النتيجة الطبيعية هى أن يمضوا فى طريق التقليعة إلى أبعد مدى.. وتحقيق أكبر قدر من التأثير عن طريق

صدمة ضخمة، تضرب المجتمع على قفاه، حين طعن هؤلاء فى أهم القيم التى يعلق المجتمع إيمانه بها .. وهى القيم الدينية.

إن هؤلاء لا يبعدون كثيراً عن المتطرفين، الذين شغلوا المجتمع سنوات طويلة.. وقد كان المتطرفون بدورهم يحاولون لفت الأنظار من خلال تقاليع دينية عديدة لما تعامل المجتمع معها بطريقة عادية تطورت إلى العنف والإرهاب.. والذين غرقوا فى اللعبة الموسيقية الدينية كانوا فى البداية أيضاً مجرد متطرفين.. لكنهم حين واجهوا صمت المجتمع طوروا اللعبة إلى ما هو أسوأ وأبعد.

بين الحالتين تبدو بالطبع أزمة الشباب فى مصر، وضغوط البطالة وضعف الحلم وقلة التوعية وانهيار القيم وازدياد الفساد.. فى مقابل تجاهل الدولة التى تتعامل مع كل هذا بهدوء مميت حتى ينفجر الوضع بين حين وآخر.. ومن هنا فإن مرور أزمة التطرف -أو هكذا يبدو- ثم مرور أزمة عبادة الشيطان -أو هكذا يبدو- لا يعنى أن الأمر توقف عند هذا الحد، ومن المؤكد أنه سوف يتكرر طالما أن الأسباب باقية وأن الشباب لم ينجح فى لفت الأنظار لآلامه وهمومه.

وحتى تأتى الدورة القادمة للأزمة، فإن هذا الشباب سوف يعبر عن أزمته بطرق مختلفة، أقل تعبير عنها سيكون إدمان المخدرات وازدياد معدلات الجرائم.

ومن المؤكد أن هناك أصابع أجنبية كانت دائماً تستثمر هذا فى الحالين أصابع من المؤكد أنها تتبع أجهزة ومخابرات.. أصابع أجنبية دعمت التطرف الدينى.. وأصابع أجنبية أيضاً دعمت التطرف اللا دينى.. ومن المؤكد كذلك أن هناك من ربح من المصريين من خلال الظاهرة الأولى.. أقل هؤلاء هم أصحاب شركات توظيف الأموال، ومن المؤكد كذلك أن هناك رابحين مصريين من وراء لعبة التطرف اللادينى.. أبرزهم أولئك الذين نظموا الحفلات وباعوا التقاليع والموضات الغريبة.

لقد أوضح الكتاب هذا حين اقتضى الأمر ذلك. ولكن المجتمع لا ينتبه..

وقد أوضح أيضاً أن ظاهرة هذا التطرف الذى كان فى طريقه للعنف -أقصد

التطرف اللادينى بالطبع- لم تكن قاصرة على مصر، ولكنها شملت دولاً عديدة أخرى.. لاسيما أننا نعيش فى ثورة الاتصالات.. وهذا أحد عيوب المجتمع المفتوح. لكن هذا لا يعنى أننا ندعو للانغلاق، بل إننا ندين من يطالب بهذا، وندين من يزعم أن السبب الوحيد لما حدث هو مؤامرة خارجية. وندعو للتعامل الواعى مع مفردات الحضارة العالمية ولأن تبقى السماوات مفتوحة والحرية متاحة والاتصال قائما.. بحيث يتمكن المجتمع من خلال تفاعل حر من أن يختار ما يتواءم معه.

ومن المؤكد أنك لاحظت خلال رحلة هذا الكتاب مدى الجهل الذى تعامل به المجتمع مع المشكلة.. وكيف فشل فى إدارة الأزمة.. لاسيما أنه عن طريق أحد أجهزته فجرها بدون وعى.. ثم ابتلعها.. واختار الحل الأسهل وهو أن «يكفى على الخبر ماجوراً»، وأن يقنع نفسه أنه بخير.. وأن هؤلاء ليسوا سوى قلة.. وأن الإعلام هو السبب فى تكبير حجم الظاهرة.

والواقع أن الإعلام كان جاهلاً، فى أغلب معالجاته للقصة، ولكن بقية عناصر المجتمع أيضاً كانت جاهلة..بداية من أنها اعتبرت أن هؤلاء هم عبدة شيطان حقيقيون.. ونهاية بالطريقة العصبية التى تعاملت بها المؤسسات الدينية مع الأمر حين سلطت فوراً سيف التكفير وطالبت بتطبيق الحد على هؤلاء.

لقد كان المجتمع جاهلاً حين وضع كل فنون الموسيقى الصاخبة فى سلة واحدة، وحين أعلن البعض رفضه لكل أشكال الفن الأجنبى. وكان جاهلاً حين وظف القضية على أنها نوع من التكفير عن الذنب الوهمى فى حق المتطرفين الدينيين. وكان جاهلاً حين لم يحاسب هؤلاء الذين روجوا التقليعة. وكان جاهلاً حين استسلم لأنها مؤامرة خارجية. وكان جاهلاً حين اعتبر أن الأمر برمته قد انتهى.

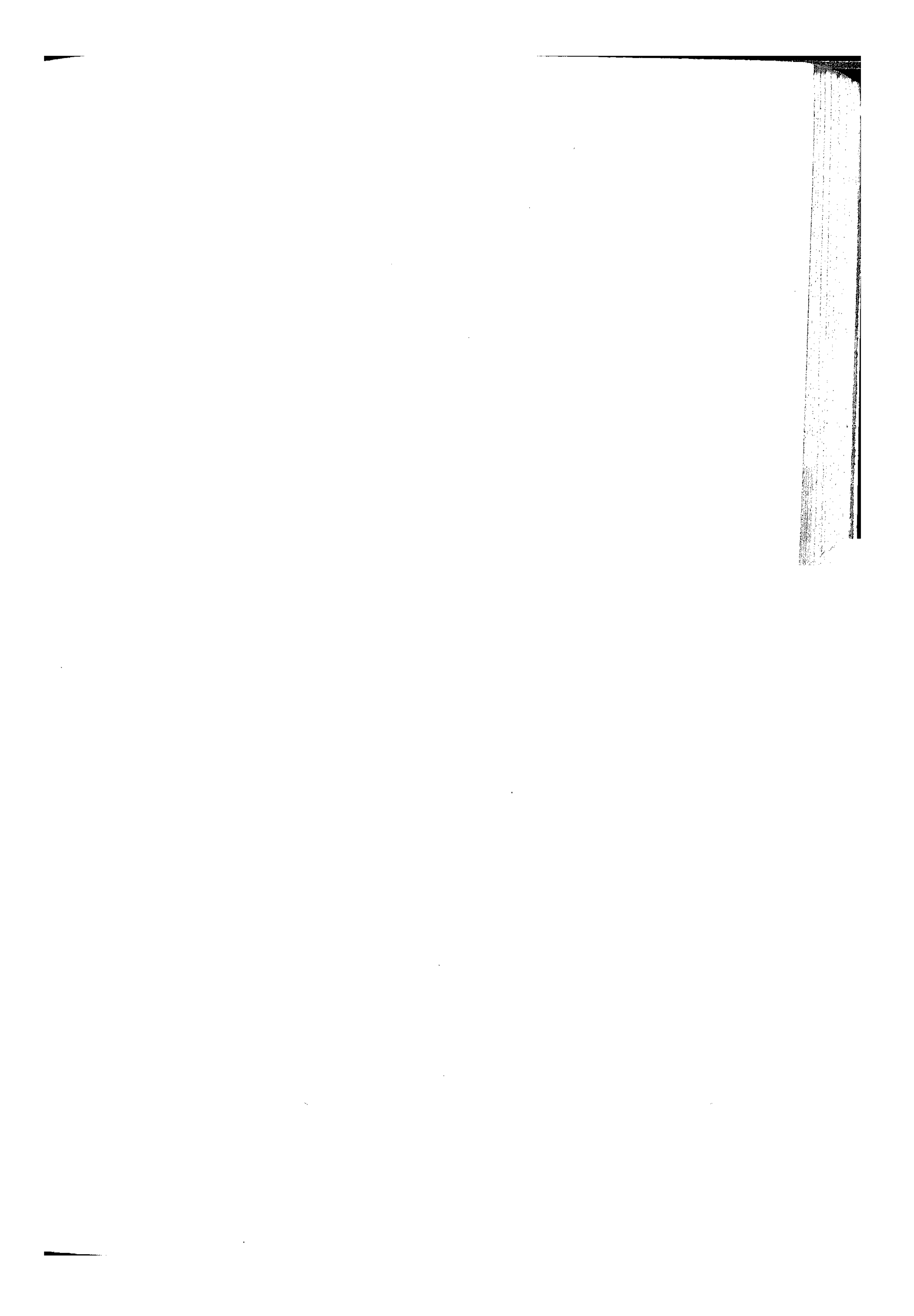
إن أبرز مظاهر هذا الجهل كان هو الإعلام لأنه هو الذى كان يعكس جهل كل الأطراف.. ولكن هذا لا ينفى أن الظاهرة موجودة، وأن الأزمة حقيقية وأن الدورة سوف تتكرر.

وبخلاف كل هذه التفاصيل والأسباب فإننى أرى أن أخطر ما فى الموضوع كله

هو أن هناك جيلاً من الشباب حين عبر عن غضبه كشف عن أنه يؤمن بالخرافة والسحر الأسود.. جيل من المفروض أنه ينتمي إلى عصر العلم والتقدم، ولكنه يبحث عن ابنة الشيطان وعن رقم «٦٦٦» وعن تعاويذ وعن جنس عبر طقوس غامضة..

وتلك هى المصيبة الأهم.. ولم تنته الظاهرة.. وبالتالى لم ينته هذا الكتاب!

عبدالله كمال



اقرأ وركز لأن دي الحقيقة مش بعض كل العجب اللي بتنشروه عننا

(ديبوس) اللي هو انا ... من ثلاث سنوات من زيارة للجامعة الامريكية . كان

بعملوا كثير . لكن في هذه المرة قابلت جالك رايت . بيدرس هناك وعجبتني

شخصيته جدا اللي كنت انا محروم منها لغاية أما أبويا ودع . خرجنا مع بعض كام مرة

كان دايما المتفون في ودنه ويفضل يهز راسه بطريقة غريبة لاحظني وانا بانظر ليه

قال لي دايما تسمع . قلت ماله

يعني الروك وبقيت سميع كبير لجميع الفرق البطيئة وبدأت الأول slow metal وبعدين Pink Floyd

وبعدين دخلت في الهارد Hard metal والـ Deth و Black metal

وعجبتني الحكاية . قال لي جالك تحب تبقى أكثر . قلت مايضرش . وكانت دي البداية

انا واخويا خالد وجاسر ... أول ناس في مصر عرفنا وبقينا ستانكي

عرفنا كل حاجة من جالك . مفيش دين . الشيطان صاحب الشر ...

وانه الملاذ في هذه الدنيا المملة . عملنا كذا حفلة Deth . كله قال علينا مجانين ...

... عرفنا هناك ... اللي هناك مشينا ...

ديبوس ... وآخر حفلة Deth عملناها ... في القلعة ... الزمالك

خطاب ديبوس . . فتى الزمالك الذى قال أنه تعلم هذه اللعبة من أمريكى يدرس فى مصر

الله اكبر ولله الحمد

الطريق الى عبادة الشيطان

سمعنا جميعاً في الفترة الماضية عن ظاهرة لم تكن موجودة من قبل وهي ظاهرة "عبدة الشيطان"

وكم كان رائعاً حين دخلت مظاهر الرفض لهذه الظاهرة من كافة طبقات المجتمع وفئاته المختلفة.

والجميع اتفق على أن البداية لهذا الطريق الوعر الملئ بالأصوات هو انتشار ظواهر غريبة على مجتمعنا

ومن أخطرها الموسيقى الغربية بكافة أنواعها الروك والبوب...

ولعلكم تتساءلون لماذا نفتح هذا الموضوع مرة أخرى بعد أن أغلقه قرار النيابة ونحن بدورنا نجيبكم.

اعلان مثير بالكلية هذا نصه

[illegible] موسيقى الروك والبوب على مسرح الكلية [illegible] الجانب المظلم للكلية .. تذكر [illegible] في الدرم الأول واستمتع بالمزيد من الصخب والإثارة في هذه الحفلة.

هذه العبارة السابقة سوى ترجمة أمينة لبعض محتويات الإعلان الرائع باللغة الإنجليزية الذي صدر عن الجمعية الفنية باتحاد الطلاب (المعلّق) لتدعو الطلاب بطريقتها الثانية للرقص صخباً على أنغام موسيقى الروك والبوب لترى الجانب المظلم للكلية!!

ونحن نريد أن نتساءل:-

- هل اقتصر الأمر على الكليب الأخضر بالاستماع والرقص على أنغام الموسيقى الغربية الصاخبة التي ساقت بعض شبابنا إلى عبادة الشيطان؟
- إلى متى ستظل إدارة الجامعة تقف ضد كل ما هو إسلامي وتسمح بظهور مثل تلك الأنشطة الهدامة؟
- هل سيظل مسرح كلية التجارة مكاناً تمارس فيه كل ما هو مخالف للشرع والدين والأخلاق؟

وآخرها مسرحية يوم الثلاثاء الماضي اسمها (القادم) كانت تحتوي على مشاهد وعبارات جنسية وكلمات ضد العقيدة واستهزاء بالذات الإلهية فمثلاً (صوروا ان الله لاعب كرة يشجع فريقي الأهلي والزمالك ثم وضعه واحد في النار) "سبحانه وتعالى عما يصفون" وغيرها من الامور التي تخدش الحياء العام.

ولكن هناك توضيح لزملائنا الطلاب أن التيار الاسلامي لا يعارض الفن على اطلاقه ولكن يقبل الفن الهادف الذي لا يمس المعتقدات والشرائع الإلهية (الإسلامية منها والمسيحية) ومن هذا المنطلق نحاول أن نقدم فناً هادفاً قدر استطاعتنا وإمكانياتنا المحدودة.

ونحن في هذا الموقف لا نعادي فريق المسرح كأشخاص ولكن نعادي فساد الهدف واعوجاج الفكر ولذلك نقول لهم أحبتنا وإخواننا في المسرح توبوا إلى الله عز وجل قبل يوم الحساب واعلموا أننا جميعاً سنلقى الله عز وجل إن طال بنا العمر أو قصر.

وأخيراً نناشد إدارة الكلية في أن يوقفوا هذا النوع من التهريج والفساد على الأرض بالتجارة بجامعة القاهرة ونناشد رجال الأمن في جامعتنا أن يقوموا بدورهم في التصدي لهذا الفساد الذي ينتشر في جامعتنا ونناشد كل صاحب فكر واخلاق وكل من يملك ضميراً حياً بداخله أن يقف معنا وقفة رجل واحد لتوقف هذا الحد من الفساد.

"كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله"

زملائكم في التيار الإسلامي

منشور صدر فى جامعة القاهرة عن المتطرفين من عبدة الشيطان . . لكنه هجوم مفتعل

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد ..

تعقيباً" عما نشر في المجلة بأعداد (٢٥٧٠ - ٢٥٧١)
في موضوع عباد الشيطان (السيتانزم) للكاتب الصحفي
عبد الله كمال ، فقد ذكر بعض أماكن تمركز هذه الجماعات
فهنالك أماكن أخرى لتمركز هذه الأحداث مثل (المعادي الجديدة
بجوار الأكاديمية الحديثة - أرض الجولف - نادي الجزيرة
نادي الصيد) . وهناك ترويج لشرائط (البلاك سبات)
في المهندسين مثل (مكتبة مدبولي) وكذلك شرائط بجوار
(الدوناتس) وبالمناسبة هذا الكشك يروج الهيروين والبانجو.

وعما ذكر عن الساحر (أنتون لافي) فأنا عندي ثلاثة
كتب تحمل علامة السحر الأسود [pentagram] ورد بها حكايات عن
هذا الساحر وعن سحره أخرى وعن أنواع السحر مثل
السحر الأبيض والسحر الأسود . وقد عرض في التليفزيون
في برنامج (ستالايت) أغنية لفريق GRID الأغنية بعنوان
DIABLO بتاريخ ٢٨/١١/١٩٩٦م .

وبالمناسبة أريد أن أذكر لكم أن هناك صالة لتدريب
(الكونج فو) في بولاق الدكرور ، المدرب يتخذ من نفسه راهباً"
ويجعل اللاعبين يسجدون له (والعياذ بالله)
وأنا على استعداد إرسال لكم صورة من بعض الحوادث للساحر
(أنتون لافي) . وأرجو أن تدعو الشباب في المقال الذي سينشر
بصدد هذا الموضوع إلى الرجوع إلى السنة النبوية الشريفة والآيات
التي جاء ذكر فيها حكم السحر والسحرة والتنجيم والذهاب إلى الأضرحة والتعاويذ
والقرآن الكريم أولاً" ، و أن تذكروا بعض الأحاديث والآيات الكريمة
في المقال . وفقنا الله وإياكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أحد الخطابات العديدة التي وصلت المؤلف . . صاحبها يشير
لأماكن جديدة فى انتشار الظاهرة

COME SHARE

DJ
Divel BAND
Disco
A lot of

THE YEAR'S
FESTIVAL

31 DEC. 11.P.M

Don't be late and

This

JACKSON

At The Old Plac

THE BLOOD

P.S IF YOU BELIEVE RUSEL YOSEF DON'T BE THERE

دعوة لحفل من نوع خاص فى ليلة رأس السنة . . نجمة خماسية . . وإبنه شيطان

أسماء الكتب

1) **The Satanic Bible** **اسم الكتاب**

انجيل الشيطان

2) **The Satanic rituals**

طقوس الشيطان

3) **The Satanic witch**

الساحر الشيطانى

4) **The Devil's natebook**

مذكرة الشيطان

nton Lavey **انتونى ليفى / اسم المؤلف**

1) **The church of Satan - by Blanche Barton** **اسم الكتاب**

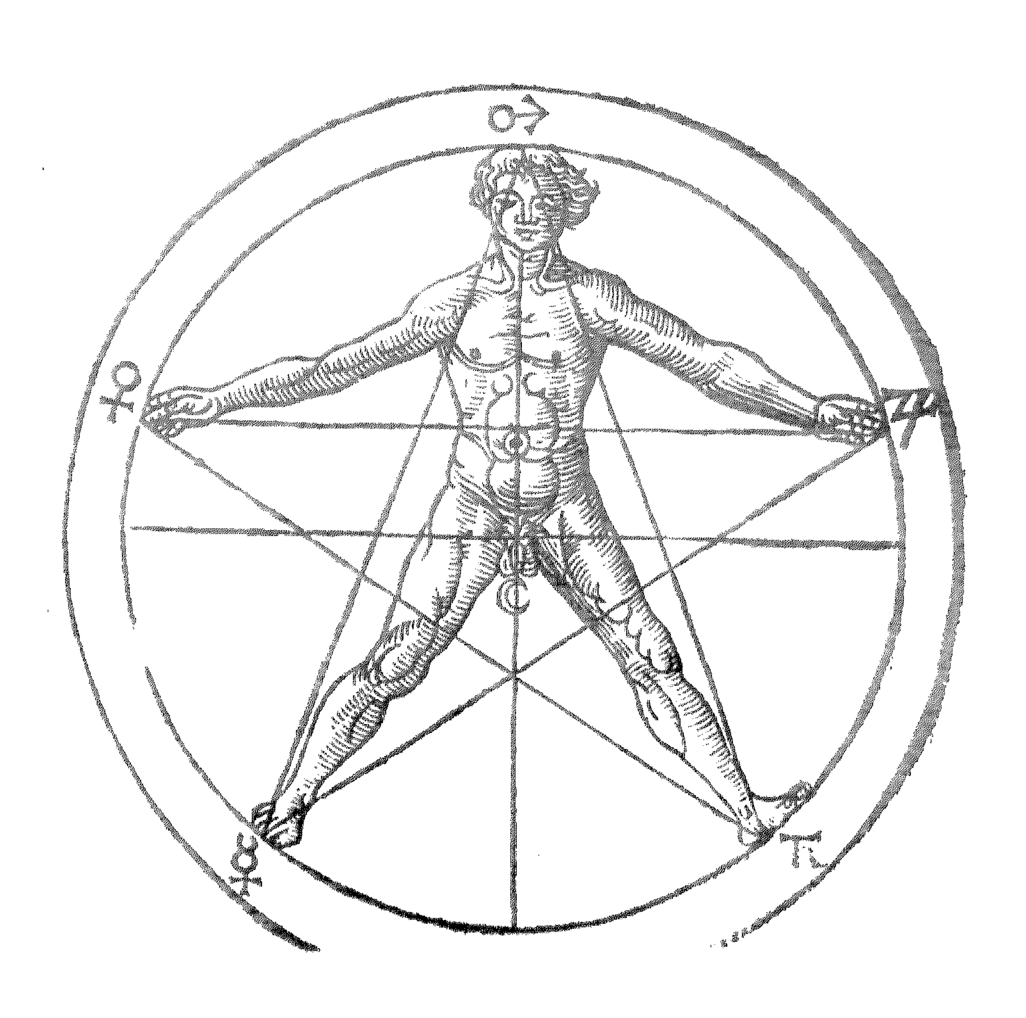
معبد الشيطان

2) **The secret life of a sata nist - by Blanche Barton**

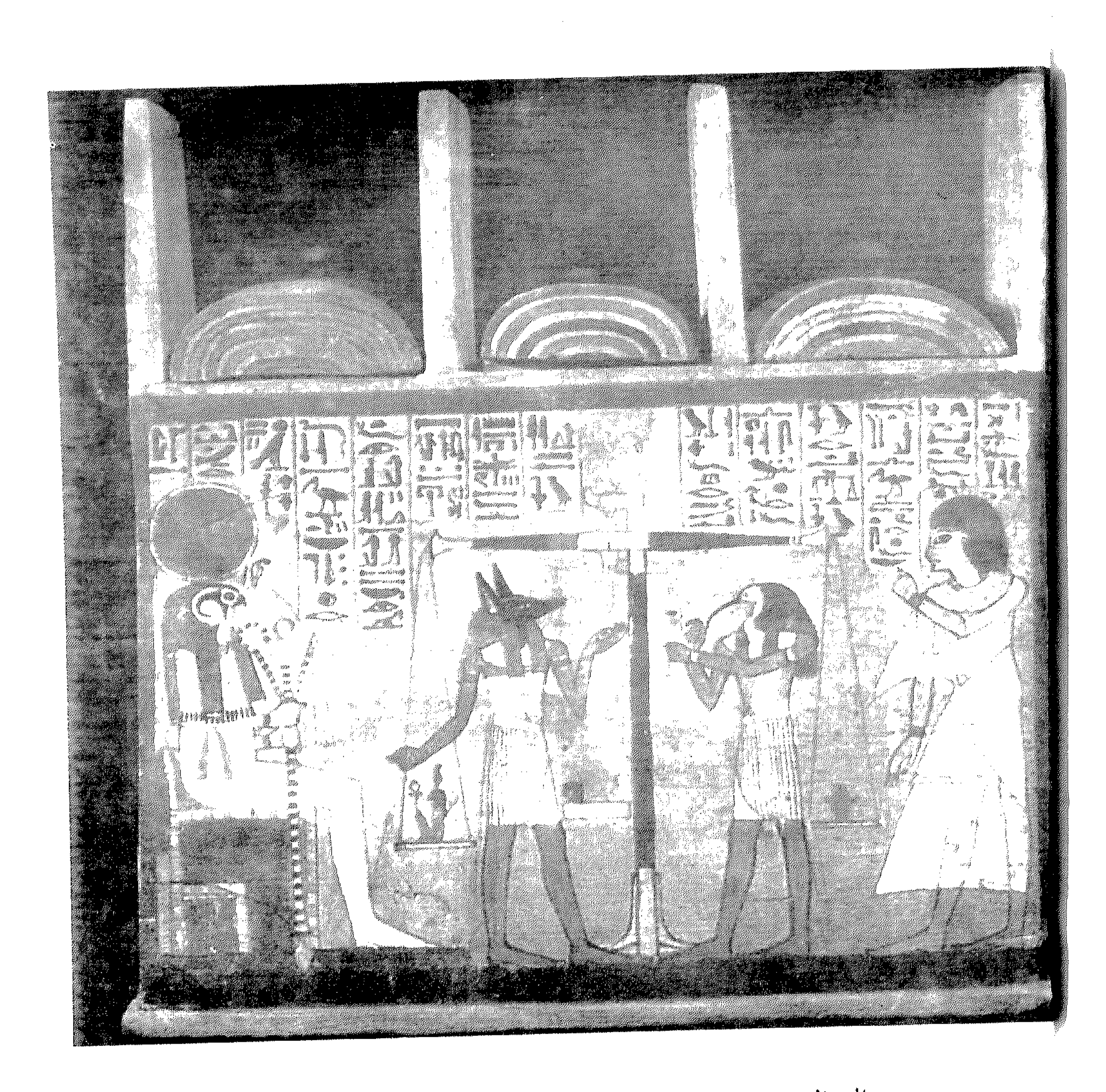
الحياة السرية للشيطان

Blanche Barton **بلانش بارتون / اسم المؤلف**

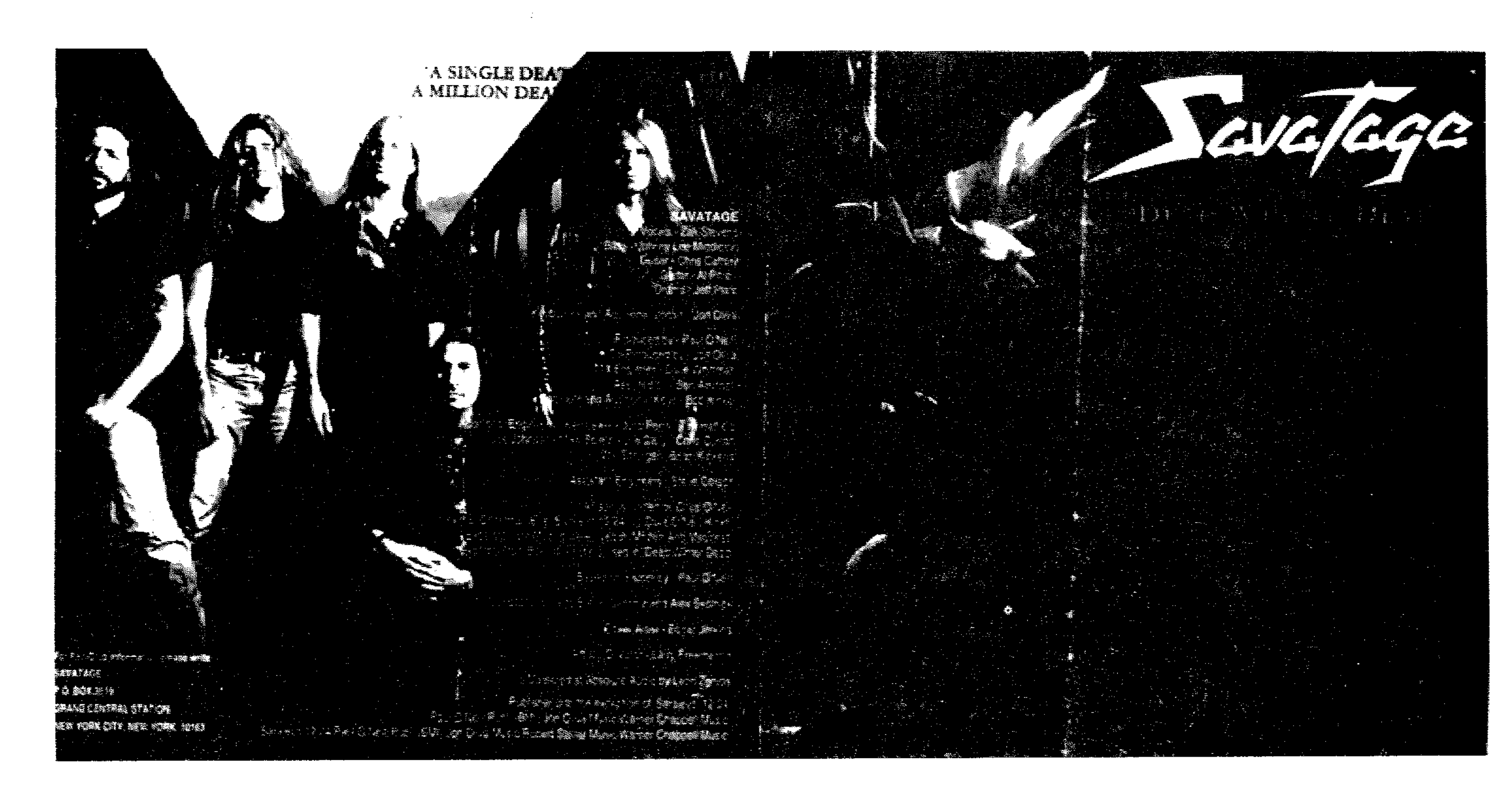
معلومات من الانترنت عن « انتون لافى» . . سربتها مصادر أمنيه على أنها وثائق فى القضية . . وقد أغلق الملف تماما بعد فترة وجيزة



النجمة الخماسية . . رمز العبادة التى يرفضها الجميع



ست . . اله الشر عند المصريين القدماء . . أو الشيطان الذى عبده الفراعنة



فريق « سافاتاج » حدث خلط بينه وبين الفرق الخاصة بعبادة الشيطان
يقدم موسيقى الروك . . ويحظى بشعبية هائلة فى مصر



دهب . . مدينة هادئة لا يعبدون بها الشيطان



صورة التقطها أيمن . . روشنة فى حفلات دهب العادية !





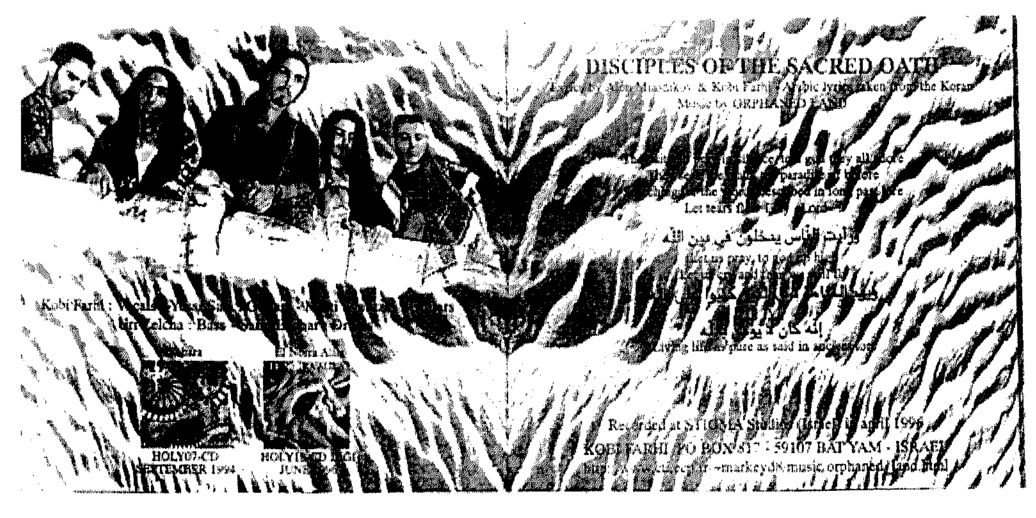
ملصق لعبادة الشيطان فى لبنان . . يقول : « ولد فى الجحيم »





اثنان من العازفين فى فريق «ستيل إيدج» المصرى . . لا علاقه لهما بالموضوع
رغم المظهر الغريب . . وهم نجوم بين الشباب !

عبادة الشيطان فى إسرائيل



علاف شريط فرقه « أورفن لاند » الاسرائيلية



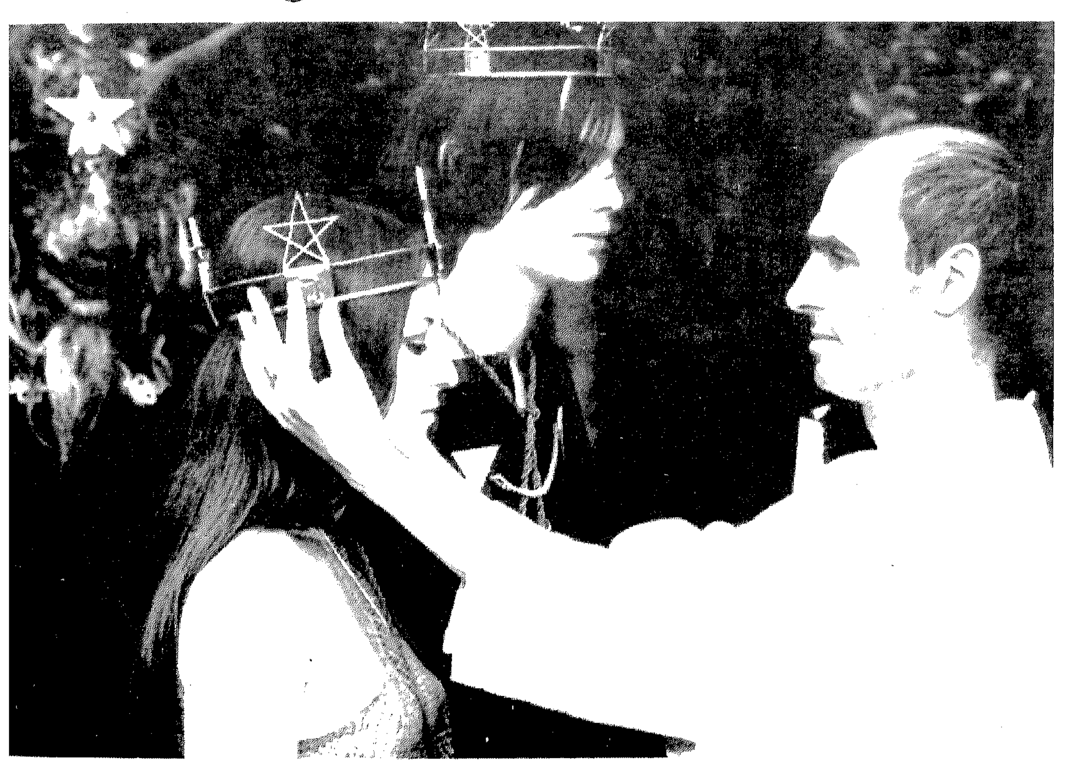
محترفوا « الهربريدنج » تضفير الشعر فى جنوب سيناء !



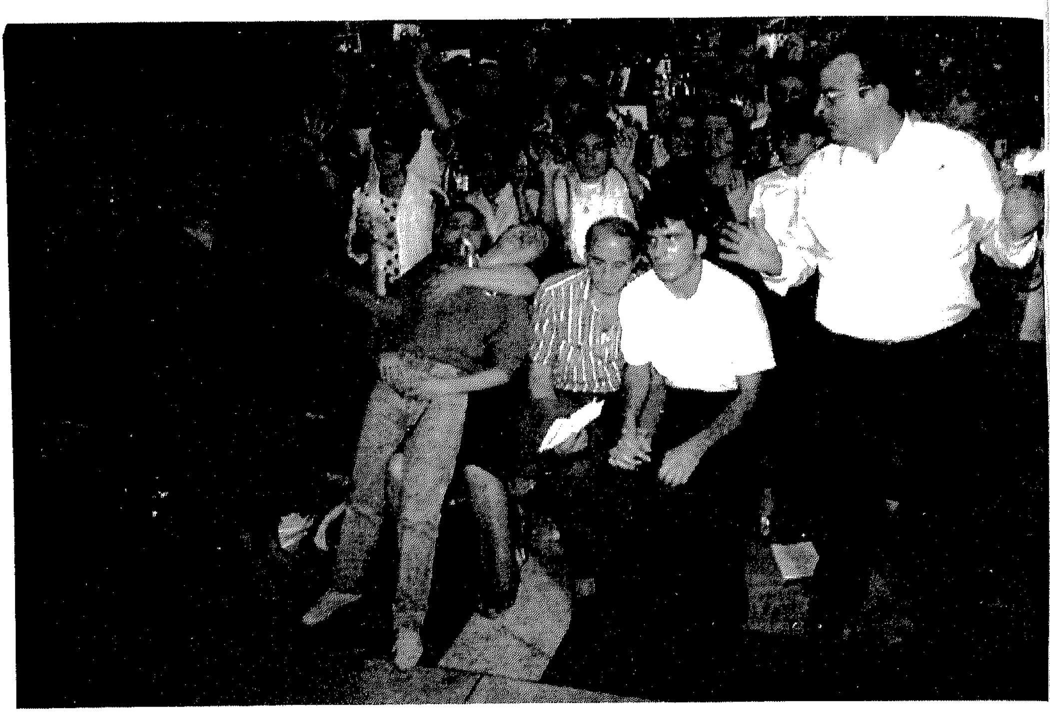
قربان بشرى فى عالم السحر الأسود . . صورة من فيلم سينمائى عن عبادة الشيطان



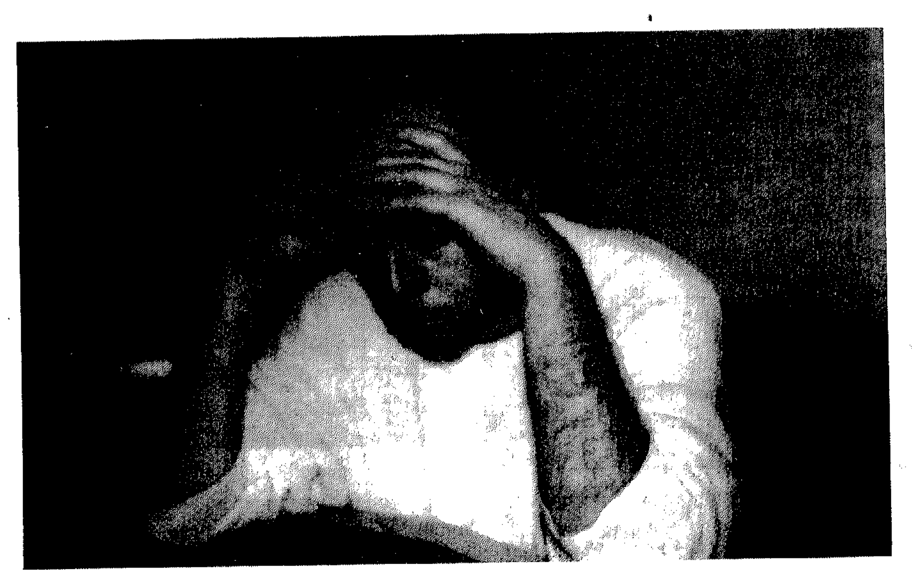
انتون لافى . . البابا الأسود . . صوره معه خارج مصر



صورة من خارج مصر . . زفاف على الطريقة الشيطانية



أوهام فى كنائس خارج مصر . . عملية طرد الشيطان من جسم من يتوهم أنه داخله



طونى أشقر شاب لبنانى اعترف لمجلة الوسط برحلته الصعبة مع عبادة الشيطان
الحالة هناك أصعب وأقسى وأخطر من مصر



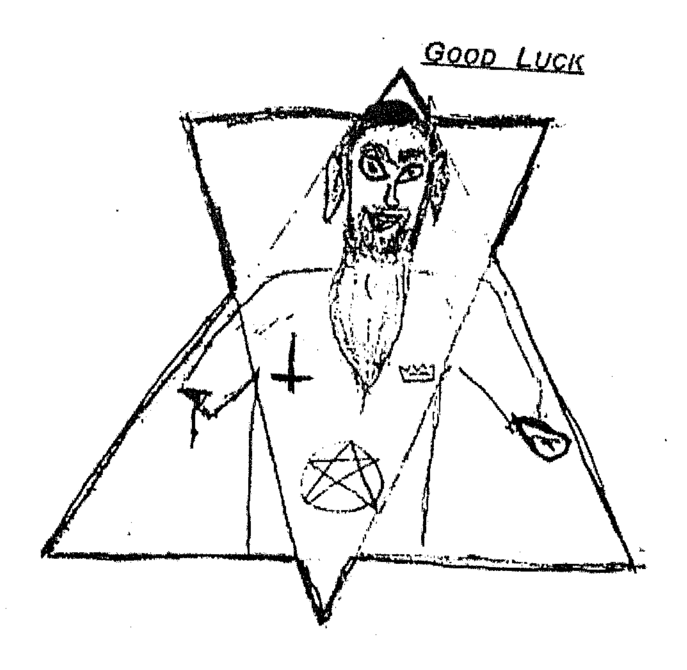
يرقصون عرايا من أجل ارضاء الشيطان

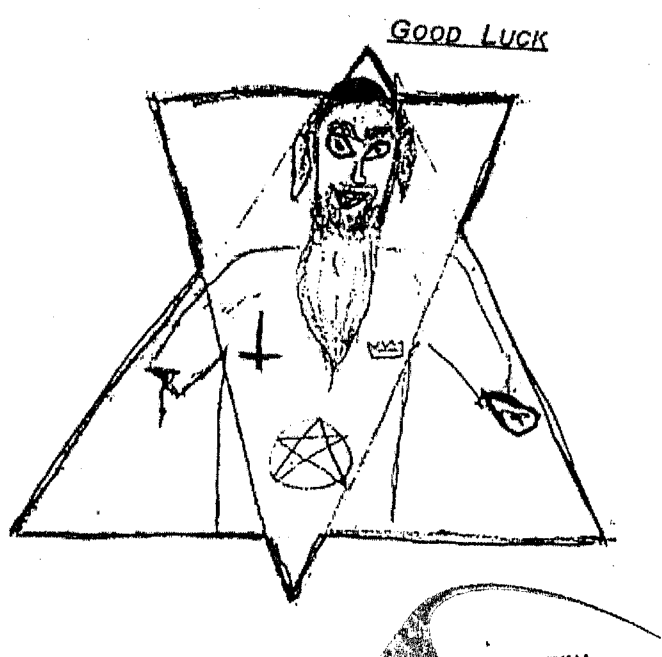


طقوس السحر الأسود . . علامات واشارات . . تمتلىء بها الكتب فى كل مكان
وعلى أرصفه الشوارع فى مصر مئات منها



فرق أجنبيه أعجب بها بعض الشباب فى مصر
تقاليع ظهرت فجأة . . واختفت فجأة


GOOD LUCK


GOOD LUCK

محتويات الكتاب

عربية للطباعة والنشر
٧، ١٠ شارع السلام ــ أرض اللواء المهندسين
تليفون ٣٠٣١٠٤٣ ـ ٣٠٣٦٠٩٨

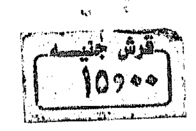
تجربة شخصية
مع عبدة الشيطان

عرف المؤلف هؤلاء المتمردين قبل أجهزة الأمن.. دخلوا مكتبه.. أعطوه وثائقهم.. اعترفوا له.. صادقهم في نفس الوقت الذى كان فيه يطاردهم.. بكت له أمهاتهم.. وسجل مغامراتهم بين الموسيقى والجنس والدين.. وخاض تجربة شخصية عرف خلالها شيرين الشيطانة وابن الشيطان، بل وأبناء عم الشيطان أيضاً.

وبين الخرافة والشذوذ والتمرد صارت كل شظايا القنبلة عنده وحده وكانت لديه تفاصيل لم تصل نيابة أمن الدولة، بينما بعض الأمهات يطاردنه بالتهديد والدعاء عليه.

وعلى الرغم من أنه صاحب السبق الصحفى الذى فجر القضية برمتها إلا أنه فضل أن يكتب بعد أن يصمت الجميع وبعد أن تفرقع كل بالونات الوهم التى أخرجتها المطابع حول هذا الموضوع وكان أن روى تجربته الشخصية فى هذا الكتاب

الناشر



دار الخيال - القاهرة - لندن